«الهدف» تحاور القاص السوري ابراهيم صموئيل

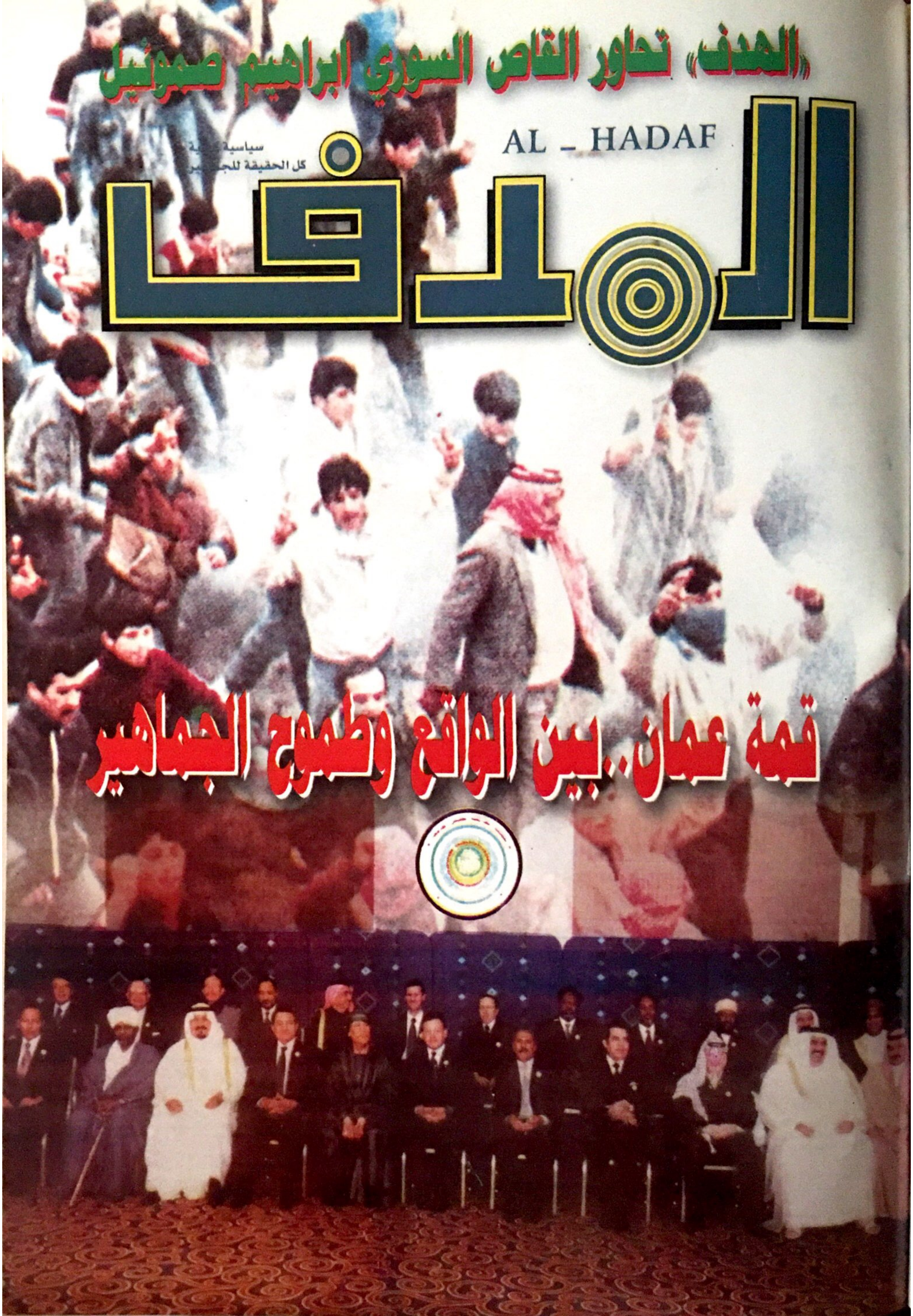
الهدف

AL – HADAF

سياسية

كل الحقيقة

قمة عمان.. بين الواقع وطموح الجماهير





لوحة للفنان إسماعيل شموط

AL - HADAF
الهدف
سياسية عربية - تصدر مؤقتا كل أسبوعين
«الهدف» ٣١ اذار ٢٠٠١ - العدد ١٣١٦
السنة الحادية والثلاثون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1316 - 31/3/2001



رئيس التحرير
جواد عقل

سكرتير التحرير
خليل جنداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المدير الفني
زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل — تونس ١,٢٥ د.ت
سوريا ٢٠ ل.س — صنعاء ١٥ ريالا
الاردن ٥٠٠ فلسا — السودان ٦ جنيهات
العراق ١٠ د.ع — المغرب ١١ درهم
الامارات ١٠ دراهم — أمريكا وكندا ٣ دولار
الجزائر ١٥ دينارا — المانيا ٥ ماركات
ليبيا دينار واحد — اسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الأشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س
لبنان والاردن ٣٠ دولار
بقية الدول العربية ٥٠ دولار
اوروبا ١٣٥ دولار
اسيا وافريقيا ١٠٠ دولار
الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولار

يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي
بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا - لبنان. رقم الحساب:
AC. No.٢٢٠٠٩٤
او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف»
دمشق / ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق ٦٣٢٨٢٦٧ - ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠/
عمان ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢ - ٧١٧٤٧١٠

• التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• التوزيع في المغرب:
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف.

كلمة

نقول بصراحة إننا لم نتوقع الكثير من القمة العربية... ونزيد هنا أن نتائجها كانت في كل الأحوال معروفة منذ فترة، وتحديداً بعد جولة وزير الخارجية الأمريكي كولن باول والتي رسم خلالها سلفاً الخطوط الحمر وحدد المطالب الأمريكية بوضوح: أقل قدر ممكن من الدعم العربي للإنتفاضة و إبقاء الملف العراقي مفتوحاً...

ورغم كل هذه الملابسات، تبقى قمة عمان مثيره للعجب من زوايا عديدة حيث هبط سقفها بشكل واضح عما تبناه القادة العرب في قمة القاهرة التي عقدت قبل أشهر فقط وتحديداً في موضوع دعم الإنتفاضة. وطبعاً نقول هذا آخذين بعين الإعتبار أن الوعود الضخمة التي قطعها الزعماء العرب على أنفسهم آنذاك جاءت تحت ضغط الشارع العربي وبالتالي فإن معظمهم لم يكن بنيته تنفيذ هذه الوعود، فمن المليار دولار الموعودة لم يصل فعلياً سوى ٣٥ مليون دولار... أما قمة عمان فقلصت المبلغ إلى ١٥ مليون دولار شهرياً لمدة ستة أشهر «كقرض وليس كهبة»، وحتى هذا المبلغ يبقى في علم الغيب... ربما ياتي وربما لا...

ولو افترضنا حسن النوايا، ولا شك أن معظم القادة العرب كانوا فعلاً يريدون التوصل لحلول تخرج الوضع العربي من أزماته، لكن في نفس الوقت فإن أغلبهم لم يملك الرغبة ولا الإرادة لتجاوز السقف الأمريكي، وهذا الأمر جعل الإرتباك يطغى على أعمال القمة، فتقبلت باحتجاج خجول رسالة الفيتو الأمريكي الذي منع قراراً دولياً بتأمين حماية للشعب الفلسطيني.

ولو أراد العرب فعلاً حماية الإنتفاضة وتقديم أكبر دعم لها، فما كان عليهم سوى المبادرة لرفع الحصار عن العراق، فهذه أبلغ رسالة ممكن أن توجه للعالم بأسره... لكن الرياح جرت في غير هذا الاتجاه... الأمر الذي جعل الدعم العربي للإنتفاضة يبدو هزيلاً... هشاً، وهذا ما التقطه شارون الذي قصف القمة وقراراتها مغرقاً إياها بالدم الفلسطيني بعد دقائق فقط من اختتام أعمالها عندما عمدت المروحيات والدبابات الإسرائيلية لدك المدن الفلسطينية.

الرد الفلسطيني لم يتأخر، بل جاء في يوم الأرض الذي تعمّد بدماء المزيد من الشهداء: الانتفاضة مستمرة وشعبنا سيواصل المقاومة حتى تحقيق إهدافه ولو كان قدره أن يظل في الميدان وحيداً... وإن كان لا أحد يقطع الأمل بوصول دعم الأشقاء قريباً...

موضوع الغلاف:

قمة عمان
بين الواقع وطموح
الجماهير
ص ٦



في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون العدو

شؤون دولية

الهدف الثقافي

آذار:
المرأة...
الشهداء...
الأرض...

مع نهاية آذار من هذا العام، آذار المرأة، الكرامة، الشهداء ويوم الأرض المجيد، تحل ثلاثة أحداث كل واحدٍ منها له دلالاته السياسية على الصعيدين الفلسطيني والعربي.

أحداث ثلاثة لا فاصل بينهما وإن بدت كذلك، فهي في الجوهر والمعاني مرتبطة متكاملة الحاضر والأبعاد.

في العنوان الأول منها تكون الانتفاضة قد أكملت بعطائها ودفقها الشعبي شهرها السادس، لتدخل شهرها السابع، كمسيرة امتياز لشعب أبى ويأبى أن يستسلم للعدو، أو أن يسلم بقضاياه وحقوقه، وهو في أعلى درجات من التصميم على مواصلة العطاء، كذلك أبى مع بدايات الشهر السادس أن يركع أمام أعمال تشديد الحصار والقمع الجماعي الذي تتسع دائرته يوماً وراء يوم. بل وأكثر من ذلك فإن الانتفاضة قد وسعت رقعة الأزمة في داخل الكيان الصهيوني وأطاحت مع جماهير شعبنا في المحتل من فلسطين عام 1948/ (بانتفاضتهم وشهدائهم) برأس باراك وحكومته. إذن لقد نقلت هذه الانتفاضة الحال الفلسطيني من حال الخنوع لسلام مذل ومدّعى، إلى حال المأزق المتفاقم في داخل كيان العدو.

والسؤال اليوم هل يتمكن شارون وحكومته من فعل ما لم يستطعه باراك؟ أم يفشل ويطاح به ويلحق بسابقيه؟ أي فعل تدوير الأزمة إلى الحد الذي لا تتحمل إسرائيل معادلاتها وبالتالي ترغم معه على الاعتراف بالحقوق الفلسطينية وفي مقدمتها حقه في العودة وإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس.

سؤال الجواب عليه برسم الجميع، ولا يكفي أن تكون الإجابة عليه عاطفية بل يجب وبالضرورة أن تتحول الأسئلة عند الثوريين إلى حث للفكرة الصحيحة وهي الفكرة التي قلناها مراراً وتبدأ من تحصين السياسة والانتقال بها من ردة الفعل إلى المبادرة، ومن الازدواجية إلى الوحدة، ومن عبثية البحث عن سلام موهوم، إلى جدية البحث عن وسائل مواجهة، وتنتقل من السياسة، إلى الاقتصاد ليصبح اقتصاداً مقاوماً، وإلى التخطيط والتنظيم لتعميق المشاركة الشعبية في كل حي وقرية ومخيم ومدينة (وأن مبادرة الحالة الشعبية التي تحدت حواجز وسواتر ومعيقات الاحتلال بين رام الله وبير زيت لبرهان على أن بمقدور الشعب مع توفر إجماعه على قضايا مباشرة أن يصنع المعجزات، وهكذا فعل ولهذا انتصر)، كما علينا أن ندرك أهمية إظهار الفعل المقاوم كخيار لا بد منه حتى نفرض على

العدو التسليم بحقوقنا، وبدون ذلك ورغم مأزقه ستبقى لديه قدرة التحمل.

إذاً هنا الوردة فلنعمل على رعايتها لأنها وردة الانتفاضة ومنها تفوح رائحة الفعل الجيد الخلاق والمبدع.

أما في العنوان الثاني: يوم الأرض، فنظن أن من غير المشروع لأحد أن يرى في هذا اليوم، كمثله من أيام العام ، حيث غدت الإشارة له ذات دلالة قوية في الإعراب عن تجذر الهوية الفلسطينية العربية في مواجهة العنجهية الصهيونية، التي سعت على مدى سنين ما قبل 1976/ إلى ممارسة القمع العسكري بهدف طمس وتبديد هذه الشخصية.

فيوم الأرض محطة بارزة في سفر النضال الوطني الفلسطيني بدأ تكونها من نقطة التراكم الأولى إلى اليوم الذي اصبح فيه العلم الفلسطيني حقيقة لا مهرب منها، تؤشر على هذا التكون الناجح، إلى حد انتقال هذا الفعل الشعبي الوطني الفلسطيني لجماهيرنا الفلسطينية في المحتل عام ،48 من شعار التضامن إلى دور المشارك، وهذا ما أصاب العدو الصهيوني بالفزع والذهول من درجة الحضور الشعبي والشبابي منه على الأخص، كل هذا التركيم الذي يرصد لخلق بنية لتحقيق هدف استراتيجي، يأتي بعد (53) عام على إقامة الكيان الصهيوني الذي ظن أصحابه أنه قد نال من الشعب أو تحقق له ما أراد وفق مقولة نفي الآخر، وهذا أثمن وأعظم ما في الأمر وما في الأرض وما في الناس أصحاب الأرض.

في العنوان الثالث الموضوع على طاولة التشريح، وتكاثر الأسئلة المستنفذة من واقع حال القمة العربية السابقة، لا يلغي أهمية أن نتابع المساجلة على هذا البعد الرسمي العربي. خاصة وأن الشهور الماضية أظهرت مدى هشاشة الالتزام الرسمي العربي، بما قالته قرارات القمة السابقة على هبوطها وغياب الجوهري والأساسي عنها، وكلنا على علم بها.

سؤال اليوم، هل تكون قمة عمان على غير ما هو عليه الحال؟ وهو سؤال محق من واقع المعايشة والتجربة، إنها (أي القمة) أمام أسئلة التحدي عن الحال والمآل. أنها مطالبة أن ترتقي ولو درجة واحدة على سلم الحياة التي تليق بالأمة حيث لم يعد مقبولاً أو مستساغاً الهروب من استحقاق وضع استراتيجية عربية لا تخدع الذات في مقولة استراتيجية السلام غير المنظور، فإسقاط الرسميات العربية منذ "كمب ديفيد" للخيار العسكري في حسم الصراع لم ينقذها من أطماع الصهيونية في السعي للتسيد على المنطقة (سياسة وأمن واقتصاد وميزان قوى عسكري استراتيجي مدعم بالسلاح النووي)، كما لم ينقذها خطاب السلام الاستراتيجي البائس، القائم على التذلل بدون امتلاك قوة تفرضه فرضاً.

وهنا توضع جملة العلاقات العربية - الأميركية على المحك، وبما فيها النفط وإن كنا لا نعول كثيراً على هذه البنية أن تكون قادرة على هكذا خطوة، إلا أنه من الواجب تحريض الشارع العربي عليها وإلا استمرأ النظام الرسمي سياسة الخنوع للإرادة الأمريكية وبالتالي الإسرائيلية.

وخوف بعض الحكام من رفع سقف الشعار السياسي بما فيه مقاطعة بل محاصرة حكومة شارون، خوف قائم على أن ارتفاع السقف مكلف وعليه مترتبات لا يرغب الحاكم العربي أن يحمل مسؤوليتها.

ربطاً بالسياسة وفي المقام الثاني تأتي مسألة الجدية في الدعم المادي، والقصور على هذا الصعيد لا تبرره ذريعة فساد السلطة (وهو قائم) فهذه الأنظمة لا تكتشف الجديد عند قول ذلك، بل نحن نراه ونلمسه رؤية العين ولمس اليد ونشكو من ويلاته، فيما واظب النظام العربي على إسناده سياسياً ومعنوياً ومادياً بلا انقطاع ومنذ اتفاقات أوسلو.

إذن لماذا اليوم؟ ألا يعكس ذلك دافعاً سياسياً هدفه تجفيف الموارد الفلسطينية انصياعاً للإرادة الأمريكية، بهدف تشديد الخناق على الشعب بكل فئاته ومن ثم الانتفاضة؟ وعليه فنحن لا نلوم الإشارة لفساد السلطة وترهل مؤسساتها، بل نقول للأنظمة العربية (أم المليار) هاكم وسائل لدعم الشعب/ شكلوا لجنة من منظمة العمل العربية لمتابعة شؤون ربع مليون عامل فلسطيني وسد نصف حاجاتهم، شكلوا لجنة وادفعوا العجز لوكالة الغوث الدولية، شكلوا لجان لدراسة حاجة قطاع التعليم وقطاع الصحة والبلديات...الخ من قطاعات المجتمع الفلسطيني الذي يعاني اقتصادياً، لتحديد حاجاتها والضرورة المطلوبة وادفعوا، وإلا فإن الحجة باهتة والتبرير مرفوض والعار يلبسكم بسبب قصوركم الشامخة وقصوراتكم السافرة.. ولا فرار ■ ■

الحدث

تعانق مرتفعات عمان ووهادها مرتفعات الأطلس في المغرب والجبل الأخضر في عمان وتتطلع جماهير أمتنا على امتداد مساحات وطننا العربي الشاسعة والمترامية الأطراف إلى اجتماع القمة العربية المنعقد في عمان في الفترة ما بين 27-28 آذار من هذا العام بأمل كبير أن تتمكن تلك القمة ونظراً لاستثنائية وفرادة الظروف التي تنعقد في ظلها من أن تجيب وتستجيب لكل الأسئلة المطروحة في عالم اليوم على مواطننا العربي الذي مازال يرزح تحت وطأة التخلف والتمزق وحالة التردي والانقسام والتي تلقي بظلالها السوداوية على مستقبله ومستقبل الأجيال القادمة وكأن حال مواطننا يقول أما آن لهذه الغمامة والكبوة التي تميز واقع الأمة أن تنجلي.

قمة عمان..بين الواقع وطموح الجماهير

جواد عقل

أما آن الأوان للقيادة الرسمية العربية أن ترتفع بخطابها السياسي وقراراتها ورؤاها إلى مستوى المسؤولية القومية العليا بعيداً عن الشعاراتية والقرارات الغير قابلة لرؤية النور والتطبيق على أرض الواقع.

فلم يعد مقبولاً في عالم اليوم أن ترهن الأمة مستقبلها ومستقبل أجيالها وكرامتها وأرضها وثرواتها وشعوبها لخلافات تعصف بالوضع الرسمي العربي تحت مسميات مختلفة ومتعددة. نحن لا نقول أن الخلافات مفتعلة أو غير موجودة لكننا نؤكد أن واقعنا ومستوى التحديات التي تواجه أمتنا تلح علينا أن نتجاوز خلافاتنا بالحوار الجريء الصادق والشفاف لأن جماهير أمتنا ضاقت ذرعاً من كثرة ترداد هذه المقولات عن الخلافات واحتلالها الصدارة في اهتمامات بعض قادة وضعنا الرسمي العربي دون الالتفاف إلى واقع الأمة وحاجتها الماسة لوضع حد لهذه الخلافات وإفساح المجال أمام فتح آفاق جديدة لعمل عربي مشترك يلامس هموم أمتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويفتح الباب واسعاً أمام آفاق رحبة لمستقبل عربي مشرق يمهد الطريق لانكفاء سياسة الانعزال والتعاون مع الأجنبي والعصبيات القبلية والسياسات الانعزالية في ظل سيادة منطق التجمعات الإقليمية السياسية والاقتصادية في زمن العولمة.

فسيادة منطق المصالحة والمصارحة ورأب الصدّع والمسؤولية القومية العليا هما وحدهما قادران على رأب الصدع وحتى الخلافات العربية العربية على قاعدة المصارحة والشفافية كما أسلفنا بعيداً عن كوابح وضغوط أعداء أمتنا والطامعين في نهب ثرواتها ورهن مستقبل أجيالها لها لخدمة مصالحهم وأهدافهم، لضرب كل ماهو إيجابي في أمتنا.

بماذا نسمي الحصار الجائر على شعب العراق والذي لم تشهد البشرية مثيلاً له في بشاعته وعدوانيته وظلمه بحق شعب عربي عريق، شعب ساهم وبشكل فعال في إمداد الحضارة الإنسانية بتراث إنساني عظيم، فهولاكو الذي دمر كل ما هو إنساني وحضاري في بغداد يعود من جديد من خلال الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فهل نقبل كعرب رسميين باستباحة أرض وشعب العراق من قبل هؤلاء دون أن نحرك ساكناً.

وهل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن بهذه الطريقة قادرة على تدعيم السلام والأمن الدوليين في المنطقة، فمنطق الأشياء يقول أن ما يواجهه العراق هو مؤامرة دولية كبيرة بقيادة الولايات المتحدة، في وقت لاتحرك هذه الإدارة ولا مجلس الأمن ساكناً للجرائم والفظائع التي ترتكبها إسرائيل بشكل يومي مبرمج ضد شعبنا العربي الفلسطيني، فحملات الإبادة متواصلة وسياسة الحصار والتجويع مستمرة رغم كل النداءات والتمنيات العربية الغير قادرة على إنقاذ حياة الأطفال والشيوخ والعزل من رصاص القناصة الإسرائيليين وغلاة المستوطنين، فحكومة شارون ماضية في برنامجها البربري الإجرامي دون أن تلقى عقاباً من المجتمع الدولي. ومازال البعض فيما يسمى بالعالم الحر يتحدث عن العنف والعنف المتبادل بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي أي المساواة بدون أي مسوغ قانوني وأخلاقي تبرره الشرائع والقوانين والأعراف الدولية، فمن حق أي شعب يرزح تحت نير الاحتلال ان يستخدم كل أشكال المقاومة ضد محتليه بينما ليس من حق المحتلين معاقبة المدنيين بصورة جماعية وبشكل لا أخلاقي ولا إنساني فرغم سياسة ضبط النفس وعدم تفويت فرص السلام التي سار عليها العرب لسنوات طويلة فإن إسرائيل والولايات المتحدة يتعاملون مع الأمة وقضاياها بمعايير مزدوجة وعنصرية تستهدف تطويع العقل والإنسان العربي وإيصاله إلى نقطة الرضوخ والخنوع

والقبول بسياسة الأمر الواقع.

فالصالحة العربية ممكنة والقادة العرب قادرون إذا جانبوا الحكمة والمصلحة العربية العليا أن يمهدوا الطريق لمصالحة عربية حقيقية وعلى قواعد وأساس القيم والأخلاق العربية، فاوروبا شهدت حروباً طاحنة بين دولها لكنهم استطاعوا أن يذيبوا ثلوج الكراهية والحقد لمصلحة أوطانهم وشعوبهم والأمة بحاجة إلى مثل هؤلاء القادة القادرين على نسيان الماضي وطي صفحته للانطلاق إلى المستقبل.

نحن أمام تحديات حضارية وتاريخية بأبعاد سياسية واقتصادية وفكرية تتطلب منا قدراً أكبر من الديناميكية السياسية بآفاق تكتيكية واستراتيجية تصون أهداف الأمة ومقدساتها وتحافظ على تراثها وثرواتها من الاندثار..وبكلمات معبرة ورسائل واضحة للعالم والبشرية يمكن للعرب أن يقدموا رؤيتهم للسلام القائم على أساس قرارات الشرعية الدولية مجتمعة وبإشراف الأمم المتحدة ورعاية دولية متفق عليها.

وفي خضم الأحداث والمنعطفات الكبرى يواجه القادة العرب سؤالاً مصيرياً مركزياً، إلى أين نسير؟ وفي أي اتجاه نريد لمركبنا أن يتجه هل نحو بر الأمان ؟ أم إلى الهاوية فإذا كانت الإجابة المنطقية والواقعية تقول نعم نريد السير نحو بر الأمان، علينا إذاً أن نكون أوفياء لدماء الشهداء والمناضلين الأوائل من أمتنا والذين قاتلوا من أجل وحدة أهدافها ومستقبلها ومصيرها.

مؤتمر القمة والقادة العرب أمام امتحان عسير لأن الحالة العربية استثنائية وتتطلب معالجتها مواقف استثنائية صائبة وشجاعة، ليتمكنوا من إيجاد حلول واقعية قادرة على إنقاذ الأمة ومصيرها من خلال الإجابة الصريحة الواضحة على الأسئلة والعناوين الرئيسية التي تحتاج إلى إجابات.

ما هو موقفنا من انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسلة والتي تمثل الوجه المشرق للأمة العربية وكفاحها المجيد من أجل الحرية والاستقلال؟ فموقف عربي ملتزم بالوفاء للانتفاضة وشهدائها وجرحاها واستغاثات الثكالى والشيوخ واستغاثة الأقصى الجريح تتطلب من القادة تأكيد وقوفهم إلى جانب نضال الشعب الفلسطيني ودعمهم له سياسياً ومعنوياً ومادياً وعدم البحث عن الأسباب والأعذار التي تحول دون إيصال هذا الدعم. فشعبنا العربي عريق وقادر بحسه الوطني والقومي أن يدرك حقيقة الأشياء والأسباب الحقيقية لهذه المماطلة والممانعة العربية لعدم وصول المساعدات في وقتها، وشعبنا لن يرحم من يتهاون أو يدير الظهر لقضيته المركزية ودرة العرب فلسطين وعاصمتها القدس.

سؤال آخر يرسم الإجابة ما هي الخطوات الضرورية لمواجهة تحديات العصر سياسياً واقتصادياً وثقافياً، والإجابة تعرفها الجماهير العربية والتي طال انتظارها لرؤية قادتهم يتبنون رؤية سياسية موحدة قادرة على إعادة صياغة العلاقات الرسمية العربية على أسس صحيحة وسليمة.

بحيث تساعدنا وأجيالنا القادمة على رؤية وطن عربي مشرق ومزدهر متعدد النظم السياسية لكنه موحد في إطار سياسي واقتصادي وأمني واحد يضمن للجميع العيش بحرية وأمن واطمئنان والمشاركة المتكافئة في صنع مستقبل الأمة بعيداً عن التدخلات والنصائح الأجنبية، فأرض العرب للعرب وأموال العرب للعرب وثرواتنا القومية ملكاً للأجيال وليست ملكاً لهذا الحاكم أو ذاك.

ليضع العرب في مؤتمرهم هذا اللمسات الأولية لبناء الكيان العربي الموحد بالإسراع في بحث وتبني فكرة إنشاء سوق عربية مشتركة تمهد لها اتفاقيات التجارة الحرة التي وقعت بين العراق وسوريا ومصر وتونس وضرورة تطويرها وفتح الباب أمام مشاركة عربية أوسع في الدخول إلى هذه الاتفاقيات، وتحرير التجارة البينية العربية من خلال تشريعات ضريبية وجمركية واستثمارية عربية موحدة.

لنناقش كذلك بجدية كل الآليات القادرة على تطوير مؤسسات العمل العربي المشترك والبدء بتطوير وتحديث ميثاق الجامعة العربية ليستجيب للتطورات واستحقاقات المرحلة القادمة، ويكون قادراً أو ممهداً السبيل لتطوير أشكال العمل العربي المشترك بالاستفادة من تجارب الماضي واخفاقاته على كل الصعد لنتمكن من الوصول إلى شق طريق ناجح وناجع لبناء جسور من الثقة والتفاؤل بمستقبل هذه الأشكال من العمل العربي وعلى رأسها إضافة للسوق المشتركة والمصالحة العربية ضرورة تطوير اتفاقية الدفاع العربي المشترك بحيث نكون أمام حقائق على الأرض تدعم المحافظة على النظام الرسمي العربي وتقدم بنفس الوقت نموذجاً لتطويره والارتقاء به لنكون مستقبلاً وبشكل واقعي أمام نظام عربي رسمي راسخ متين مدافع حقيقي عن كل مكونات هذه الأمة وعناصر قوتها ومنعتها، ونكون قادرين على الخلاص من بلاء القوات الأجنبية التي مازالت تجثم فوق أرضنا العربية الطاهرة وتمارس على جزء منا العدوان وتدافع عن مصالح بلدانها الاستراتيجية.

فنحن أمة عريقة قادرة رغم كل الكبوات إذا ما أدرك قادتها مسؤولياتهم أن نثري العلاقات الإنسانية ونقدم للبشرية نموذجاً من عالم قائم على السلم والأمن والعدل لا مكان فيه للغطرسة والعدوان والصلف، والعلاقات بيننا وبين الدول تحكمها علاقات التكافؤ والمصالح المشتركة والمعايير الأخلاقية والإنسانية النبيلة فنحن العرب لا يمكننا أن نقبل بعالم تسوده كل مظاهر الظلم والجور والعلاقات الغير متكافئة والمقاييس المزدوجة وامتهان الكرامة وإلغاء الآخر.

○ من هذا المنطلق نمد أيدينا كأمة لجيراننا لتطوير علاقاتنا وتعزيزها، ونحن نتطلع إلى حقائق الأشياء ندرك أن ما ينتظر قادتنا كثير وواقع الحال يقول أن الوضع الرسمي لا يسمح بإنجاز الكثير مما ترنوا إليه قلوب وأفئدة الجماهير العربية .

نتائج القمة العربية مع الأسف جاءت مخيبة للآمال حيث غاب عن قراراتها الوضوح والشفافية وعدم الجزم إزاء العديد من القضايا والعناوين الأساسية التي كانت على جدول أعمالها فالموضوع العراقي والفلسطيني الرئيسي لم يكن بمستوى آمال وتطلعات أبناء الأمة وقضايا كثيرة وهامة تعرض لها البيان بنفس الطريقة السابقة حيث يغلب على طابعه العام المناشدة والتنديد في وقت نحن أحوج ما يكون إليه إلى قرارات واضحة وخطوات عملية تشق الطريق لمستقبل مشرق لأمة وتطلعاتها وعلى ما يبدو فإن قدر الجماهير العربية وقواها الحية وفعالياتها الحزبية والشعبية والثقافية أن تواصل مسيرة نضالها الشعبي المتلازم مع حالة النهوض العارمة التي واكبت الانتفاضة الباسلة في أرض فلسطين وتآكل الحصار الظالم على العراق في ظل استمرار المناورات الأمريكية لتكريس الفرقة والانقسام وتغليب المصالح الفردية على المصالح العليا للأمة ومن حقنا كجماهير أن نحدد الخطوة اللاحقة لفرض تطلعاتنا وآمالنا على أصحاب القرار الرسمي العربي الذين أثبتت الأحداث أن زيارة باول وتهديدات شارون قد أتت أكلها رغم كل نداءات الإدانة والاستنكار التي أطلقها الشارع العربي بوأد هذه التدخلات لمصلحة خلق أجواء عربية لمصالحة تاريخية تفسح المجال أمام التقدم خطوة إلى الأمام على طريق تطوير رؤانا السياسية والاقتصادية والأمنية الكفيلة ببسط روح الأخوة والأمن والاستقرار وفتح الباب لتقدم وتطور النظام الرسمي العربي. فإلى مزيد من النضال الجماهيري الشعبي من أجل تفادي كارثة تدهور الأوضاع العربية وتفسخها لمصلحة أعداء الأمة ومطامعهم ∎∎

القمة العربية:

مواجهة التحديات بالنوايا الحسنة ودفع الاستحقاقات مرهون بالقرب والبعد من خط النهاية

ضرغام هلسا - عمان



في ظل مناخ دولي وإقليمي عاصف ظهرت مدلولاته بتوجيه الإدارة الأمريكية الجديدة عبر رسالتها العسكرية إلى بغداد وإيفاد كولن باول بعد ذلك لاستطلاع الرأي من قادة المنطقة حول سياسة الإدارة الأمريكية بترتيب أولويات الصراع بما ينسجم مع المصالح الأمريكية النفطية وتركيزه على العراق باعتباره الخطر الذي يهدد الأمن والاستقرار في المنطقة ومحاولاته حشد التأييد العربي للسياسة الأمريكية وتحييد العرب في الصراع الدائر مع إسرائيل. وجاء المتغير الإقليمي الذي فرض نفسه بقوة على صناع القرار السياسي العربي كخطر فعلي لا يهدد مصالح الأمة العربية وحسب بل يهدد السلام الدولي برمته وهو صعود الجزار شارون لرأس السلطة في الدولة الصهيونية وتشكيله لحكومة ائتلاف موسعة عبّرت عن عمق الأزمة التي يعيشها المجتمع الصهيوني في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية الباسله وحالة النهوض القومي العربي.

جاء انعقاد قمة عمان العادية يومي ٢٧ و ٢٨ آذار عام ٢٠٠١ تنفيذاً لقرار قمة القاهرة الطارئ المنعقد بتاريخ ٢١ و ٢٢ تشرين الأول عام ٢٠٠٠ ليعالج القضايا العربية والتحديات التي تواجهها آخذة بعين الاعتبار تطلعات وطموحات الرأي العام العربي الذي تابع التحضيرات لانعقادها وخصوصاً أن قمة القاهرة الطارئة لم يجف حبر قراراتها بعد، وشلال الدم الفلسطيني لا زال يتدفق وبغزارة نتيجة للقمع الصهيوني المتواصل لإنتفاضة الشعب الفلسطيني المستمرة وأصوات المتظاهرين في كل أرجاء الوطن العربي تطالب بدعم الانتفاضة ورفع الحصار عن العراق.

فما كان أمام القادة العرب خيار إلا المقاربة الواقعية بين طموحاتهم كما أشاد السيد عمرو موسى وزير خارجية مصر وبين نبض الشارع العربي وطموحاته فكانت قضية فلسطين ودعم الانتفاضة ومسألة العراق ورفع الحصار عنه، حجر الرحى في المحور السياسي، وهنا لابد من القول أن اتخاذ موقف جذري يلبي طموحات الشعب العربي في كلا المسألتين يصطدم مباشرة مع مصالح المتغيرين الإقليمي والدولي أي سياسة الولايات المتحدة اتجاه فلسطين والعراق وسياسة حكومة الائتلاف الشاروني والتي تسعى لفرض هيمنتها و سيطرتها على المنطقة.

من خلال التهديد العسكري بإنهاء الانتفاضة الفلسطينية والمغامرة في ضرب دول المحيط العربي وخصوصاً سوريا ولبنان ومصر والعراق، ولا نستبعد الاحتمال بتوسيع دائرة المواجهة باتجاه العمق العربي والإسلامي.

«فالدولة الصهيونية المأزومة تسعى لنقل الأزمة للواقع العربي» كما قال الرئيس بشار الأسد في خطابه أمام القمة العربية وأمركيا تسعى لمحاصرة العراق بشكل جديد تحت مسمى العقوبات الذكية لإنهائه كقوة إقليمية مؤثرة «والذي كان على الدوام في طليعة الأمة



العربية في الدفاع عن قضاياها وحقوقها وهو الذي لا يتوانى في أي يوم من الأيام عن التضحية أو تلبية نداء الواجب والأخوة» كما قال الملك عبد الله الثاني في خطابه الافتتاحي للقمة.

ولكون الموضوعان المطروحان على القمة يملكان من الأهمية ما يوازي وجود الأمة العربية الحضاري وتاريخها العريق أصبح القادة أمام أمر واقع لامناص منه وهو كيفية المقاربة بين المطلوب أمريكياً والمطلوب عربياً.

فأمريكا تطالب بقرارات معوّمة لا تدين أمريكا ولا تهاجم إسرائيل والشارع العربي يطالب بوقفة جديّة من القادة العرب في مواجهة أميركا وإسرائيل كعدوين للأمة العربية بامتياز.

فعند هذا المفترق الخطر كان من الضروري التدقيق في المداولات التي كانت تحضيراً لانعقاد القمة والقرارات التي صدرت عنها وهل حقيقة استطاعت القمة «أن تشكل علامة بارزة في تاريخ العمل العربي المشترك بعد البداية الطيبة التي حققها مؤتمر القاهرة. حرصاً من القادة العرب على مواكبة التطورات أولاً بأول ومواصلة التحرك الفعال لمواجهة التحديات المتجددة التي تعترض طريقنا وتوثيق عرى التضامن بين جميع الأقطار والشعوب العربية وتفعيل العمل العربي المشترك». كما قال الرئيس حسني مبارك في كلمته أمام القمة.

كل هذه التساؤلات الصعبة تتطلب منّا التدقيق في صياغة القرارات والتفكير العميق في آليات تنفيذها وكيفية منع تحويلها من قرارات جديه إلى ملفات مكتوبة على مغلفاتها للحفظ في خزائن جامعتنا العربية. وهذا لم يكن غريباً في تاريخ النظام العربي الرسمي.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن القمة انحكمت بموجب وعي الضرورة لمواجهة التحديات للنوايا الحسنة للقادة العرب وأصبحت استحقاقات الموقف مرهونة بالقرب أو البعد من خط النهاية عند المفترق.

فاستخدم القادة السياسة المرنة في التعامل مع نقاط الخلاف والتي قامت بتفجيرها ـ رغم كل الجهد المبذول ـ الأصابع الأمريكية في الجسم العربي والتي اعتمدت سياسة التفريق دون التخريب والمناصفة بين النجاح والفشل فانطبق على القمة المثل العربي القائل: «لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم» وعلى ضوء ما تقدم نقول كيف استطاعت هذه السياسة إيصال المؤتمر إلى نهايته بإصدار البيان الختامي وإعلان عمان والموافقة على القرارات الاقتصاديةوالسياسية على الرغم من أن الوضع كان قابلاً للتفجير في كل لحظة وخصوصاً في المسألة العراقية والتي تم التعارف على تسميتها بالحالة العراقية الكويتية.

فقد أجمع وزراء الخارجية العرب على أن الهدف من حضور القمة هو إنجاحها ودعوا في أحاديثهم للصحفيين إلى تجاوز الخلافات والتطلع إلى الأمام لبناء موقف عربي موحد تجاه سياسات إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني نتيجة للقطيعة التي حصلت بتدبير أمريكي وأصبحت الأجندة الخاصة لبعض الأنظمة العربية ترتبط مع الأجندة الأمريكية بكل قوة في السياسة والاقتصاد ولا نبالغ إذا قلنا بأنها ترتبط مع الأجندة السياسية الإسرائيلية فلذلك كان الخلاف أمراً طبيعياً يمكن حله بشرط عدم تجاوز الخطوط الحمراء التي رسمتها الإدارة الأمريكية لبعض الزعماء العرب.

فتم حل الخلافات المتعلقة في القضية الفلسطينية كاملة في اجتماعات وزراء الخارجية وبقيت الخلافات في قضيتين رئيسيتين هما مسألة ما سمي بالحالة العراقية الكويتية ومسألة إحياء المقاطعة العربية مع إسرائيل.

فتم التركيز على الأولى وتجاوز الثانية ضمن سياق حسن النوايا فكيف تم التعامل مع الحالة العراقية ـ الكويتية من جانب الكويت. في البدء ومع وصول الشيخ محمد صباح السالم الصباح وزير الدولة للشؤون الخارجية في الكويت طالب القمة العربية بأن تبحث الحالة العراقية الكويتية بدرجة عالية من المسؤولية لضمان أمن واستقرار الكويت ولضمان حق الكويت في وجوده.

وقال أن كل ما نطلبه هو وجود ضمانات عربية وأن لا يتكرر احتلال الكويت من قبل العراق مرة أخرى.

ومن جانبه قال الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية: على العراق أن يلتزم بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي.

فكانت هاتين الإشارتين رسالتين للقمة والعراق بأن التوافق في الحالة العراقية

الكويتية محكوم بموقف مسبق أسس له كولن باول في زيارته الاستطلاعية.

وفعلاً تم صياغة مشروع قرار متكامل حول الحالة العراقية الكويتية حقق توازن بين ما تطلبه الكويت والسعودية وبين ما يطمح إليه العراق في ظل الظروف العربية الراهنة إلا أن الكويت أصرت على إفشال إصدار القرار العربي كما قال السيد محمد سعيد الصحاف وزير خارجية العراق في مؤتمره الصحفي بعد انتهاء أعمال القمة بنصف ساعة.

حيث أكد على أن بعض وسائل الإعلام لعبت دوراً في تشويه الموقف العراقي أثناء المداولات وأشار إلى إيجابية تكليف الملك عبد الله الثاني رئيس القمة بمواصلة الاتصالات لتطوير الحالة بين العراق والكويت.

وأكد الصحاف أن العراق يحمّل الكويت مسؤولية فشل الصحيفة التوافقية النهائية لأنه وافق في الاجتماع السداسي الذي ترأسه الملك عبد الله الثاني وحضره رؤساء مصر وسورية والجزائر واليمن وقطر وحضره من الجانب العراقي رئيس الوفد السيد عزت إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة. وتم الاستفسار عن مصدر التحفظ العراقي عن نص مشروع القرار. فأشار إلى أن العراق يتحفظ على الفقرة التي تقول أن المؤتمر يؤكد على ضرورة احترام سيادة الكويت ووحدتها الإقليمية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية في عبارة تطلب من العراق أن يؤكد التزامه كبقية الدول العربية بموضوع سيادة الكويت فهذه الصيغة ترمي إلى المستقبل موضحاً أن العراق بيّن أن الرمي إلى المستقبل يعني أنه غير ملتزم وهذا غير صحيح ونحن نؤكد أننا ملتزمون وأن الكويت غير ملتزم لأن الطائرات الأمريكية والبريطانية تنطلق من الكويت للاعتداء على العراق بشكل يومي بما يسمى منطقة حظر الطيران المفروضة على جنوبه وتم الاتفاق مع القادة الستة على صيغة موزونة تحقق القصد الكويتي ولا تتجاوز العراق فرفض الكويت.

وأشاد الصحاف بأن الرفض الكويتي وما قاله رئيس الوفد الكويتي غير صحيح وإن هذا يؤكد التفسير العراقي بأن الغرض ليس هذه الفقرة لأن هذا يعني أن القرار سيصدر وبالتالي المطالبة برفع الحصار عن العراق وتسيير الرحلات الجوية منه وإليه.

وأكد على أن هذا الموقف الكويتي يشير إلى دور الأصابع الأمريكية في إفشال القمة باتخاذ قراراً بهذا الخصوص.

وتشير مصادرنا بأن وزير الخارجية الكويتي هدد بالانسحاب ما لم تتم الاستجابة لكافة مطالبه مهدداً بإفشال القمة.

وأمام الاجماع العربي بخصوص رفع الحصار عن العراق أقرت القمة قبيل إنهاء أعمالها نصاً أضيف لإعلان عمان ورد فيه:

الدعوة إلى رفع العقوبات عن العراق والتعامل مع المسائل الإنسانية المتعلقة بالأسرى والمفقودين الكويتين والمفقودين العراقين وغيرهم انطلاقاً من مبادئ تراثنا القومي والديني والإنساني. وتضمن البيان الختامي نصاً يقول: بتكليف الملك عبد الله الثاني رئيس القمة بالتعاون مع الأمانة العامة للجامعة لمواصلة الاتصالات لتطوير الحالة بين العراق والكويت وعرضها على القمة العربية القادمة في بيروت فتحفظ الوفد الكويتي على هذه الصيغة إلا انه وافق لثقته بالملك عبد الله الثاني.

والخلاف الثاني كان حول الاقتراح السوري بإحياء لجنة المقاطعة العربية مع إسرائيل كرد فعل طبيعي وسلمي على عنجهية إسرائيل وعدم اعترافها بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني والحقوق المشروعة لسوريا ولبنان والتي نصت عليها مقررات الشرعية الدولية.

وأكد الشرع في لقائه مع الصحفيين بأننا أمة لم تفلس بعد ولا يجوز لنا إعلان افلاسنا. لأننا نملك من مقومات القوة لو فعلناها لحققنا إيجابيات كبيرة. ورغم تضمين البيان الختامي لنص حول تفصيل مكتب المقاطعة العربية لإسرائيل إلا أن وزير خارجية الأردن السيد عبد الإله الخطيب أشار في مؤتمره الصحفي بعد انتهاء أعمال القمة في رده على سؤال حول موقف الأردن من المقاطعة فقال لقد تم الاتفاق أن تتعامل كل دولة حسب ظروفها مع هذا القرار مشيراً في ذلك إلى أن الأردن لن يسعى لتفعيل هذا القرار كونه يرتبط بعلاقات ديبلوماسية واقتصادية مع إسرائيل ولديه مجموعة من المدن الصناعية المؤهلة والتي تنص في قانونها على وجود شريك إسرائيلي أو نسبة ٨٪ من الانتاج في أي سلعة تنتج في مصانعها.

أما النقاط التوافقيه فكانت حول دعم الانتفاضة الفلسطينية حيث أكد وزير الإعلام الفلسطيني يا سر عبد ربه في مؤتمره الصحفي الذي عقده بعد انتهاء أعمال القمة أن القمة العربية تبنت جميع المواقف والمطالب المأموله وعبرّ عن اعتقاده أن القمة العربية أكدت أن الشعب الفلسطيني لن يكون وحده وأن المحاولات التي قامت بها أطراف عدة لإظهار الموقف العربي بشكل يمكن تحييده أوإضعاف مساندته للشعب الفلسطيني قد تبددت وضاعت.

واعتبر أن طي صفحه الماضي بين سوريا وفلسطين يقوي الموقف الفلسطيني وأكد أن مسألة رفع الحصار عن العراق الشقيق لم تعد موضع نقاش بل هي موضع اجماع وتأييد عربي.

وفي المحور الاقتصادي تم إقرار كافة مشاريع القرارات المقدمة للزعماء العرب رغم الصعوبات التي تواجه تنفيذها وخصوصاً موضوع السوق العربية المشتركة والتجارة العربية الحره الكبرى لأسباب عدة حيث أن قسماً من الدول العربية تخشى نجاح السوق والتجارة الحرة العربية لأن نجاحها يعني نجاح سياسات التطوير الاجتماعي والثقافي وانتقال تاثيرها بانتقال الأيدي العاملة وتنظيماتها الثقافية وهي أمور تزعج هذه الدول إضافة إلى أن رغبتها في تفعيل الاتفاقات الثقافية يمكنها من فرض سياستها على الطرف الأقل نمواً أو كما قال الدكتور عبد الله النفيسي استاذ العلوم السياسيه في جامعة الكويت بأن بعض الحكام لا يفصل بين دوره كحاكم أو تاجر فهو لن يسعى لانجاح العمل العربي المشترك والسبب الأخر أن إسرائيل وأمريكا ستسعيان لافشال هذه القرارات لأنهما تفترضان أن المطلوب إقليمياً ليس سوق عربيه مشتركة أو اتفاقية تجارة عربية كبرى بل سوق شرق أوسطيه وأي تصرف خارج نطاقه يعتبر تناقضاً مع مسيرة السلام على الطريق الإسرائيلية، ورغم ذلك سيتم التعامل مع القرارات الاقتصادية بحسن النوايا والامنيات بتنفيذها ولعل من المفيد أن نقول بأن تكليف الأمين العام بتنفيذ القرارات سيلقي بمسؤوليه كبرى على السيد عمر موسى الأمين العام المقبل لجامعة الدول العربية، والذي يتمتع بحضور عربي فاعل وكفاءه معترف بها. تؤهله في تطوير آداء الجامعة العربية وتنفيذ القرارات الصادرة عنها وخصوصاً تلك الصادرة عن مؤسسة القمة العربية وحرصه على وحدة الصف العربي وإيمانه الراسخ بأن إسرائيل لا تريد السلام فعليه إذاً مسؤولية كبرى في تحمل العبء الأكبر من متابعة تنفيذ تلك القرارات واستكمال مشوار المصالحة العربية

وتعطيل حركة الأصابع الأمريكية والإسرائيلية قدر الإمكان في الجسم العربي والتأسيس فعلاً لجامعة عربية جديدة تأخذ بالاعتبار تطورات العصر وتنهي حالة الجمود التي سادت العمل العربي المشترك.

وخلق حالة من التناغم بين صناع القرار السياسي العربي الرسمي وقادة الرأي العام الشعبي للوصول إلى نقاط التقاء ترتكز عليها في بناء مستقبل عربي جديد يتعدى حالة الحلم إلى فعل واقعي ولو كان بخطوات بطيئة ■■

الرفيق أبو علي مصطفى يهنئ الرئيس بشار الأسد بمناسبة ثورة الثامن من آذار





سيادة الرئيس بشار الأسد المحترم

تحية العروبة والنضال بعد،

بمناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لثورة الثامن من آذار المجيدة أتقدم منكم ومن خلالكم باسم قيادة وكوادر وأعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وباسمي شخصياً للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بأحر التهاني متمنياً للشعب السوري الشقيق بقيادتكم دوام التقدم والازدهار.

سيادة الرئيس

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نثمن مواقف سوريا المبدئية والشجاعة في مواجهة مخططات العدو الصهيوني، والتمسك بثوابت الأمة وفي مقدمتها حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس.

ونؤكد لكم أن الجبهة الشعبية وشعبنا الفلسطيني سنستمر في النضال عبر كافة أشكاله وفي المقدمة منها الانتفاضة الشعبية الباسلة حتى تحقيق كامل أهدافنا الوطنية واستعادة الجولان المحتل ومزارع شبعا اللبنانية المحتلة.

نتمنى لكم دوام الصحة والتوفيق وللشعب السوري الشقيق دوام التقدم والازدهار.

مع فائق الاحترام

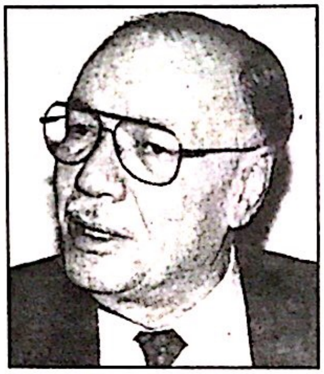
أخوكم/ أبو علي مصطفى

الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

لقاء بين الجبهة الشعبية ومنظمة العمل الديمقراطي المغربي

جرى لقاء بين وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي مسؤول الخارج والرفاق أبو أحمد فؤاد ومروان الفاهوم عضوي المكتب السياسي مع وفد من منظمة العمل الديمقراطي المغربي برئاسة الرفيق محمد بن سعيد الأمين العام للمنظمة والرفيق أحمد عضو م.س حيث جرى استعراض الأوضاع الفلسطينية والمغربية وموقف الطرفين منها. حيث أكد الجانب المغربي الفلسطيني على أهمية دعم الانتفاضة مادياً ومعنوياً. وضرورة أن تلعب الأحزاب والقوى الديمقراطية والشعبية العربية دوراً في هذا الأمر.

السيد عبد القادر قدورة رئيس مجلس الشعب السوري يستقبل وفداً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين



استقبل السيد عبد القادر قدورة رئيس مجلس الشعب السوري وفداًمن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي مسؤول قيادة الجبهة خارج الوطن المحتل، وضم الوفد الرفاق أبو أحمد فؤاد، أبو علي حسن، مروان الفاهوم أعضاء المكتب السياسي للجبهة.

وقد دار الحديث خلال اللقاء حول التطورات السياسية على الصعيدين الفلسطيني والعربي في ضوء تصاعد سياسة التهديد والعدوان والممارسات الإجرامية التي تمارسها قوات الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة. وقد أكد وفد الجبهة خلال اللقاء إصرار الشعب الفلسطيني على مواصلة وتصعيد الانتفاضة حتى يتم انتزاع كامل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة وتقريرالمصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

كم أكد وفد الجبهة على أهمية تحريك وتفعيل دور الشارع العربي في دعم الانتفاضة وتعميق التضامن العربي لمواجهة التحديات الخطيرة التي تواجه العرب خاصة بعد صعود الإرهابي شارون لسدة الحكم في إسرائيل، والقصف الأميركي البريطاني الغادر للعاصمة العراقية بغداد.

ومن جانبه أكد السيد عبد القادر قدورة أن السلام الشامل والحقيقي في المنطقة لا يمكن أن يقوم إلا على أساس قرارات الشرعية الدولية ومبادئ القانون الدولي وانسحاب إسرائيل من كامل الأراضي الفلسطينية المحتلة وكامل أراضي الجولان حتى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ كما أكد وقوف سوريا الثابت إلى جانب الكفاح العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني.

كذلك ثمن وفد الجبهة مواقف سوريا ودعمها للقضية الفلسطينية.

تصريح صحفي للرفيق أبو علي مصطفى

تعقيباً على ما تروجه بعض الأوساط النقابية والتي لا تحترم أصول العمل الديقراطي، أدلى الرفيق ابو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتالي:

1- إن الجبهة الشعبية وعلى لسان أمينها العام، أول من أكدت في دورات المجلس المركزي الفلسطيني على ضرورة عقد مؤتمرات وانتخاب قيادات الاتحادات الشعبية والمحلية بطرق ديمقراطية.

2- نؤكد على أن يحظى اتحاد المحامين .بهذه الفرصة الانتخابية لما له من مكانة سياسية واجتماعية وقانونية في العمل الوطني الفلسطيني.

3- لا صحة لما يشاع عن اتفاق مع أي جهة كانت يشكل بديلاً للانتخابات، بل نرى ضرورة احترام الرأي العام لدى المحامين بعقد انتخابات ديمقراطية لاختيار الأمانة العامة المناسبة وفقاً للأصول الديمقراطية.

المكتب الصحفي

٢٠٠١/٣/١٤

لقاء فلسطيني ـ كوبي في دمشق

التقى وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الرفاق / أبو أحمد فؤاد، ومروان الفاهوم عضوي المكتب السياسي، والرفيق ايهاب يونس عضو اللجنة المركزية، بوفد كوبي زار دمشق مؤخراً برئاسة السيد الدكتور (ريكاردو الاركون) رئيس المجلس الوطني للسلطة الشعبية) (مجلس النواب) عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الكوبي ودار البحث حول الموضوعات التالية:

المستجدات السياسية على الصعيدين العربي والدولي.

الانتفاضة الشعبية الباسلة في فلسطين، والأوضاع في كوبا.

وأكد رئيس الوفد الكوبي تأييد كوبا المطلق لنضالات الشعب الفلسطيني ولحقوقه الثابتة.

وأدان سياسات العدو والجرائم التي يرتكبها بحق شعبنا. وأضاف إن الإدارة الأمريكية الجديدة ستحاول أن تصعد الإجراءات العدوانية ضد كوبا والعراق، ولكن كوبا شعباً وقيادة قادرة على الصمود ووضع حد لأي اعتداءات تقوم بها الإدارة الجديدة. وسيكون أي إجراء عدواني مدان من قبل الرأي العام العالمي، ومعظم دول العالم.

وكذلك جرى لقاء في 3/11 مع وفد كوبي آخر زار دمشق وكان مشكل من: السيد خوسيه كابريرا ـ عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الكوبي رئيس دائرة العلاقات الدولية/عضو البرلمان/ مشرف الدائرة الإيديولوجية.

اباسكال ـ عضو دائرة العلاقات الدولية، مريم ـ عضو دائرة العلاقات الدولية وسفير كوبا في سوريا.

أما وفد الجبهة فضمّ الرفاق ـ أبو أحمد فؤاد ـ مروان الفاهوم عضوي المكتب السياسي للجبهة ـ صالح مبارك عضو اللجنة المركزية، ودار البحث حول التطورات على الصعيدين العربي والدولي وبشكل خاص الانتفاضة الشعبية الباسلة والمستجدات على صعيد الإدارة الأمريكية، والكيان الصهيوني، والموقف العربي، الرسمي إزاء الانتفاضة وحقوق الشعب الفلسطيني.

تحدث الرفيق مسؤول الوفد الكوبي مديناً بشكل واضح وحازم سياسات الامبريالية الأمريكية الداعية باستمرار والمنحازة في كل الظروف لجانب العدو الصهيوني.

كذلك عبر عن مواقف كوبا الداعمة والمساندة للشعب الفلسطيني والانتفاضة، وللدول العربية المحتل جزء من أراضيها.

د. ماهر الطاهر يدين موقف إدارة بوش حول القدس

تعقيباً على تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش حول نقل السفارة الأمريكية إلى القدس أدلى الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤول قيادة الخارج بتصريح أدان فيه بشدة موقف الإدارة الأمريكية الجديدة التي توضح منذ بداية عهدها انحيازها لسياسة العدوان الإسرائيلي وابتعادها عن قرارات الأمم المتحدة ومبادئ الشرعية الدولية.

مما يؤكد أنها لا يمكن أن تكون راعياً نزيهاً ومرجعية لما يسمى بعملية السلام.

ودعا الطاهر القمة العربية القادمة في عمان إلى تحمل مسؤولياتها واتخاذ موقف جاد إزاء الموقف الأمريكي الذي يتحدى مشاعر العرب المسلمين.

كما أكد على ضرورة أن تتخذ القمة العربية قرارات واضحة بتحقيق المصالحة العربية الشاملة لتعزيز التضامن العربي ودعم الانتفاضة الفلسطينية بشكل عملي وفك الحصار عن العراق.

ورحب بمؤشرات التقارب الرسمي السوري ـ الفلسطيني واللقاء الذي سيتم عقده في قمة عمان بين السيد الرئيس بشار الأسد ورئيس م.ت.ف السيد ياسر عرفات مؤكداً أن هذا اللقاء يمكن أن يشكل فرصة تاريخية وبداية مرحلة جديدة في العلاقات لمواجهة المخاطر الكبرى التي تحيط بقضية فلسطين والمخاطر الحقيقية التي تواجهها الأمة العربية ودعا إلى ضرورة بناء سياسة فلسطينية جديدة تقوم على أساس وقف التفاوض مع اسرائيل وفق المرجعية الأمريكية واستعادة وحدة م.ت.ف على أساس برنامجها الوطني الجامع لمواجهة استحقاقات المرحلة القادمة.

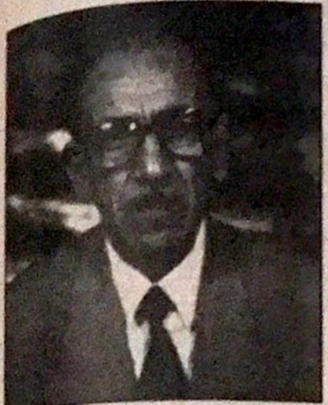
المكتب الصحفي

زيارة لضريح القائد وديع حداد

على هامش زيارته لبغداد قام وفد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق أبو أحمد فؤاد يرافقه عدد من الرفاق أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للجبهة ورفاقنا في العراق بزيارة ضريح القائد الكبير وديع حداد في بغداد.



تعزية



تتقدم أسرة تحرير الهدف من آل نوارة الكرام في سوريا والأردن وفلسطين بأحر التعازي بوفاة المناضل الفلسطيني محمود إسماعيل نوارة «أبو هيثم» ولد الفقيد في عين كارم ـ قضاء القدس عام ١٩٢٣م

كان الفقيد من أوائل المشاركين في التصدي للغزوة الصهيونية في فلسطين والدفاع عن عروبتها مع الشهيد المناضل الكبير عبدالقادر الحسيني وانضم إلى حركة القوميين العرب وكان عضواً بارزاً في نادي فلسطين ولجنة العمل الوحدوي الفلسطيني.

توفي يوم الأربعاء ٢١/٣/٢٠٠٢ أثر مرض عضال، لقد كان الفقيد مثالاً للشجاعة والتضحية في الدفاع عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وم.ت.ف كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. للفقيد الرحمة ولآله وذويه الصبر والسلوان.

حفل في تشيلي

اقامت الجالية الفلسطينية في تشيلي حفلاً في بداية عام ٢٠٠١حضره رئيس الجمهورية ديكاردو لاغوس والكثير من القيادات السياسية والاجتماعية بمناسبة مرور قرن على مجيء الفلسطينيون إلى تشيلي.

ـ قامت مجموعة الوفاء للحكيم بالصاق المناشير حول موضوع حق العودة في الشوارع ومباني الجامعات.

ـ وستقوم منظمتنا وبمشاركة اتحاد طلاب جامعة التشيلي بإقامة اسبوع فلسطين حيث يقام معرضا فلسطينياً وتلقى المحاضرات والأفلام والندوات حول القضية الفلسطينية وحق العودة.

بيان عسكري صادر عن قوات المقاومة الشعبية الفلسطينية

بمناسبة التاسع من آذار الذكرى السنوية لاستشهاد القائد عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين «محمد الأسود (جيفارا غزة)»، ورداً على تصريحات أقطاب حكومة الكيان الصهيوني الجديدة ورأسها تصريحات الإرهابي شارون، تحركت مجموعة الشهيد (جيفارا غزة)، أحد مجموعات قوات المقاومة الشعبية الفلسطينية ونفذت هجوماً بقذائف الهاون على مستوطنة «نتساريم» جنوب مدينة غزة، وذلك في تمام الساعة السادسة وعشر دقائق من يوم الخميس الموافق ٢٠٠١/٣/٨.

عهداً لشعبنا وكل القوى الحليفة له أن نستمر بعملياتنا المسلحة لدعم الانتفاضة وتصعيدها وإيقاع أكبر الخسائر في صفوف الاحتلال على طريق جعله مشروعاً خاسراً على كافة الأصعدة، ومن ثم طرده وقطعان مستوطنيه من فلسطين التاريخية.

وإننا حتماً لمنتصرون

قوات المقاومة الشعبية الفلسطينية
الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ٢٠٠١/٣/٩

تصريح صحفي

شعبنا لن يرضخ وسيواصل المقاومة حتى دحر الاحتلال. ندعو جماهير شعبنا لتحدي الحصار بتنظيم المسيرات الجماهيرية الحاشدة. على النظام العربي الرسمي الارتقاء لمستوى التحدي واستحقاقاته القومية. إجراءات الاحتلال الهمجية تؤكد عدالة المطلب الفلسطيني بالحماية الدولية

ليس غريباً أن تحاول حكومة الوحدة الصهيونية، ستر إجراءاتها الفاشية ضد شعبنا، بحديث زائف عن استعدادها لمواصلة مسيرة سلام مزعوم، كنوع من البراعة السياسية، ولكن الغريب، أن يواصل الخطاب العربي الرسمي، لوك ذريعة إعطاء حكومة الإرهابي شارون فرصة اتضاح سياساتها، كغطاء لعجز هذا الخطاب عن الارتقاء لمستوى التحدي، الذي تكشف استحقاقاته السياسية والمادية والمعنوية، أساليب وممارسات الخنق والتقطيع المنظم للأرض والحياة الفلسطينية، والتي وصلت في همجيتها حدتحويل الأرض الفلسطينية لمجموعة من المعازل والسجون المتجاورة.

في هذا الإطار، ونظراً لتصعيد العدوان الإسرائيلي وفاشية أشكاله، فإننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وفي الوقت الذي ندعو شعبنا الفلسطيني إلى مواصلة المواجهة والمقاومة، نناشد جماهير أمتنا العربية للضغط على نظامها الرسمي، للكف عن التملص من مسؤولياته القومية تجاه ما يتعرض له شعبنا من قتل وحصار وتجويع وتقطيع أوصال، عبر تقديم الدعم والإسناد بكل مستوياته وفي مقدمة ذلك، التحرك فوراً على الصعيد الدولي، للمطالبة بتوفير الحماية الدولية المؤقته لشعبنا، على طريق دحر الاحتلال السبب الأول، والأخير لمعاناة شعبنا واستبقاء عوامل عدم الاستقرار والأمن في المنطقة، إن الإجراءات الاحتلالية التي تشهدها مدننا وقرانا ومخيماتنا الفلسطينية، لدليل عملي على الطبيعة الحقيقية لسياسات حكومة الإرهابي شارون، وبرهان اخر، على عدالة المطلب الفلسطيني بالحماية من العدوان، وشرعية نضاله ضد الاحتلال لنيل حقوقه الوطنية المشروعة في العودة وتقرير المصير وبناء الدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
المكتب الصحفي رام الله - فلسطين
٢٠٠١/٣/١٢

شكر

تتقدم لجان العمل الصحي في غزة والضفة الغربية بالشكر للجالية الفلسطينية في كوبلنز لتبرعها بـ ٣٥٠٠مارك و٣٠٠٠مارك لفرعيها وأسر الجرحى في لبنان وتؤكد شكرها للجالية لتبرعها بـ٣٠٠٠مارك للجرحى.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تنعي الشهيد سمير كنعان (أبو الرائد)



نعت مجلة الهدف والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن الشهيد سمير نامق شكري كنعان (أبو الرائد) الذي وافته المنية في مدينة نابلس بتاريخ ٢٠٠١/١/٣/٨ إثر مرض عضال. ووري جثمانه الطاهر على أرض الوطن.

- الرفيق من مواليد نابلس عام ١٩٥١.
- انضم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في السبعينات في بغداد حيث أكمل دراسته الجامعية وشارك الرفيق في الكثير من معارك الدفاع عن الثورة وفي سبيل تحقق الأهداف الوطنية لشعبنا.
- عضو في اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين منذ عام ١٩٨٩.
- تسلم العديد من المهام كان آخرها ترؤسه لتحرير مجلة «المقاتل الثوري» وكان فضلاً عن ذلك محرراً في مجلة «الهدف».

«أبو الرائد» يودع الأحبة مرتين

من المنفى.. إلى الوطن يرحل الأحبة دون وداع.. عائدين مع أسراب السنونو.

بالأمس القريب لملم أوراقه المتناثرة في بلاد الغربة.. حزم حقائبه وما تبقى لديه من ود، وقرر الرحيل إلى الوطن الغالي، الذي طالما أحبه وناضل في سبيل العودة إليه.. هذا الحلم الوردي لم يدم طويلاً على ابتسامة «أبو الرائد» التي لا تغيب..

بالأمس كان بيننا يقاسمنا الوجع وهموم الثورة يقاسمنا الفرح والنضال.. مرةً من بيروت الصمود.. ومرة أخرى من بغداد العاصية على الحصار.. ومرات من دمشق التي أحبته بكل شوارعها ومخيماتها.. ومنها، من بين الأحبة والرفاق غادر إلى الوطن الحبيب.. إلى نابلس جبل النار والثورة.

هكذا كان «أبو الرائد» هادئ في كل شيء رغم سنوات الغربة الطوال.

متى كانت أسراب السنونو أيها الراحل تغادرنا بلا وداع..؟

من نابلس جبل النار يهاتفنا الأحبة هناك، وهم في عجلة من أمرهم.. نرفع سماعة الهاتف.. «أنا أسيل من نابلس»، أسيل ابنة العشرين تتكلم نيابة عن والدها وتقول: «كل عام وأنتم بخير أنا أسيل ابنة «أبو الرائد».. أريد أن أبلغكم أن والدي كان بوده أن يودعكم عن قرب.. كان بوده أن يصافح الجميع.. وكان حلمه الوحيد أن يقبل كل الرفاق، لكن القدر فرض علينا أن نبلغ الأمانة عنه..» في هذه الأثناء أخذ الصوت يتلعثم ممزوجاً بالآهات والألم ثم ينقطع الاتصال.. حينها أدركنا أن زميلنا «أبو الرائد» رحل لكن هذه المرة دون قرار.

عفواً أيها الوديع.. لم نكن نعلم أن القدر سوف يخطف ابتسامتك.. لم نكن نعلم أيها العزيز، أن قلبك النابض بالعطاء سوف يتوقف يوماً دون قرار.

أيها الراحل مرتين، إن مشاعرنا تمزقت مرتين، الأولى عندما غادرتنا من دمشق إلى نابلس الصامدة، والثانية عندما خطفك القدر وأنت تُقبل تراب وطنك الغالي، دون أن نستطيع ان نقبل جبهتك الشامخة.

عزيزي الراحل مع الشمس.. اليوم تحتضننا سلسلة الذكريات نتأمل فيك المناضل الشغوف الجاد..

بالأمس كنت بيننا نقلب سوياً صفحات العدد من «مجلة المقاتل الثوري» نتأمل الموضوعات.. ونضع الخطوط على الصفحات في إشارة منك لموضع الصواب والخطأ.

عزيزي الراحل الحاضر في ذاكرتنا.. مشاعرنا تهتز ونحن نسمع صرخة الأبناء من نابلس، وهم يزفون لنا خبر رحيلك.. فيختلط الوجع بالصرخة.. والآه بالمقاومة.. والدموع بالذكريات التي لا تنتهي... عزيزي «أبو الرائد» من المنفى المفروض علينا رغماً عن أنوفنا نلوح لك برايات النصر والأمل، ونعاهدك بأن مسيرة النضال سوف تستمر، رغم عنجهية الأعداء فالوطن جدير بلقاء أبنائه الميامين.

وأخيراً أيها الراحل بلا وداع، هل تسمح لنا أن نودعك من منافي الغربة، ونرسل إليك مع أسراب السنونو دمعتين ووردة.

صلاح رشدي المدني

التحديات الفلسطينية.. في عهد حكومة شارون

عبد الرحيم ملوح

كشفت السنوات الماضية، للقاصي والداني، بأن القوى المركزية في إسرائيل، ليست جاهزة للتخلي عن توسعاتها وأحلامها التوراتية، من أجل الوصول لتسوية سياسية، تضمن الحد الأدنى من الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه بالعودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس. وعدم نضج واستعداد إسرائيل هذا، شكل السبب الرئيسي لوصول الاتفاقات والمفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية إلى طريقها المسدود، برغم التنازلات الفلسطينية المجانية التي قدمت على مذبح انجاحها، واستمرار الاحتلال وسياساته التوسعية والعدوانية، والفشل المحتوم لاتفاقات أوسلو، والأوضاع الداخلية الفلسطينية الصعبة، وصلت بالأوضاع إلى ذروة الأزمة، مما فجر، انتفاضة الأقصى والاستقلال الوطني، وإمعاناً من الاحتلال في سياسة الغطرسة والعدوان بقيادة ائتلاف أحزاب الوسط واليسار بزعامة باراك، لجأ للقوة العسكرية لقمع الانتفاضة وحصار وتقتيل شعبنا، بما في ذلك أهلنا في مناطق ٤٨. وفي ضوء فشل هذا الائتلاف في إجهاض الانتفاضة عسكرياً وسياسياً، وتفاقم الأزمة السياسية في إسرائيل داخلياً وخارجياً، نجح ائتلاف اليمين الصهيوني والتوراتي بزعامة شارون بالوصول للحكم، والتحق به رموز الجناح اليميني في حزب العمل.

إن الحكم على شارون وحكومته، يجب أن ينطلق أولاً، من برنامج هذه الحكومة المعلن والذي أعطى الأولوية للأمن الإسرائيلي، أي قمع الانتفاضة وفرض الحصار بكل أشكاله على الشعب الفلسطيني، والبحث عن حلول جزئية وانتقالية طويلة الأمد، مع تأجيل القضايا الأساسية مثل اللاجئين والقدس.. الخ، وهذا يعني الإبقاء على سقف الحكم الإداري الذاتي إلى آماد طويلة، وإطلاق يد الاحتلال ومستوطنيه لفرض أمر واقع جديد يومياً، وثانياً، الاستفراد بالوضع الفلسطيني وبحد أدنى من التدخل الأمريكي، بما يعنيه ذلك من استبعاد دور الشرعية الدولية والأمم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية والإقليمية.. الخ.

لقد جيء بقمة الفاشين والعنصريين في إسرائيل لقمة الهرم السياسي من أجل ضمان سيطرة مفهوم الأمن والتوسع والهيمنة، ولإخراج إسرائيل من مأزقها السياسي داخلياً وخارجياً. والتجربة التاريخية تعلمنا أن المجتمعات عندما ترفع إلى هرمها القيادي غلاة الفاشين والعنصريين، فإن هذا يدلل على تزايد الميول الفاشية والعنصرية لديها، وعن حجم مأزقها السياسي في آن. وفي ما يتعلق بإسرائيل كمجتمع انتوقراطي ـ كولونيالي، فإن اتيانها بهذه الطغمة العنصرية والفاشية، يفتح الأبواب على أكثر من اتجاه، وتحديد في أي الاتجاهات ستسير الأمور، يتعلق بعدة عوامل داخلية وخارجية، وهي مرشحة للسير في إحدى الإتجاهين التاليين: الاتجاه الأول، هو نجاح هذه الطغمة في تحقيق السياسة التي جاءت من أجل تطبيقها وهذا في حال حصوله، سيعزز من نفوذ اليمين وهذه الطغمة بالذات، وسيعطي رسالة للمجتمع الإسرائيلي أنه بالاعتماد على اليمين، بإمكانه فرض هيمنته وتحقيق تطلعاته التوسعية.. الخ. والاتجاه الثاني، هو فشل هذه الطغمة في الوصول لأهدافها السياسية، وتحقيق أجندتها التي جاءت من أجلها. وعندها فقط يمكن أن تصل الفاشية والعنصرية التوسعية الإسرائيلية إلى ذروتها، وتبدأ بالعد العكسي، مما يفتح الباب أمام دور متنامي لقوى السلام الإسرائيلية، ويساهم بتوفير الأرضية الموضوعية للوصول إلى تسوية متوازنة تقوم على أساس الانسحاب الإسرائيلي الكامل وتنفيذ قرارات الشرعية الدولية. وعلى هذا الطريق يواجهنا عدة تحديات أهمها:

إن التحدي الأول، الذي يواجه الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية والإسلامية، يكمن في إدامة الانتفاضة والمقاومة، وكسر للمفهوم الإسرائيلي الأمن أولاً، الذي جاء شارون وائتلافه اليميني لتطبيقه، وهذه الإمكانية قائمة ومتوفرة رغم صعوبة الوضع الفلسطيني وقسوة الظروف الأمنية والاقتصادية التي يعاني منها شعبنا الفلسطيني. وإدامة الانتفاضة تقتضي، المحافظة على الطابع الجماهيري لها وتنوعه، وتجديد أساليب وأشكال المجابهة مع الاحتلال، وتقليص الأضرار في صفوف الاحتلال ومضاعفة كلفة احتلاله لبلادنا، وتعزيز صمود الشعب الفلسطيني بفئاته المحتلة المختلفة كافة.

والتحدي الثاني، هو عزل شارون وأركان حكومته سياسياً، على المستوى العربي والدولي، ونجاح هذه العملية يكمن في الموقفين الفلسطيني أولاً، والعربي ثانياً. ويتأتى هذا من خلال وقف التفاوض مع شارون وحكومته على اساس مرجعيات أوسلو، التي ثبت عقمها، والتمسك بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية وإطارها كمرجعية سياسية وقانونية لأية تسوية، وتزداد أهمية هذا الموقف الفلسطيني عندما نعلم أن شارون يريد التفاوض على اتفاقات انتقالية وجزئية طويلة الأمد. تبقى على أيدي إسرائيل طليقة في التحكم بالأرض والشعب معاً. وعزل شارون عربياً، يتأتى من خلال وقف أي لقاءات معه وعدم استقبال مبعوثيه وإغلاق العواصم العربية في وجهه سياسياً واقتصادياً. فلا يعقل أن نطالب العالم بمحاكمة شارون كمجرم حرب، وعدم التعامل معه ومع زئيفي وليبرمان دعاة الترانسفير والتمييز العنصري، وبذات الوقت نتعامل معهم عربياً.

والتحدي الثالث، بناء استراتيجية سياسية فلسطينية ـ عربية شعبية ورسمية، تقوم على توفير متطلبات النجاح في أولاً وثانياً، والتحرك دولياً، للضغط على عواصم القرار الدولي، وفي المقدمة الأمم المتحدة وأمريكا والاتحاد الأوروبي، مستندين لعناصر القوة العربية وهي كثيرة، وبالضغط على عصب المصالح الأمريكية والأوروبية أساساً. من أجل تعديل مواقفها المنحازة لإسرائيل وسياساتها التوسعية والعدوانية، ودفعها



لاتخاذ مواقف أكثر توازناً، من قضايانا الوطنية والقومية وفي مقدمتها قضيتي فلسطين والعراق. فعالم اليوم تحركه وتتحكم فيه المصالح الاقتصادية والسياسية، وكلنا يعرف أن منطقتنا، تشكل مركزاً هاماً للمصالح الحيوية السياسية والاقتصادية لكل من أوروبا وأمريكا خصوصاً والدول الصناعية الكبرى عموماً. كونها تختزن أكبر احتياط مكتشف للنفط، واستقرارها مع ضمان تدفق النفط، مصلحة حيوية للعديد من دول القرار العالمي.

والتحدي الرابع، إعادة ترتيب الوضع الذاتي الفلسطيني وتجنيد قوى وفعاليات شعبنا في الوطن والشتات، وتحديد الأولويات السياسية والاجتماعية، بما يوفر مقومات صمود شعبنا لمدة طويلة. فمعركتنا مع طغمة شارون قاسية وطويلة، وتتطلب تجنيد جميع إمكاناتنا، وتفعيل مؤسساتنا الوطنية [مؤسسات م.ت.ف والسلطة] والأهلية [الاتحادات، المنظمات الشعبية والأهلية والمجالس البلدية والقروية..]. ومحاربة مختلف جوانب الترهل والقصور، والفساد وإشراك جماهير شعبنا وقواه الوطنية في القرار السياسي والوطني، وهذا يتطلب إجراءات حازمة في بعض المؤسسات والهيئات، لأن بعض رموز الفساد المالي والاقتصادي أصبحوا أدوات للفساد السياسي، وبما يهدد المصالح السياسية الوطنية لقضيتنا وشعبنا، وبعض هؤلاء ربطوا مصالحهم الاقتصادية والمالية بالاحتلال، وباتوا يخشون على هذه المصالح من تصعيد المجابهة مع الاحتلال، الأمر الذي يفرض، إقصاء هؤلاء وإبعادهم عن التأثير في القرار السياسي والاقتصادي والإداري.

إن التغير والتجديد في بنانا السياسية والإدارية، وفي مؤسساتنا السياسية الوطنية وفي المقدمة مؤسسات م.ت.ف والسلطة الوطنية ومختلف منظماتنا النقابية والمهنية، وفي المجالس البلدية والقروية، بأن يشكل مصلحة سياسية وطنية، إضافة لكونه حاجة ديمقراطية، والتلكؤ بالمباشرة فيه يلحق الضرر بالصمود والمجابهة، والمدخل الوحيد، لعملية التغيير والتجديد هو بالانتخابات الحرة الديمقراطية.

والتحدي الخامس: يكمن في النجاح بالاستفادة من التناقضات في المجتمع الإسرائيلي في السياسة والممارسة معاً، والتعامل مع القوى السياسية والاجتماعية الإسرائيلية في ضوء مواقفها من حقوق شعبنا الوطنية، وموقفها من ممارسات وسياسات الاحتلال. وليس من المصلحة السياسية الفلسطينية أو العربية ان يتوحد الإسرائيليون خلف حكومة اليمين الفاشي، ولهذا فإننا بحاجة لاتباع سياسة تعمق التناقضات الداخلية السياسية والاجتماعية في إسرائيل وتوظيفها سياسياً. فسياسة كلهم «يهود» وكلهم «صهاينة» ليست مفيدة هنا، فقد انتصر الفيتناميون في شوارع واشنطن وفي أدغال فيتنام معاً.

ويحظى بأهمية استثنائية دور جماهير شعبنا وقواه السياسية والاجتماعية في مناطق ٤٨، فهم يشكلون جزءاً لا يتجزء من الشعب الفلسطيني، ومكوناً أساسياً من مكوناته الوطنية والسياسية، وقوة هامة وفاعلة في معركة التحرر الوطني والديمقراطي الفلسطيني. ومن الهام جداً وعي خصوصية هذا التجمع من شعبنا، وإيجاد آلية التفاعل والتكامل فيما بينه وبين شعبنا في الضفة والقطاع والشتات، والحرص الشديد على عدم الإثقال عليه وعلى قواه بمطالب ومهام تتجاوز قدراته ولا تراعي ظروفه الخاصة، وتلحق الضرر بعملية تطوره وتطويره لمؤسساته الوطنية والثقافية والسياسية.

إن مجابهة الاحتلال وحكومة شارون وائتلافه السياسي، والانتصار عليه ممكنة، وقدرات شعبنا على الصمود كبيرة، وإرادته السياسية والوطنية لن يستطيع أحد كسرها، وتصميمه على دحر الاحتلال ونيل الاستقلال ليس له حدود. وما يساعده على الإسراع في جعل كل هذا حقيقة سياسية مادية وملموسة هو استراتيجية سياسية فلسطينية وعربية واضحة. تتمسك بدحر الاحتلال وبتنفيذ قرارات الشرعية الدولية، التي تؤكد على حق شعبنا بالعودة وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، ودعم مقومات انتفاضته وصموده مادياً ومالياً، وتوفير الحماية الدولية في مجابهة الفاشية الإسرائيلية ■ ■

الانتفاضة.. رؤية راهنة واستراتيجية

عارف سليمان

منذ ستة شهور متواصلة والعالم يعيش ظاهرة كفاحية للشعب الفلسطيني على أرض فلسطين في مواجهة الاحتلال الصهيوني.. هذه الظاهرة الفريدة في خصائصها وسماتها في قاموس الثورات العالمية، والتي فرضت نفسها اسماً ومفهوماً ومصطلحاً سياسياً يطلقه عليها العالم بكل لغاته، إنها انتفاضة الشعب الفلسطيني التي مازالت تتواصل في ظل أسوأ الظروف العالمية المجافية، وفي ظل الهيمنة والغطرسة الأمريكية على الشعوب الضعيفة.. تلك الانتفاضة تحمل قدراً عالياً من الأبعاد والدلالات والأهداف والآفاق وعلى المرء أن يتأملها بعين فاحصة وعقل مفتوح، وأدوات علمية كي لا تسقط الأهواء والرغبات وتحمل الانتفاضة أكثر من طاقتها الثورية، أو تجوف بأقل من حملها الوطني الموعود..

ورغم أن الشعب الفلسطيني عرف ومارس الشكل الانتفاضي في كفاحه منذ الغزوة الصهيونية على أرضه، بدءاً من ثورة البراق الشهيرة عام ،29 وانتفاضة 36 التي استمرت ستة شهور وأجهضت على وقع الوعود العربية والوجاهات الفلسطينية حينذاك، وانتفاضة عام 1987 والتي استمرت سبعة أعوام كاملة والتي أجهضت بفعل مجموعة من العوامل كان على رأسها اتفاق أوسلو.. إلا أن انتفاضة الأقصى اليوم تمتلك من السمات والخصائص الجديدة ما يميزها عن غيرها حيث عمقت ورسخت مفهوم الانتفاضة كشكل نضالي وأدخلته مجدداً في الفكر السياسي الفلسطيني الاستراتيجي.. فقد تفجرت كنقيض لمعادلات سياسية محلية وإقليمية ودولية في ظل الظروف التالية..

الانتفاضة من رحم الظروف المجافية

أولاً : تفجرت في ظل ظروف دولية مجافية، نظام دولي جديد، يسيّد ويشرّع القوة الأمريكية في العالم باعتبارها القطب الأوحد في العالم، ويعطيها حق التعامل مع قضايا العصر بغطرسة وهيمنة واضحة.. الأمر الذي يعطي الانتفاضة دلالات واضحة باتجاه قدرة الشعوب الصغيرة وبأسلحتها البسيطة والمتواضعة وبحجارة أرضها و إرادة أبنائها أن تتحدى جبروت القوى الكبرى وهيمنتها وغطرستها، وتفرض معادلات إقليمية جديدة ليس سهلاً تجاوزها، وليس ممكناً منع آثارها..

ثانياً: تجيء انتفاضة الأقصى في ظل ظروف عربية غير مواتية حيث غياب التضامن العربي، وسيادة النزاعات القطرية، مما يؤشر على أهمية العامل الذاتي الفلسطيني وبشكل أساسي في صياغة البدائل الوطنية والكفاحية..

ثالثاً: تأتي الانتفاضة في ظل انحسار الاحتلال المباشر عن المدن والمناطق الكثيفة السكان حيث راهن الاحتلال بأن الابتعاد عن الكثافة السكانية سيقلل من احتمالات تفجر الانتفاضة، فإذا بالانتفاضة تتجاوز هذه الصعوبات وتصل إلى مناطق أ، وب، وج، ومناطق 48..

رابعاً: تفجرت الانتفاضة في ظل اتفاق أوسلو، واشتراطاته السياسية والأمنية والعسكرية، والتطبيعية على كل المستويات.

خامساً: تفجرت وتواصلت مع وجود سلطة فلسطينية عملت طيلة السنوات الماضية منذ توقيع أوسلو على شل الحركة الكفاحية الفلسطينية التزاماً واستجابةً لشروط أوسلو السياسية والأمنية.

سادساً: جاءت وسط مناخ عربي وفلسطيني ودولي" سياسي وإعلامي ونفسي" يتجه نحو القبول بالكيان الإسرائيلي، وتقبل منطق السلام معه، ومع دعوات لا تتوقف عن تجاوز الصراع العربي الإسرائيلي وقيام نظام شرق أوسطي بديلاً للنظام العربي..

سابعاً: جاءت بعد مخاض طويل من المعاناة الصعبة للشعب الفلسطيني طيلة سبع سنوات عجاف حاول الراعي الأمريكي المنحاز أن يفرض معادلته السياسية الظالمة على الشعب الفلسطيني في كل جولات التفاوض كان آخرها كامب ديفيد الثانية لإنهاء الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، مما يؤشر على أن الانتفاضة شكلت بمضمونها رداً قاسياً على محاولة الضغط والفرض والإلزام لقبول الشعب الفلسطيني ما هو مرفوض تاريخياً.

الانتفاضة شكل من أشكال النضال المتاحة

وإذا كان الكفاح المسلح كشكل ومفهوم كفاحي قد احتل لعقود سابقة مكانة هامة في الفكر السياسي الفلسطيني باعتباره الشكل الوحيد للنضال، فإن الانتفاضة أضحت تحتل مكاناً وحيزاً هاماً في الفكر السياسي كشكل آخر من أشكال النضال الوطني الفلسطيني في إطار الرؤية الاستراتيجية والراهنة للصراع العربي الإسرائيلي وما كان لهذا الشكل الانتفاضي المتجدد أن يأخذ البعد الاستراتيجي في الصراع لولا تراجع وانعدام أشكال المواجهة العربية مع العدو الصهيوني سواء الصراع العسكري النظامي أو الشعبي.. أي أن العقل الفلسطيني في لحظة تاريخية معينة اشتق هذا الشكل من النضال وطوره، وأغناه، ومارسه في الزمان والمكان المناسبين بعد أن عزت الرؤى العربية للصراع، وبعد أن عز السلاح على الشعب الفلسطيني، وبعد أن رحلت م.ت.ف. عن لبنان، وتم ملاحقتها في الشتات، وبعد دفعها إلى مربع التسويات والمساومات..

في هذا السياق فانتفاضة الأقصى ليست انتفاضة عفوية أو عبثية مهما شابها من قصور أو مثالب، ومهما حاولت بعض القوى أن تنزع عنها نظاميتها أو شرعيتها عبر تصويرها" بالشعبية" المنفصلة عن القوى السياسية المنظمة.. هذا التحليل حاول أن ينزع عنها انتماءها إلى الفكر السياسي الفلسطيني، وينسبها إلى العفوية والعبثية، ويبقيها في إطار هبة صراع أو جولة صراع مقطوعة الجذور، وبدون أغصان أو ثمار، وغير محددة الأهداف والوظائف..في حين أن واقع الانتفاضة وتواصلها حتى اللحظة بعد مضي ستة شهور يبقيها إبناً شرعياً للفكر السياسي الفلسطيني الذي صاغه الشعب الفلسطيني مع قيادته وقواه السياسية المختلفة عبر صراعه المتجدد مع الاحتلال.

وعليه فالانتفاضة بانتمائها إلى الفكر السياسي الكفاحي الفلسطيني فهي تملك وظائف راهنة واستراتيجية في إطار الرؤية للصراع العربي الإسرائيلي، فهي :

مفهوم ووظيفة الانتفاضة استراتيجياً

أولاً: فعل سياسي صراعي متطور مع الكيان الصهيوني.. والعودة إلى الحجر والسكين والمقلاع والمظاهرة والاعتصام هو أسلوب وشكل دفاعي في مرحلة دفاعية تستوجبها الظروف المجافية في لحظة تاريخية معينة، وبالضرورة لا يرقى هذا الفعل إلى مستوى الحرب النظامية أو الشعبية المسلحة، إلا أنها عملية صراعية تراكمية متكاملة مع أشكال أخرى من الصراع تحدث تغييراً في الواقع المجافي، وتحدث تطورات وتداعيات جديدة على الصراع، وتلحق مستوى من الخسائر البشرية والاقتصادية والسياسية في جسم الكيان الصهيوني، كما تحدث مستوى آخر من الانتصارات الصغيرة التراكمية التي تفسح المجال لآفاق وفضاءات مواتية لممارسة الصراع، ودون أن تتحول إلى عصا سحرية تنوب عن ضرورات الصراع العربي الشامل مع الكيان، إنما تؤسس

مقدمات صحيحة لهذا الصراع بإتجاه الشمولية والرؤية الثاقبة.

ثانياً: إنها "حركة شعبية" واعية مسيسة وممسوك بمقودها تضع الشعب الفلسطيني في ساحة المواجهة المباشرة مع الاحتلال الصهيوني، وهي بهذه السمة أوسع وأشمل من فعل النخبة الفصائلية، أو الأجهزة العسكرية، أو القوات الخاصة او السرية، وتنقل الشعب الفلسطيني من طور كفاحي ضيق إلى طور كفاحي أوسع، وهي تجمع بين الأشكال السلمية والجماهيرية والعنفية وفق متطلبات اللحظة المناسبة، وهي بهذه السمة تجعل من إمكانية هزيمة الشعب الفلسطيني من الزاوية الكفاحية والسياسية والمعنوية أمرٌ في غاية الصعوبة، فعلى مر التاريخ كانت تهزم الجيوش والعروش وتبقى الشعوب تقاوم دون مهادنة أو تعب.

ثالثاً: في ظل تفوق القوة المادية العسكرية الصهيونية وقدرتها على تدمير القوة العربية الموازية لها.. فالانتفاضة بأدواتها وأسلحتها السلمية والمحدودة الحجر والمقلاع، والحناجر، والقبضات والمسيرات والاعتصامات، تعمل على تحييد القوة العسكرية الصهيونية المتطورة والمتفوقة تكنولوجياً، وتفوت الفرصة على العدو في استخدامها رغم لجوئه إلى العنف والقتل والأساليب العسكرية والأمنية المتكورة لوقف الانتفاضة، إلا أنه يبقى عاجزاً عن استخدام مخزونه التكنولوجي في المواجهة كما مع الجيوش العربية النظامية، مما يفقده مزايا هجومية خاطفة وسريعة لفرض معادلاته العسكرية والسياسية، الأمر الذي يجعل من الانتفاضة سيرورة موضوعية يصعب وقف تأثيراتها.

رابعاً: الانتفاضة كمفهوم سياسي كفاحي، وعصيان شعبي، هي نقيض حالة قسرية قائمة في الأرض المحتلة، أي نقيض القبول بالأمر الواقع والاستكانة له ولتداعياته وتحمل رسالة واضحة وموضوعية إلى الاحتلال الصهيوني بأن لا استقرار ولاأمن لكل المجتمع الصهيوني طالما بقي الاحتلال، وان الصراع مفتوح على مصراعيه ولا يوقفه سوء الحالة العربية أواتفاقات إذعان هنا أو هناك.

خامساً: الانتفاضة في سياق ميكانزماتها وتأثيراتها تبتعد بوظيفتها موضوعياً في اتجاه آخر عبر انتقال الشعب الفلسطيني في مناطق 48 الذي يتعرض للعنصرية الصهيونية من دائرة المساندة والمؤازرة «التضامن على أهمية ذلك» إلى دائرة المشاركة والفعل الانتفاضي وفق خصوصية الظروف المعاشة مع هذا الجزء من الشعب الفلسطيني، وهذا لايتم بقرار إنما يحدث عند مستوى محدد من نضج الظروف الموضوعية والذاتية واستمرار الانتفاضة والسيطرة على مقودها سيساهم في إنضاج هذه العوامل الموضوعية المواتية.

سادساً: كذلك الحال فالانتفاضة نقلت وظيفتها موضوعياً إلى أبعد من بيئتها الفلسطينية وخارج نطاق حركتها المباشرة باتجاه الحالة العربية الرسمية والشعبية حيث أحدثت حالة عربية شعبية ورسمية نسبياً أكثر أثراً وفعلاً وموائمة من الحالة السابقة المجافية بالمطلق في سياق الصراع العربي ـ الإسرائيلي.. وقدمت الهم الفلسطيني عربياً وقومياً على الهموم العربية الأخرى.

سابعاً: كما لايمكن التقليل من شأن البعد الاستراتيجي الآخر للانتفاضة وهو بعد الكلفة البشرية والمعنوية للاحتلال وهي الأكثر تأثيراً على بنية المجتمع الصهيوني النفسية بالإضافة إلى الكلف المادية والأمنية والسياسية والاقتصادية التي من شأنها أن تشعر الاحتلال ومستوطنيه بأن خيار الاحتلال والتطرف والإرهاب له كلفة عالية سيبقى يدفعها المجتمع الصهيوني بأكمله حتى رحيله...

هذه بعض وظائف وفضاءات الانتفاضة موضوعياً كعملية صراعية تراكمية في إطار الصراع التاريخي المفتوح والشامل، يمكن تفعيلها والارتقاء بها ضمن رؤية سياسية واعية للاستراتيجية العليا للشعب الفلسطيني، ولهدفه في الحرية والاستقلال وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة على نحو يضع الكيان الصهيوني أمام استحقاقات "بدايات أفوله واندثاره.

انجازات الانتفاضة

ولعله من الطبيعي أن يثار السؤال التالي: هل لامست الرؤية الاستراتيجية للانتفاضة أرض الواقع.. أم هي مجرد إرهاصات نظرية وتجريدية ورغبوية تحمل الانتفاضة أكثر من قدرتها وإمكاناتها.

في الواقع إن ما حققته حتى الآن انتفاضة الأقصى يشي بالجواب حيث يقرب الانتفاضة إلى المكانة الاستراتيجية.

أولاً : وضعت مجدداً علامة استفهام كبيرة أمام خيار التسوية مع العدو الصهيوني وأعادت الاعتبار مجدداً لمكانة " الصراع مع العدو الصهيوني هو صراع موضوعي وصراع وجود وشامل ومفتوح، ويتجدد موضوعياً بفعل نضوج عوامله الموضوعية والذاتية".. وهي بهذا تكون قد هزمت الفكر الذي ولدته حالة العجز العربي، وعلى هديه ظهرت ما يسمى بقوى السلام العربية، ودعاة التطبيع، وجمعيات ومؤسسات المصالح المشتركة، ومجموعة كوبنهاجن السلامية..

هذا " الفكر الواقعي" الذي لاينتمي إلى الواقعية بقدر ما يحمل في ثناياه بذور الفشل والهزيمة والقبول القسري بالعدو هزمته مفاعيل الانتفاضة وأفرغت مقولاته ودعاواه، ووضعت رموزه وحامليه وجهاً لوجه أمام حقيقة موضوعية وهي موضوعية الصراع.

ثانياً: رفعت الانتفاضة القضية الفلسطينية من مكانة هابطة إلى نقطة متقدمة في سلم أولويات اهتمام الرأي العام العربي والدولي.. حيث كشفت عن الحجم الهائل من التضليل السياسي الذي حاول أن يظهر أن القضية الفلسطينية قد انتهت باتفاق أوسلو وان الحقوق الفلسطينية قد ابتلعتها الاتفاقات، ولم يعد هناك مايمكن تسميته حقوق تاريخية وثوابت وطنية وفي المقدمة منها حق العودة.

ثالثاً: على الصعيد العربي: فقد أعادت الانتفاضة الاعتبار للبعد العربي والقومي للقضية الفلسطينية حيث عمل الخصوم والأعداء على ضرب هذا البعد من خلال الحلول المنفردة، ومن خلال تكريس القطرية العربية وفصل الهموم العربية بعضها عن البعض باعتبار أن كلاً منها هماً وإشكالاً قطرياً..! بيد أن الانتفاضة وحدت الوجدان العربي وأخرجت المفاهيم والمقولات القومية الكامنة في الوجدان العربي إلى الساحة السياسية والثقافية والأدبية والفنية، الأمر الذي يؤشر إلى إمكانية تأسيس حالة نهوض عربية بالتراكم والتفاعل بين هموم الوطن العربي الكبير...

ومن زاوية أخرى تحول الشارع الشعبي العربي، ولأول مرة منذ عقود من حالة ساكنة مغلوبة على أمرها إلى حالة مؤثرة، ويقظة شعبية تفرض نفسها على النظام العربي الرسمي وتدفعه إلى أخذ قرارات وتوجهات لم يكن وارد الأخذ بها لولا الضغط الشعبي والخوف من تطورات الوضع وتداعياته..

وليست من الموضوعية تجاهل قرارات الدعم المادي من النظام العربي الرسمي كتوجهات من القمة العربية، إذ هي نتاج وحصيلة مفاعيل الانتفاضة على الصعيد العربي.

وكذلك الحال يجب رؤية الدور النشط والمؤثر الذي تقوم به العديد من القوى الشعبية والأحزاب العربية، وقطاعات الفنانين والأدباء، والشعراء التي أعادت الاعتبار للمواقف والأماني القومية، والأغنية الوطنية ودور كل ذلك في الوجدان العربي منذ زمن طال فيه وصف الثوابت الوطنية والأدب والشعر الوطني والأغنية الوطنية بالشعارات الجوفاء...!!

رابعاً : على المستوى الإسرائيلي: لاأحد يستطيع أن ينفي أن إسرائيل تعيش وضعاً سياسياً دفاعياً ووضعاً أمنياً دفاعياً، ولانقول عسكرياً.. فالمجتمع الإسرائيلي كله يعيش حالة استنفار عليا تحسباً لعمليات الانتفاضة...

ومن ناحية ثانية فقد أحدثت الانتفاضة هزات سياسية هائلة في المجتمع الإسرائيلي طالت رأس السلطة وقاع المجتمع، حيث أسقطت رئيس الوزراء من عليائه وعنجهيته وغروره، وشكلت رقماً مؤثراً في المعادلة السياسية الداخلية الإسرائيلية حيث كانت عاملاً مهماً في عدم اتفاق أي من الحزبين الكبيرين العمل والليكود أو الأحزاب الصغيرة مثل شاس على تشكيل حكومة وحدة وطنية.. مما أحدث التداعي نحو سقوط

الحكومة والتوجه لانتخابات عامة جديدة قبل انقضاء فترة باراك الرئاسية.

ومامجيء شارون خلفاً لباراك إلا برهاناً على أن المجتمع الإسرائيلي رغم كل مناخات التسوية، ورغم كل اتفاقات التسوية منذ كامب ديفيد وحتى أوسلو وملحقاته لم ينتقل بعد من موقع العنصرية والتطرف إلى موقع "المقابل بالسلام أو المتصالح مع نفسه" لازال مجتمع متطرف مغلق يعتمد في تطرفه على أساس فكري توراتي وسياسي وقانوني عنصري حيث أنه على مدار قرن من الزمان يتأسس على مفاهيم عنصرية وأوهام مغلقة تظللها الأفكار العنصرية على الدوام..

بيد أن الانتفاضة رغم سيادة العنصرية والمجتمع المغلق إلا أنها طرقت بقوة أبواب هذا المجتمع وأحدثت هزات نفسية وسياسية في قاعه كما في قمته، ولعل تشكيل منظمة "أمهات من أجل الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 67" على غرار "أمهات أربع" التي عملت من أجل الانسحاب من جنوب لبنان يعكس مدى القلق والخوف من المجهول لدى جزء كبير من الإسرائيليين الذين يلهثون وراء الاستقرار.والأمان على أرض فلسطين، وكذلك عبارات من نوع " كن شجاعا وإفعل في الأراضي الفلسطينية ما فعلته في جنوب لبنان، وأوقف هذا الجنون وأخرج جنودنا وأطفالنا الذين لا نريد لهم أن يقتلوا أو يقتلوا" وأزيلوا المستوطنات التي تشكل شوكة في حلوق الفلسطينيين وتمنعهم من التنفس والحياة" التي تم مخاطبة باراك بها قبل أن يسقط من عليائه من قبل أمهات إسرائيليات ماهي إلا طرقاً قاسياً لجدار هذا المجتمع العنصري المغلق. من قبل مفاعيل الانتفاضة، قد يحدث هزات نفسية عميقة في حال استمرارها وزيادة كلفتها على الاحتلال.

خامساً: أما إذا حصرنا أنفسنا في دور ووظيفة الانتفاضة على مساحة الرؤية السياسية الراهنة والقائمة على مسار التسوية المفروض بموازين قوى محلية ودولية وعربية فقد أمدت الانتفاضة المفاوض الفلسطيني بأوراق قوة تفاوضية مؤثرة وفاعلة يصعب تجاهلها من قبل الآخر الإسرائيلي والدولي، مما يرفع من سقف المطالب الوطنية والتمسك بالثوابت الوطنية، إذ لم يعد سلاح الانتفاضة يقاس بمسافة رمية الحجر الفلسطيني على الدبابة الإسرائيلية بقدر ما يقاس بقدرتها على التأثير المتواصل في تسخين الحالة العربية والدولية وجعل القضية الفلسطينية في صدر الاهتمام العالمي.

وما قرارات القمة العربية السابقة والمرتقبة على محدوديتها إلا استجابة لهذا الفعل الانتفاضي، وكذلك إغلاق الممثليات الإسرائيلية والمكاتب التجارية في عديد من الدول العربية هو إنجاز انتفاضي لايمكن تجاهله حيث سيشكل ضغطاً سياسياً على الكيان الإسرائيلي..

إن رؤية راهنة واعية لدور الانتفاضة، ورؤية استراتيجية لوظائف شتى للانتفاضة كفيل بأن يجعل من الانتفاضة بوابة الصراع المفتوح والشامل مع الاحتلال الصهيوني ■■

مذكرة من اللجان الشعبية الفلسطينية في شمال لبنان

وجهت اللجان الشعبية الفلسطينية في شمال لبنان مذكرة للمفوض العام للأونروا جاء فيها:

من منطلق تأكيدنا بحق عودتنا إلى وطننا فلسطين نطالبكم ومن موقع مسؤولياتكم الانسانية إعادة النظر بمستوى الخدمات التي تقدم لشعبنا من حيث تطورها وزيادتها وتوسيعها بما يضمن الحياة الكريمة التي يتمتع بها أي مواطن في العالم.

لذا جئنا نعرض عليكم في هذه المذكرة مطالبنا المحقة لشعبنا ليستطيع الاستمرار في الحياة لحين عودته إلى فلسطين.

مطالبنا هي:

١ـ البنى التحتية:

تنفيذ مشاريع البنى التحتية في مخيم البداوي والبارد (الصرف الصحي ـ شبكات المياه ـ تزفيت الطرقات ـ تشريع آبار المياه بالكهرباء).

٢ـ الصحة:

زيادة الموازنة العامة للاستشفاء.

زيادة الليالي السريرية في المستشفيات.

تأمين التصوير الشعاعي (M.I.R وسكانر) وكل ما يحتاجه المريض.

تأمين الفحوص المخبرية اللازمة لحاجة المريض.

تأمين الأدوية الشهرية واليومية بشكل منتظم وبما يضمن فعالية هذه الأدوية لحاجة المريض حسب تطوير الجانب العلمي في الصحة.

تبني العمليات الكبيرة (القلب المفتوح ـ غسل الكلى ـ الكانسر «مرض السرطان»).

معالجة دائمة للفلسطيني كبير السن فوق ٦٠ عام.

تأمين سيارة كبيرة لنقل النفايات في كل مخيم.

ـ التعليم:

استكمال بناء الثانوية في الشمال(ثانوية الناصرة)، وتجهيزها بكافة الوسائل الحديثة للتعليم(مختبرات علمية ـ أجهزة كمبيوتر)، لكي يستوعب كافة المراحل الثانوية.

تأمين فرص عمل للطلاب الخريجين من المعاهد الأكاديمية أو المهنية من قبل الأونروا لتشغيلهم وإيجاد فرص العمل لهم.

إلغاء نظام الدفعتين لما له من أثر سلبي على مستوى التعليم.

تأمين القرطاسية والكتب والمعلمين في بداية كل عام دراسي.

٤ـ المهجرين:

العمل من خلالكم مع الدولة المضيفة(لبنان) لإعادة المهجرين إلى مكان سكنهم السابق.

بناء مسكن لكل مهجر فقد منزله في لبنان.

اعتماد تجمعات المهجرين بين ضمن خدمات الأونروا في المنطقة.

٥ـ الشؤون الإجتماعية:

اعتبار وضع المخيمات في لبنان ومنها الشمال بحالة إغاثة طارئة نظراً للظروف الصعبة التي يعيشونها بسبب عدم توفر الحقوق المدنية الإجتماعية لهم.

تحديث قانون الشؤون الإجتماعية بإعادة النظر بالقوانين التي تعتمد عليها الشؤون الإجتماعية بتقديم خدماتها.

اعتماد حالات(N.R) كباقي الفلسطينيين لدى الأونروا في لبنان.

وتفضلوا بفائق الاحترام

٢٠٠٠/١/١٥

رسالة من لجنة التنسيق الشيوعي (فرنسا) للجبهة الشعبية

وردتنا رسالة من المكتب الوطني للجنة التنسيق الشيوعي فرنسا رداً على الرسالة التي أرسلت لهم بمناسبة انعقاد مؤتمرهم الوطني، فقد عبرّت الرسالة عن شكر شعبنا الفلسطيني والجبهة ومؤسسها الرفيق الدكتور جورج حبش والرفيق الأمين العام أبو علي مصطفى. وقد تضمنت الرسالة عمق التضامن من لجنة التنسيق مع الشعب الفلسطيني في إطار الصراع ضد الإمبريالية. وأكدت الرسالة على استعدادهم لتأمين الدعم المادي والسياسي، وأكدت على المواقف البطولية لشعبنا والثقة بالانتصار لقضيتنا. ومواصلة الرفاق في اللجنة على النضال حتى تعترف الدولة الفرنسية بالحق الغير قابل للتصرف للشعب الفلسطيني بوطنه، وأكدوا على تضامنهم النضالي مع الجبهة.

مؤتمر دولي في طهران لدعم الانتفاضة

يقام في العاصمة الإيرانية طهران المؤتمر الدولي لدعم الإنتفاضة الفلسطينية في ٢٤ ـ ٢٥ نيسان ٢٠٠١، ويبحث الموضوعات التالية:

1ـ فهم الإنتفاضة الفلسطينية. 2ـ أهداف واستراتيجية الصهيونية في المنطقة والعالم. 3ـ الفلسطينيون والعالم الإسلامي.

ويشارك في المؤتمر رؤساء برلمانات ووفود برلمانية إسلامية، الأحزاب والتجمعات الفلسطينية، المجموعات والشخصيات الإسلامية والثورية.

ويهدف المؤتمر التنسيق اللازم بين العاملين لدعم الأنتفاضة الفلسطينية جذب الدعم المادي والمعنوي المطلوب من أنحاء العالم لصالح الإنتفاضة تنبية الراي العام العالمي إلى خطر الإباده الجماعية التي تقوم بها اسرائيل والصهيونية ضد الشعب الفلسطيني.

فضح الأساليب الفاشية والعنصرية التي يمارسها الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين.

الفساد، يعطل انبثاق الطاقة الشعبية

علي جرادات
عضو المكتب السياسي ومسؤول دائرة الإعلام المركزية
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

لا يصبح السؤال الاستغرابي بريئاً حين يقول: "هل هذا وقت الجدل والنقاش في موضوع الفساد، والشهداء يتساقطون، ومن المستفيد الآن من فتحه؟". كما أنه ليس من البراءة أيضاً، تعويم قضية الفساد في بلادنا/ باعتبارها جزءاً من مظاهر موجودة في كافة دول العالم. وذلك يعود لسببين هما: أن الجدية في فتح معركة الاستقلال الوطني ودفع الطاقة الشعبية بهذا الاتجاه تتطلب قيادة مؤتمنة على هذا الهدف، وتولي مصالح الوطن العليا أولوية على مصالحها الفردية. وثانياً: لأن عملية البناء الأولي إن قامت على أساس من الفساد فإن مصيرها الانهيار، وبالتالي إذا كان الفساد كمظهر له انتشاره في دول العالم أجمع، فإنما هو نتيجة فرعية من نتائج تضخم دور الدولة وجهازها البيروقراطي.

لقد سقنا هذا المفتتح كي نؤكد أن موضوعة الفساد في بلادنا، وإن كانت حتى الآن غير موثقة سوى فيما أورده تقرير هيئة الرقابة العامة اليتيم، الذي لم تعرف أسباب نشره الحقيقة حتى الآن، ولم يعقب هذا النشر أي تقرير آخر يراكم عليه، هذه الموضوعة تحتاج إلى مزيد من النقاش وفي أصعب الأوقات التي يبذل فيها الدم، ويعاني فيها شعب بأكمله وطأة حصار وتجويع، فيما عيون الجائعين وأسر الشهداء تنظر إلى بعض مظاهر الرفاه التي تعيشها شخصيات مرموقة ونصف مرموقة في المجتمع، دون أن يكون هناك أدنى مبرر موضوعي لهذا الرفاه. وبالتالي فإن الاستعداد الكفاحي للجماهير لا زالت تخذله وتعطله عن الحركة والفعل، كثير من المظاهر السيئة التي نزعت إلى حد كبير من ثقة الجمهور بالسلطة، وأوجدت فجوة بينها وبين النخبة السياسية المتنفذة في كافة المجالات.

والفساد كظاهرة في الحالة الفلسطينية، ليس وليد قيام السلطة الفلسطينية إثر اتفاق أوسلو، بل إن له جذوره الممتدة في تربة أجهزة ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية التي شكلت الكيان الوطني للشعب الفلسطيني في المنفى، والتي تضخمت أجهزتها البيروقراطية، والإدارية، لدرجة بهتت وجهها الكفاحي، لصالح وجه إداري وصل حد التحنيط. وبهذا فإن الفساد الذي نعيش مظاهره في الوطن الآن، لم يكن ليحتاج إلى فترة زمنية طويلة كي يبرز كظاهرة عامة، فقد جرت عملية انتقال جاهزة من الشتات إلى الوطن وفي تربة يمكن أن تكون أخصب لنمو مظاهر الفساد، سيما وأن الموضوع متعلق بعملية تفاوض، وتأسيس مؤسسات جديدة، ذات مهمات تختلف نسبياً عن مهمات إدارات منظمة التحرير.

ويبرز هنا سؤال مهم : وهو: "إذا كان معظم منظري علم الاجتماع والسياسة والإدارة الغربيين يجمعون على أن الفساد أكثر انتشاراً في بلدان العالم الثالث منه في البلدان المتقدمة، فما هو الأساس الاجتماعي لهذه الظاهرة؟". قبل الإجابة على هذا السؤال علينا أولاً أن نطرح جانباً هذا المفهوم الاستشراقي عن طبيعة العالم الثالث، والذي يحاول المنظرون الغربيون زرعه في أذهاننا كنمط ثابت، لندخل إلى تحليل للبنى الاجتماعية في بلادنا، كإحدى بلدان العالم المنكوب بنتائج الهجمة الاستعمارية الغربية عليه.

فالمجتمع الفلسطيني، الذي تعاقبت عليه أنظمة سياسية مختلفة ليست من صلبه، وإن كان بعضها قريب إليه، لم تتشكل فيه دولة ومؤسسات قائمة على اختيار الشعب الحر، وكانت مظاهر الإكراه والقمع هي المظاهر الأكثر بروزاً في علاقة الأنظمة التي سادت عليه معه. فيما شكلت البنى الاجتماعية التقليدية والإرثية عامل حماية، ومصدراً للنفوذ في المجتمع أكثر من الإنجاز الفردي، حيث ظلت الثقافة السياسية السائدة تقليدية، رغم كل مساحيق الحداثة التي طليت بها إبان فترة النهوض الوطني في العقد السابع من القرن الماضي. فقد تساوقت تشريعات مختلفة من بينها تشريعات أساسية مع هذه الحالة التقليدية كما تمت مأسسة البنى التقليدية بشكل رسمي من خلال مجالس العشائر، وغيرها من المظاهر التي اعتمدت خطوط التقسيم الإرثي على حساب العلاقات المؤسسية غير الإرثية القائمة على أساس مجتمع سياسي تحكمه علاقة المواطنة. وهنا أيضاً ليس بالضرورة أن نحكم على براءة اعتماد هذا التقسيم من ذهنيات تعتبر نفسها متنورة، لكنها في النهاية تستخدم استنارة عقلها هذا في تحقيق مصالح ذاتية بعيدة عن كل المفاهيم التي تحملها عن التقدم و التطور، وهنا جذر الفساد. فالنخبة السياسية القائمة هي منفصلة في ذهنها وتفكيرها عن الثقافة السياسية في المجتمع، لكنها ترى أن مصلحتها تقوم على الالتصاق في ميدان الممارسة العملية بهذه الثقافة السائدة. فهي نخبة عزفت عن التغيير، ولجأت إلى التماهي مع التقليدي السائد.

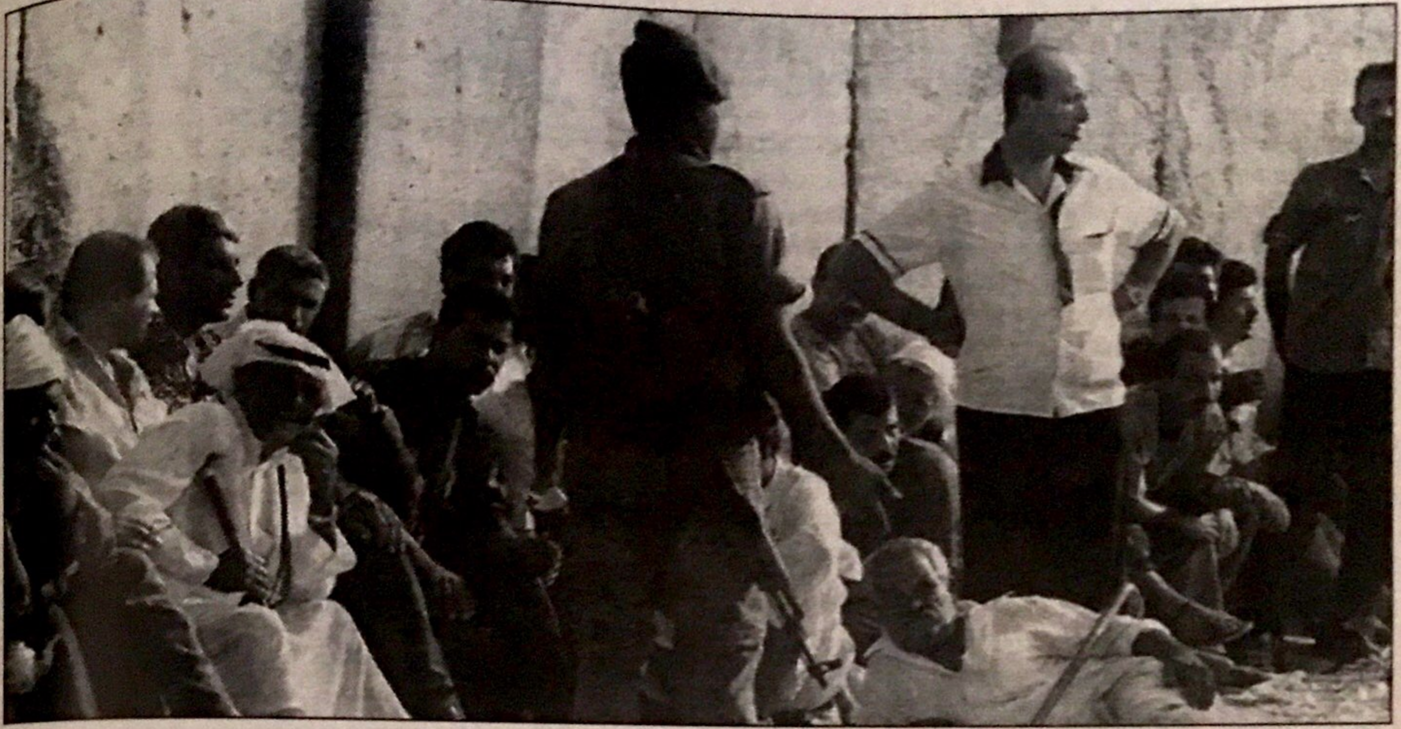
إن سلطة حددت حصصاً في هيئة تشريعية وطنية، وطرحت قانوناً لتعيين المخاتير، وتعاملت مع الواقع كقدر في لحظة كانت فرصتها مواتية لأن تغير، هي سلطة لم تضع نصب عينيها بناء نظام عصري، يشكل نموذجاً وقدوة للجوار العربي. وهنا بات من السهل على الجميع أن يلجأ إلى البنى التقليدية لتحقيق مصلحته الشخصية، وبات الولاء للهم العام، ولاءً يمر عبر كل الولاءات التقليدية والمحلية ليصبح ولاءً مقيداً، بحدود ما يحقق هذا العام، للشخصي من مصالح ومنافع.

بعد هذه المقدمة التي شكلت تحليلاً للإطار الذي تعمل فيه المؤسسة الفلسطينية، لا بد من استعراض أهم مظاهر الفساد وأشكال تجليه في المؤسسة والحياة الفلسطينية.

الفساد السياسي:

نعني هنا بالفساد السياسي، سوء استخدام السلطة السياسية، وهيمنة سلطة على سلطة في إطار النظام السياسي القائم. فحين يكون الأصل فصل السلطات، نجد تركيزاً لهذه السلطات ليس في يد سلطة واحدة، بل يصل هذا التركيز ليد شخص واحد هو الرئيس، حيث نجد أن دور مختلف السلطات مغيب تقريباً، فالسلطة القضائية غير مستقلة، وغير فاعلة، وقراراتها لا تؤخذ بعين الاعتبار، وأحياناً، يزاحمها نفوذ الأجهزة التنفيذية المختلفة على صلاحياتها، فيما لا زال قانون استقلال القضاء معطلاً، وهناك عزوف عام عن العمل في السلك القضائي. أما السلطة التشريعية، فأعلى أصواتها هو الشكوى المتكررة من تجاهل السلطة التنفيذية لقراراتها، وعدم تنفيذ القوانين التي أصدرتها، إضافة للاعتداء على أعضاء في المجلس التشريعي ومضايقتهم، فيما يكثر الجمع بين وظائف تنفيذية وعضوية المجلس التشريعي، وهنا تستخدم تخريجة التفريق بين المنصب في منظمة التحرير الفلسطينية والمنصب في السلطة الوطنية كمدخل لتبرير الجمع بين الوظيفة التشريعية والتنفيذية.

أما على صعيد السلطة التنفيذية، فمجلس الوزراء، باعتباره قائداً للعملية التنفيذية شبه



معطل، بسبب تحويل اجتماعه الأسبوعي إلى اجتماع عام يعرف باسم القيادة، والذي لا يتم فيه التركيز على معالجة القضايا التي تهم الوزارات، فيما تفتقر معظم هذه الوزارات إلى خطط عملية وموازنات تعني بأغراض هذه الخطط. أما على صعيد الأداء السياسي سواء على المستوى الوطني أو الخارجي، فإن الاعتداء على حقوق وحريات الناس لا زال يشكل ظاهرة منتشرة في سلوك المتنفذين في السلطة، حيث الاعتقالات السياسية، وحيث إغلاق صحف ومحطات بث محلية، إضافة إلى عديد من مظاهر التمييز على أساس حزبي. وفي المستوى الخارجي، لا توجد مكاشفة حقيقية بين الشعب والحكومة، حول ما يجري من مفاوضات، ولا يوجد خطاب موحد للسلطة في هذا المجال، بينما تشكل محاولات إحلال السلطة وأجهزتها محل المنظمة جزءاً من عملية منهجية، حيث وضعت م.ت.ف في درج لتستخدم مؤسساتها عند الحاجة، فلا انتظام في اجتماع مؤسسات المنظمة، ولا فصل في المرجعيات.

الفساد الاقتصادي:

لعل أهم ظاهرة في الفساد الاقتصادي، هو ميل الأجهزة الحكومية نحو تحقيق ربح سريع من النشاط الاقتصادي، حيث يتضخم القطاع الكمبرادوري الخدماتي على حساب القطاع الإنتاجي، ويترعرع الاقتصاد الطفيلي على حساب الاقتصاد المنتج، ويصبح للحكومة احتكاراتها الخاصة. فيما نشأت مع قيام السلطة مصالح اقتصادية جديدة ناتجة عن النفوذ السياسي المتحقق لبعض الفئات والذي جير لصالح تحقيق نفوذ اقتصادي ومشاركات مضاربة مع القطاع الخاص. وانتشر ذلك سواء في القطاع الصناعي، أو في قطاع الصناعة الخارجية، والحصول على وكالات الاستيراد والتوزيع. فيما تدور إشاعات واسعة حول مشاركة عديد من متنفذي الأجهزة والدوائر الحكومية للقطاع الخاص في شركات مضاربة، الأمر الذي خلق فئة بيروقراطية مستفيدة من الوضع القائم، تحاول أن تبني لها مكانة اقتصادية، لتعزز دورها السياسي. هذه الفئة، تضطر للدخول في مصالح مشتركة مع الإسرائيليين، كما تضطر إلى الدخول في علاقات مع مؤسسات إسرائيلية ذات طابع حكومي للحصول على أذونات التصدير.

لقد سنت السلطة قانوناً لتشجيع الاستثمار يعفي كل رأسمال مستثمر يبلغ فوق مائة ألف دولار من ضريبة الدخل لمدة خمس سنوات، فيما سدت الاحتكارات الحكومية السبل أمام القطاع الخاص لتقديم استثمارات كبيرة، عدا عن اشتراط مشاركة السلطة في 30% من أصول ورأسمال أي مشروع استثماري كبير، دون أن تقدم السلطة حصتها في هذه المشاركة الأمر الذي نفر القطاع المستثمر من الدخول في سوق متقلب وغير مضمون العواقب على اساس هذه الشروط.

الفساد المالي والإداري:

يتعلق هنا بسياسات التوظيف في القطاع العام، وجباية الضرائب وتقديم الموازنة العامة. فعلى صعيد التوظيف العام لا توجد قواعد عامة وشروط تحدد الوصف الوظيفي لأي موقع وظيفي، ولا توجد حدود دنيا من الأسس الموضوعية للتوظيف، فرغم صدور قانون الخدمة المدنية إلا أن هذا القانون غير مفعل، ويفتقر إلى اللوائح التنفيذية المقرة، فيما تقوم سياسة التوظيف على أساس قدرة أي طالب وظيفة وبغض النظر عن مؤهلاته الوصول إلى واسطة تستطيع، ليس فقط الحصول على توقيع رئيس السلطة الوطنية لتوظيفه، بل والقدرة على إخراج هذا التوقيع إلى حيز التنفيذ من دهاليز الإدارات المختلفة، فالرئيس هو مصدر التوظيف، بوضعه أمام قوائم التنظيمات وحسبة الكوتات والمحسوبية والزبائنية هي المحرك العام لهذا التوظيف، فيما تغيب المسابقات، والمؤهلات، كما تغيب الفرص المتساوية في الحصول على الوظيفة العامة. ورغم كل التقارير والتقييمات التي تشير إلى تضخم الجهاز الحكومي ووظائفه، إلا أن هذا لم يستطع أن يشكل رادعاً لاستمرار عملية التوظيف حيث تأكل الرواتب جزءاً كبيراً من الموازنة العامة، ليشكل التوظيف العام مخرجاً لامتصاص البطالة وتحويلها إلى بطالة مقنعة.

إضافة على ذلك فهناك عدد هائل من المسجلين كموظفين على حساب القطاع العام سواء في الأجهزة المدنية أو الأمنية، لا يداومون على رأس عملهم، وكل علاقتهم بالوظيفة هو الوصول إلى البنك عند كل أول شهر لاستلام راتبهم، فيما يقومون بأعمال خاصة أخرى.

لقد دار جدل في أوساط الفلسطينيين حول أولوية الالتزام الوطني والتاريخ النضالي على الكفاءة المهنية، هذا النقاش العقيم، الذي لم يجد

في تجارب شعوب أخرى كالجزائر عبرة، استخدم أحياناً لكيل التهم من كل طرف للآخر، فيما يمكن القول أن مثل هذا الجدال كان من الممكن أن يحسم إلى غير رجعة لو عملت الإدارات الحكومية بشكل منهجي على الجمع بين الكفاءة المهنية والتاريخ النضالي.

أما في مجال الفساد المالي المتعلق بجباية الضرائب، وتحقيق الموازنة العامة، فحتى الآن لم تستطع السلطة الوطنية أن تجبي الضرائب بشكل يوفر للخزينة ميزانية، فالتلاعب بدفاتر الضريبة وعلاقات المحسوبية هي التي تحكم عملية الجباية، فليس التهرب من الضرائب هو المشكلة، بقدر ما هي الصفقات التي يعقدها الجباة مع أصحاب الأعمال هي مشكلة الجباية الضريبية.

أما في مجال الموازنة العامة للسلطة، فإن هناك بنوداً من الواردات لا تدخل ضمن الموازنة مثل الشركات الاحتكارية، وعائدات المحروقات، والتبغ ومؤسسات أخرى، يشكل ريعها أكثر من ثلث ميزانية السلطة الوطنية، حيث يذهب هذا الريع إلى حسابات أخرى، فيما لم تقدم في موعدها سوى آخر موازنة للسلطة الوطنية، وبعد ضغط شديد من المجلس التشريعي لوح فيه بحجب الثقة عن الحكومة، مما اضطرها إلى تقديم هذه الميزانية.

وبالنظر إلى الموازنة العامة نجد غياباً للخطة التنموية الحقيقية، فيما تشكل الموازنة كحساب عام لهذه السلطة، تعبيراً عن غياب اتجاهات التنمية وعشوائية وتوزيع الموارد، فنجد أن الموازنة، تطغى عليها المصاريف الإدارية والجارية من رواتب وأجور مقرات، وامتيازات لكبار الموظفين، وسفريات ...الخ، فيما تجلس على الهامش الموازنات التطويرية سواء في البنى التحتية أو في القطاع الإنتاجي أو القطاعات الخدمية الأساسية كالتعليم والصحة. الأمر الذي يبين أن الموازنة، ليست سوى قائمة مصروفات استهلاكية.

وهناك مظاهر غير منظورة من الفساد، يحسها المواطن، مثل الأتاوات التي يدفعها المجتمع لبعض الأجهزة، واستخدام النفوذ الأمني في تحقيق كثير من المصالح الشخصية.

لقد أدى هذا الأمر إلى نتائج يلمسها كل ملاحظ لحالة المجتمع الفلسطيني، فقد نمت شريحة من البيروقراطيين الحكوميين، لها مصالحها سواء مع القطاع الخاص، أو مع الاحتلال، وباتت هذه الشريحة معنية باستمرار الأوضاع على ما هي عليه، وهي بالتالي تدفع بالقرار الوطني تجاه مزالق خطيرة ليس أقلها الرضوخ لمتطلبات الاحتلال ومهادنته، فهناك شركاء في وكالات تجارية لبضائع إسرائيلية، وهناك شركاء بيروقراطيين للقطاع الخاص في وكالات أجنبية أخرى، وهناك شراكات مفروضة على بعض القطاعات الإنتاجية.

وأدى هذا الاستشراء للزبائنية إلى غياب المعايير العامة، وغياب المحاسبة كما أدى إلى اتساع الفجوة الطبقية، لنجد فئات مترفة، وشعب تحت خط الفقر، ويلاحظ الآن في المدن الكبرى، فرزاً بين الأسواق الشعبية، وأسواق أخرى يؤمها نخبة من المجتمع.

إن هناك تذمراً شعبياً لا زال مكبوتاً تجاه هذه المظاهر، وذلك بفعل وطأة الاحتلال الثقيلة، فيما تدرك النخب البيروقراطية عوامل كبت هذا التذمر ومجالات تفجيره، وهي بإدراكها هذا ترى أن المتنفس القائم لحالة الاحتقان يقيها شر المحاسبة والمسائلة، ويعطيها قوة للتمادي في نهب وهدر المال العام، والتكسب على حساب المصلحة الوطنية العامة.

وأحيت هذه الظاهرة نزعات محلية، ناتجة عن التمييز والتفاوت في توزيع الموارد، فحيث نجد العائد مقابل من ظل في الوطن، نجد الضفة مقابل القطاع، وحيث نجد الشمالي في الضفة مع الجنوبي مقابل الوسط، نجد الأرياف والمخيمات مقابل المدن، كما نجد اللاجئ مقابل المواطن، ونجد العشائر القوية المتنفذة مقابل العائلات الصغيرة. إن خطوط القسمة هذه يستحيل إنكارها في المجتمع الفلسطيني، وكل الحديث عن المجتمع المدني، والتثقيف به من قبل المنظمات غير الحكومية ذات التوجه المتغربن، هو حرث في البحر إذا لم يطرح هذه المشاكل بجرأة وصرامة الملتزم، لا بعقل الأكاديمي البارد.

ويرافق انتشار هذه النزعات انكماش لمنظمات المجتمع المدني ذات البعد الشعبي والجماهيري كالاتحادات المهنية والعمالية والنسوية، وتهميش للقوى الشعبية، واحتواء رسمي لهذه المنظمات بما يفقدها طابعها المستقل، ودورها الرقابي الشعبي. فأغلب منظمات المجتمع المدني الحقيقية، تغيب عنها الحياة الديمقراطية، بل هي في كثير من الأحيان معينة، وكل البلديات هي معينة بقرارات مركزية.

مقابل ذلك نجد منظمات غير حكومية تنتشر كالفطر، في المدن المركزية وهي لا تعتمد على التمويل المحلي سواء حكومي أو خاص، وإنما تعتمد على التمويل الخارجي، لتصبح أمام سلطتين ممولتين خارجياً، سلطة تحتكر العنف وإدارة المجتمع، وسلطة أخرى تحتكر التمويل القائم على رؤية غربية لحاجات مجتمعنا الفلسطيني، وليس على أساس حاجات حقيقية له. فالحديث عن فساد السلطة، لا يعفي أي موضوعي عن رؤية الفساد في أوساط هذه المنظمات المعزولة جماهيرياً في أغلبها، والتي تسعى لاسترضاء الممول ولو على حساب قلب احتياجات المجتمع، لتؤمن لها مكانة في النظام القائم، ولتحافظ على امتيازات بات من الصعب عليها التنازل عنها.

إن الشعور السائد اليوم في أوساط المجتمع الفلسطيني تجاه ظاهرة الفساد، هو سقوط مختلط بين الرفض والعجز عن التغيير، لدرجة بات التعامل مع هذه الظاهرة كقدر، حيث لم يطور المجتمع الفلسطيني حتى الآن ثقافة مواجهة في ظل ضعف وتردد وعدم مبادرة قوى وأحزاب سياسية على التنطع لهذه الظاهرة بجرأة، فهي إما لا تملك إمكانات المواجهة، أو لها نصيب في هذا الفساد لدرجة أضحت سياسة "دبر حالك" سياسة مجتمعية.

إن كل منظمات المجتمع المدني التي طرحت الفساد كقضية، قد اكتفت بالتبشير بالظاهرة، فيما لم تتخذ خطوة عملية جادة واحدة لمواجهتها، ورغم كل الحديث الذي يدور في الأوساط الدولية عن الفساد في هذه البلاد، إلا أن ذلك كله يتلاشى عند تطبيق المبدأ الذي وضع لها وهو "صنع السلام من خلال المساعدات"، فالمؤسسات الدولية مستعدة، لا بل وتسعى أحياناً لإفساد المجتمع، لأجل تحقيق أجندتها، والتي هي ليست إلا جزءاً من أجندة الدولة التي تنتمي إليها.

إن المجتمع الفلسطيني وقواه الحية مطالبة الآن وأكثر من أي وقت مضى لوضع يدها على هذا الجرح ومعالجته، كما أن ما تولد بفعل الإغلاق الصهيوني، أو المعيقات أمام تطور الانتفاضة، يجعل من الضروري إجراء جردة حساب مع الذات، وإعادة هيكلة آليات العمل في السلطة وفي مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية. وذلك يفترض أولاً احترام عقل الجمهور، وربط الشعار بالممارسة عند الجميع.

إن الجدل الدائر الآن حول حكومة وحدة وطنية فلسطينية وضرورتها، يجب أن يغادر الثنائية القائلة بأولوية الإصلاح على تشكيل الحكومة، أو أولوية تشكيل الحكومة على إجراء الإصلاحات. بل أن الضرورة باتت تفترض الذهاب نحو مزيد من الضغط على معارضي إجراءات الإصلاح والمتهربين منها تحت يافطة الوحدة الوطنية، أو تحت يافطة الانغماس في العمل الانتفاضي، عدا عن الاشتراط السياسي لتشكيل هكذا حكومة وجوهراً بالقطع مع أوسلو.

إن هناك استحقاقات وطنية داخلية لا بد من تلبيتها، أولاها المباشرة بفصل الاتحادات الشعبية عن أي جسم رسمي، وتفعيل نظمها وعضويتها وإجراء انتخابات لها، كما لا بد بعد ذلك من إجراء الانتخابات للهيئات المحلية والبلدية، وصولاً لإيجاد بنية مهيأة لخوض إجراء انتخابات وطنية عامة تبدأ بالمجلس الوطني الفلسطيني في الوطن والشتات مع ضرورة مغادرة النظام الانتخابي القائم باتجاه نظام أكثر عصرية يضمن التعددية، وينحي العلاقات الإرثية جانباً، باعتماد نظام يعتمد على التمثيل النسبي للأحزاب والقوى السياسية والاجتماعية المنخرطة في الحياة العامة ■■

قراءة سريعة في أحداث مابين الذكرى الـ ٢٤والـ ٢٥ ليوم الأرض

تعزز الإرادة السياسية المستقلة والشخصية الوطنية

عوض عبد الفتاح

المساحة الزمنية الفاصلة بين الذكرى الـ ٢٤ ليوم الأرض والذكرى الـ ٢٥، لا يجوز احتسابها بالناحية العددية بالأيام أو الأشهر- كما كان متبع في السنوات السابقة أي منذ انتفاضة الأرض عام ١٩٧٦.

بين هاتين الذكرتين احتشدت جملة من الأحداث والتغيرات الدراماتيكية اجتاحت ساحة الوطن بحدوده التاريخية هزت حسابات اللاعبين على هذه الساحة وأعادت الصراع إلى بداياته الأولى، وإن لم يكن بصورة أشد وقلبت وأربكت الكثير من حساباتهم. وربما هي المرة الأولى بعد عام 48 التي تجد فيها إسرائيل نفسها بإجماعها الصهيوني أمام الحقيقة الصارخة وهي استحالة طمس نتائج جريمتها المتمثلة بالتطهير العرقي ونهب الأرض والتمييز العنصري والمستمرة والمتواصلة آثارها، واستحالة التجزئة الحضارية والثقافية والنفسية بين أجزاء الشعب الواحد والأمة الواحدة رغم خصوصية موقع كل جزء.

بطبيعة الحال مثل كل انعطافة تاريخية في مسار أي صراع أو محطة نوعية في تاريخ نضال شعب سبقت الأحداث الأخيرة تراكم عوامل عديدة وحالة من الغليان التدريجي رافقها عملية إنضاج فكري وتطور في المفاهيم شملت الساحة الفلسطينية عموماً ففي السبع سنوات الأخيرة وبالتحديد بعد توقيع اتفاقية أوسلو بين إسرائيل والقيادة النافذة في م.ت.ف لنقل بعد توقيع هذا الاتفاق. سادت أوهام عديدة لدى أوساط معينة من الشعب الفلسطيني سواء في الضفة والقطاع أو داخل حدود إسرائيل الـ 48.

ففي الضفة والقطاع، كان الاعتقاد لدى مؤيدي الاتفاق أن اتجاه الصراع يسير نحو الانفراج والحل في حين أوساط عرب ال48 وبقيادة قوى سياسية عربية يهودية وعربية انتهازية متأسره له، تتبنى المساواة ضمن إطار الوطنية الإسرائيلية، رأت في الاتفاق والمفاوضات بين إسرائيل وم.ت.ف سنداً لمطالبها في إنهاء التمييز بين المواطنين العرب والتخلص من "عبء القضية الفلسطينية"، على اعتبار أن القضية الوطنية تنحصر في إقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع. أما العرب في إسرائيل فعليهم خوض النضال العربي - اليهودي المشترك لتحقيق المساواة والاندماج في الدولة اليهودية. وهذه القوى لم تكترث في كون الاتفاق كرس شرعية إسرائيل كدولة يهودية صهيونية ذات بنية قانونية عنصرية وكولونيالية، وليست دولة جميع مواطنيها.

وهكذا جاء اتفاق أوسلو(وعلى خلفية تطورات سلبية عربية وعالمية أخرى) ليفاقم تغليب اليومي المدني(حتى بشكل مشوه) على البعد القومي لنضال المواطنين الفلسطينيين في اسرائيل، وهو نهج قد بدأ قبل ذلك بكثير بعد أن ساهم يوم الأرض عام 1976 ولسنوات قليلة بعده في إبراز البعد الوطني الفلسطيني إلى جانب البعد المدني.

والحقيقة أن هذا النهج، نهج تغليب المدني على القومي، كان قد بدأ يدخل مرحلة متقدمة بعد حرب الخليج مباشرة، وليأخذ دفعاً كبيراً بعد أوسلو في ظل انتهاج قوى سياسية واجتماعية تحولت مع مرور الوقت إلى قوى تقليدية، فحولت دورها الحاسم في تنظيم يوم الأرض عام 76 إلى دور كابح للنضال الشعبي المتجاوز لسقفها البرنامجي والسياسي.

وقد بقيت الساحة (48) حتى تلك الفترة، أي بعد إخفاق الانتفاضة في تحقيق أهدافها وانهيار الاتحاد السوفياتي والنظام العربي الرسمي خالية تقريباً من قوى اعتراضيه على هذا التوجه المدفوع بعوامل موضوعية وذاتية. وفي ظل تراجع وضعف الحركة الوطنية الفلسطينية بتيارها العلماني(داخل إسرائيل) (حركة أبناء البلد، الحركة التقدمية وحركات وأوساط وطنية محلية أخرى) لم يكن بمقدور الحركة الإسلامية، القوة الصاعدة آنذاك، التي ترفض نظرياً الاعتراف بالواقع الإسرائيلي، والاعتراض ووقف هذا الانحدار، وإن كانت لعبت دوراً ما في الحد من التدهور في التماسك الجماعي على الأقل بين جزء من جمهورها من خلال العامل الديني، ويعود ذلك إلى كونها لا تملك مشروعاً خاصاً بعرب الـ 48 سوى طرح "الإسلام هو الحل" مما أدى إلى تجاذب داخلها بين ممارسة الرفض والتعبئة ضد الواقع وبين مهادنته، وكان من نتائجه انشطارها إلى قسمين، أحدهما يتبنى العمل البرلماني بطريقة مشوهة أما الآخر لا يخوضه ولكنه لا يعاديه بشكل منهجي.

وفي هذه الإثناء تنضج مبادرة فريدة لإعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية في إسرائيل استهدفت وقف الاندفاع نحو الطابع المدني والاندماج المشوه وإعادة الاعتبار إلى العمق الوطني لكفاحنا بحيث ومن خلال الرؤية والبرنامج الجديدين، تم التوضيح أنه ليس بالإمكان مواجهة الصهيونية وتحقيق الحقوق الجماعية للعرب من خلال التخلي عن الانتماء الوطني والكرامة القومية والتخلي عن دورنا في القضية الفلسطينية العامة والرابطة الوطنية التي تربطنا مع شعبنا ومع كفاحه من أجل الاستقلال والعودة، وقد اشترط المبادرون للعمل والتقدم بهذه الرؤية بنجاح، المطالبة بصورة منهجية بإلغاء يهودية الدولة والبنى القانونية العنصرية لإسرائيل وتحويلها إلى دولة كل مواطنيها مما يسمح بإبقاء المعركة ضد الصهيونية مفتوحة وفي الوقت ذاته تحقيق إنجازات صغيرة يومية قد تكون ليست ذات قيمة بالنسبة للهدف الاستراتيجي لكنها في غاية الأهمية على هذا الطريق، خاصة إذا ما أخذت في السياق التراكمي للنضال.

تجليات وثمار هذا الطرح

هذا الطرح أدخل عنصراً جديداً وحاسماً في تشكيل الخطاب السياسي الجديد لدى العرب في إسرائيل، وأوجد دينامية وفعل سياسي وجماهيري متنامي.. مستفيداً من إصرار الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على تهميش المواطن العربي وسد آفاق التطور والمستقبل أمامه كما وغذى الاقتناع المتزايد بهذا الخطاب انهيار الأوهام التي علقت على اتفاق أوسلو وبالتالي أيضاً انهيار الأوهام حول تحقيق المساواة للمواطنين العرب في إسرائيل. ومن ثمار هذا الخطاب أو الطرح أنه أوجد حالة من التنافس بين القوى السياسية المختلفة مما دفعها إلى العمل على رفع مستوى مشاركتها الجماهيرية وزيادة التشديد على البعد القومي والدعوة إلى التصدي العملي للاعتداءات الفعلية من جانب السلطة الإسرائيلية على بيوتنا وأرضنا ولكن دون أن



يؤدي ذلك إلى هضم هذا الطرح من جانب تلك القوى وتبني جوهره واستحقاقاته على المستوى البرنامجي والفكري والتنظيمي والتخطيطي، والمساهمة في إغنائه وتطويره.

ولذلك يمكن القول إن الأحداث التي شهدها الفلسطينيون في منطقة 48 خلال العام الماضي هي إفراز وامتداد طبيعي لحالة الصدام الخافت أحياناً والحاد أحياناً أخرى المتد على مدار السنوات القليلة السابقة بين محاولات إعادة بناء الذات الراغبة في إزاحة الظلم عن كاهلها وتحقيق الحرية والكرامة من جهة وسياسات العدو المتصاعدة كماً ونوعاً لمحاصرة هذه الذات وإبقاءها في دائرة ضيقة مكبوتة ومقهورة وعاجزة من جهة أخرى.

لقد أخفقت المؤسسة الإسرائيلية وأذرعها الحقيقية عن غالبية المجتمع اليهودي وواصلت حقه بالأكاذيب والتضليل ضد المجتمع العربي والشعب الفلسطيني ككل، وأوهمته أن المواطنين العرب يتمتعون بقدر كبير من المساواة والحقوق وكرست تقديس يهودية الدولة وتحويل ثروات البلاد لصالح اليهود، هذا ناهيك عن إخفاء الحقيقة عن عملية التطهير العرقي الذي قامت به عام 48، وقد دأبت على إظهار المواطنين العرب كمخلصين للدولة وبالتالي فإنهم بصورة عامة هم راضون عن أوضاعهم غير أن هناك بعض المتطرفين وهم قلة يقومون بالتحريض وتأجيج المشاعر القومية المتطرفة.

ولهذا السبب شكلت أحداث العام الماضي، وخاصة الهبة الشعبية في اكتوبر، مفاجأة للشارع اليهودي، الذي اعتبر تصرف المواطنين العرب والتعبير عن تضامنهم مع أبناء شعبهم في الضفة والقطاع، خيانة للدولة التي يعيشون فيها وبالتالي فإنهم يستحقون إطلاق الرصاص عليهم وقتلهم.

ولذلك فإن المواطن العربي لم يشعر في حياته بتضامن من المجتمع اليهودي سوى من بعض الحركات الهامشية التي لم تشكل تحدياً جدياً لمجمل السياسة الصهيونية العنصرية ضد العرب وقد أدرك بتجربته العملية والمرة أنه فقط من خلال الاعتماد على نفسه(العمل الجماعي) والصدام السياسي والجماهيري إلى جانب النضال القانوني مع سياسة السلطة هو الذي يرغم بعض أوساط المجتمع اليهودي للتضامن مع نضالنا.

وعندما خرج الموطن العربي في هبة اكتوبر إلى الشارع، لم يحسب وبحق ردّ فعل المجتمع اليهودي السلبي. لقد كان هذا المواطن قد وصل إلى حالة يأس ليس فقط من المؤسسة الإسرائيلية الرسمية بل أيضاً مما يسمى قوى السلام التي لم تقدم على أي عمل تضامني جدي خلال هدم البيوت ومصادرة الأرض ومحاصرة القرى العربية.

كل ذلك ساهم في إعادة ترميم الهوية القومية وتفعيل الطاقة الكامنة فيها والاعتماد على الذات وما يترتب على ذلك من رفع مستوى الفعل الشعبي القائم على الدفاع عن الذات بالسبل الممكنة، وقد شكل نهج التصدي لهدم البيوت عبر الاشتباك مع قوات القمع الإسرائيلية وإعادة بناء كل بيت يهدم مباشرة بعد هدمه نهجاً جديداً، كما حصل أولاً في قرية أم السحالي في الجليل الشرقي أوائل عام 1998، والبدء بعد اشهر قليلة بحملة ناجحة لتحرير أراضي الروحة قرب أم الفحم من الصيغة العسكرية. والتي فجّرت اشتباكات عنيفة بين المواطنين العرب وقوات القمع الإسرائيلية ووقوع إصابات كثيرة.

مدلولات الهجوم على المعسكر قرب سخنين

لم يكن صدفة أن تكسر جماهير الجليل روتين الاحتفال السنوي بيوم الأرض في الذكرى الماضية، حين هاجمت ومزقت سياج المعسكر الذي أقامته إسرائيل على أراضي سخنين واشتبكت مع قوات الشرطة المرابطة داخل المعسكر، والذي يمر بعد أمتار قليلة من بيوت الجهة الغربية والجنوبية للمدينة. لقد جاء ذلك في سياق عملية تطور الوعي الوطني مجدداً وتصاعد حالة الغضب والسخط الشعبي على الآثار التدميرية المتزايدة للسياسة الإسرائيلية ضد العرب. وقد كان الهجوم على سياج المعسكر وهدمه محاولة رمزية لتمزيق الحصار المفروض على القرى والمدن العربية وعلى المواطن العربي على شكل حزام المستوطنات المقامة على أراضي العرب، كما شكل في ذات الوقت تحدياً للقيادات التقليدية التي كادت تحصر النضال والدفاع عن الأرض في احتفال تقليدي في الذكرى السنوية، في حين يغيب النشاط الكفاحي المنهجي والمخطط على مدار العام، وقد كان لهذا الحدث، واستشهاد

الحاج أبو صالح وجرح المئات بالرصاص المعدني والغاز الخانق تفاعلات على مستوى الحركة الطلابية، حيث اندلعت عملية احتجاج واسعة وصدامات بين الطلاب العرب في مختلف الجامعات الإسرائيلية وقوات الشرطة، طغت عليها الشعارات الوطنية والقومية ورفع الأعلام الفلسطينية بكثافة.

كما وتواصلت تفاعلاتها في ذكرى النكبة(استقلال إسرائيل) حيث تظاهرات القوى السياسية الوطنية أمام موقع الاحتفال بهذه الذكرى في مدينة شفا عمرو بمشاركة عكاكيز وأعوان السلطة، والاصطدام مع قوات القمع التي أوقعت العديد من الجرحى أثناء تفريق المظاهرة بالرصاص المعدني وقنابل الغاز، وكانت تلك المرة الأولى التي يجري فيها هذا التحدي الواضح والقوي من جانب الفلسطينيين في إسرائيل ضد تنظيم احتفال بذكرى إقامة إسرائيل، ذكرى النكبة الفلسطينية وتحطيم الهالة والقدسية التي دأبت المؤسسة الإسرائيلية فرضها على المواطنين العرب وطلاب المدارس العربية ضمن السياسة الصهيونية لطمس الذاكرة الجماعية وتشويه وعي الأجيال الشابة.

لقد شكلت الصدامات في شفا عمرو ومدلولاتها السياسية والوطنية وكذلك المظاهرات الطلابية في الجامعات والتصدي لشارع عابر إسرائيل الذي يهدد بنهب عشرات آلاف الدونمات من الفلاحين العرب والهجوم على سياج المعسكر في مدينة سخنين الذي يخنق ويحد من توسعها وتطورها وغيرها من الأحداث الأخرى، بروفة ومقدمة للهبة الشعبية العارمة التي فجرها العدوان الإسرائيلي الوحشي على أبناء شعبنا في القدس وبقية المناطق الفلسطينية المحتلة أواخر أيلول الماضي.

وقد جاءت هذه الهبة المدفوعة موضوعياً بمجمل السياسة الصهيونية الإجرامية ضد المواطنين العرب - من مصادرة وخنق وحصار وتهميش وعنصرية سافرة والمتأثرة مباشرة بانفجار الانتفاضة الفلسطينية، لتنقل حالة اليقظة الوطنية من حالة وطنية محلية تدافع عن هويتها كأقلية قومية داخل إسرائيل إلى حالة وطنية فلسطينية عامة على اعتبار أن الهوية الوطنية للمليون فلسطيني، رغم خصوصية موقعهم كمواطنين (شكليين) في دولة إسرائيل هي جزء من الهوية الوطنية الفلسطينية العامة والثقافة القومية العربية، ولا تكتمل بدون ذلك.

خلاصة

رغم مرور 52عام على إقامة دولة إسرائيل وتعزز مشروعها الاستيطاني، وتحول المواطنة التي اضطرت إسرائيل أن تمنحها لمن تبقى من الفلسطينيين ضمن حدودها بعد 48 لأسباب خارجية، إلى أمر واقع، لا تزال الأرض محور صراع رئيسي مع هؤلاء «المواطنين» هذا الأمر ليس جديداً، سوى التسميات والعناوين التي تبدلت وتغيرت لمواجهة «العقاب» التي حاول ويحاول الفلسطينيون أو هؤلاء المواطنون وضعها أمام عجلة النهب والقرصنة الصهيونية.

انتفاضة الأرض عام 1976، وسقوط الشهداء والجرحى في مواجهة وطنية شاملة مع قوات الجيش الإسرائيلي في شوارع وأزقة القرى والمدن الفلسطينية في الجليل والمثلث، أبطأت عملية المصادرة مؤقتاً واستعادت بعض الأراضي (أرضي اللد - التي كانت فرضت عليها الصيغة العسكرية)، وتوجت عملية من الوعي الوطني كانت تتبلور من خلال تفاعل عوامل القمع الداخلي مع تنامي تأثير عناصر وطنية خارجية أهمها بروز الشخصية الوطنية الفلسطينية في إطار منظمة التحرير والانتصارات المعنوية التي حققتها بالإضافة إلى دور حرب 73.

لكن في ضوء ميزان القوى المختل في غير صالح الفلسطينيين في إسرائيل والشعب الفلسطيني والأمة العربية عموماً، كان العنصر الأهم والأبرز في انتفاضة يوم الأرض هو تعزز الهوية الوطنية الفلسطينية للعرب في إسرائيل وتصرفهم كشعب وليس كطوائف وقبائل. كما كان الحال قبل ذلك وخاصة في الستينات.

وبسبب خوف القيادة التي ساهمت في إنجاح الإضراب من قوة الجماهير وإصرارها على حصر الحركة الشعبية ضمن سقفها الإسرائيلي والعودة إلى أسلوب رد الفعل، وفي ضوء التطورات والتحولات الاقتصادية - الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، وانعكاسها في الميل نحو الاندماج الفردي، كل ذلك أدى إلى طغيان البعد المدني والتشوه القومي على الاتجاه الوطني الذي أفرزه يوم الأرض.

ويمكن القول أنه بعد حولي 25 عام منذ يوم الأرض الأول، يجد الفلسطينيون اليوم أنفسهم وبعد مراجعة نقدية معمقة لتجربتهم السياسية والكفاحية، جرت على مدار العقد الأخير وبعد خوضهم معارك شعبية نوعية أحياناً بالصدور العارية، في وجه الأخطبوط الإسرائيلي، في العامين الماضيين وصلت إلى ذروتها في الهبة الشعبية العارمة الأخيرة يجدون أنفسهم أمام مرحلة جديدة - تتضح فيها صورة الواقع وتعقيداته بالنسبة للجميع وخاصة للمواطن العادي أكثر من أي وقت مضى.

العنصر الأبرز والأهم هو إعادة الاعتبار للبعد القومي والشخصية القومية المستقلة لما تشكله من سلاح هام في تحشيد الناس وتعزيز تماسك قوتهم كأقلية قومية.

ولكن يبقى التحدي الأهم أمام الفلسطينيين في إسرائيل هو مقدرتهم على الاستفادة من هذا التطور النوعي والهام وبناء مؤسساتهم:القومية على أسس ديموقراطية وعصرية قادرة على قيادة نضالهم بنجاح، وطرح أنفسهم كتحد جدي لمجمل السياسة الصهيونية ضدهم وضد أبناء شعبهم في كل مكان ■ ■

نداء عاجل من جامعة بيرزيت في فلسطين: دعوا شعبنا يعيش

يتوجه اساتذة وموظفو جامعة بيرزيت إلى جميع الزملاء والأصدقاء حول العالم للمساعدة في إيصال رسالة بسيطة لكنها هامة جداً: دعوا شعبنا يعيش! هذه هي الرسالة التي ستحملها مسيراتنا السلمية ونداءاتنا ضد القوات والآليات العسكرية الإسرائيلية التي تمنعنا من الوصول إلى جامعتنا بعد أن أغلق الطريق الوحيد المتبقي بعد كافة الإغلاقات السابقة.

إن معاناة الفلسطينين في القرى المحيطة، والذين انقطعوا عن سبل العيش، وعن الرعاية الصحية، عن المدارس، والأسواق، حادة للغاية، لقد تمت مواجهة الاحتجاجات حتى اليوم بالرصاص والغاز المدمع. ونحن بحاجة إلى مساعدتكم في إيصال هذه الرسالة للعالم.

إن موجة العنف ضد الشعب الفلسطيني وصلت إلى مستوى غير مسبوق. فقد تصعدت سياسات الحصار التي يفرضها الجيش الإسرائيلي على المدن والقرى والمخيمات عن طريق حفر الخنادق حول التجمعات السكانية، مما يجعل من المستحيل على الناس الوصول إلى احتياجاتهم الأساسية. وقد وصلت هذه السياسة جامعة بيرزيت، مانعة إيانا وطلابنا من الوصول إلى الحرم الجامعي، ومن مواصلة رسالتنا التعليمية.

في السابع من آذار، في عتمة الليل، قام الجيش الإسرائيلي بتدمير أجزاء من الطريق الذي يصل الجامعة بمدينة رام الله، عن طريق حفر الخنادق، وتدمير اسفلت الشارع لمسافة حوالي ٤٠٠ متر، وهي الطريق التي تصل رام الله بالجامعة، وببلدة بيرزيت، وبثلاثة وثلاثين قرية أخرى يسكنها حوالي ٦٥,٠٠٠ نسمة. إن هذا التدمير للطريق لم يمنع استمرار العمل في الجامعة وحسب، بل أدى إلى خنق السكان بشكل تام. فلا تستطيع وسائل المواصلات المرور عبر هذه الطريق، بما في ذلك سيارات الإسعاف، وتلك التي تحمل مواد غذائية، ومحروقات، وأية وسائل أخرى.

في هذا الوقت باتت معظم التجمعات السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة مغلقة بإحكام، بشكل يتنافى مع أية معايير إنسانية، ويتناقض مع القانون الدولي، وبشكل خاص مع إتفاقية جنيف الرابعة. إن هذه السياسات تشكل جزءاً من استراتيجية إسرائيلية طويلة المدى تحاول إسرائيل فرضها على الضفة الغربية وقطاع غزة. لقد قامت كلا الحكومتين الإسرائيليتين (حكومة بارك وحكومة شارون) إقرار هذه السياسات من أجل إخضاع السكان الفلسطينيين، وجعلهم يقبلون بما لا يمكن قبوله.

إننا ندعوكم للتحرك الآن:

طالبوا بإنهاء الحصار فوراً. طالبوا بالحماية الدولية للسكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، طالبوا بضرورة انصياع إسرائيل للقانون الدولي. إتصلوا بوسائل الإعلام، بالممثليات الدبلوماسية، بحكوماتكم. إضغطوا على الممثليات الإسرائيلية في جميع أنحاء العالم. وجهوا احتجاجاتكم إلى وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن أليعازر عبر البريد الإلكتروني: sar@mod.gov.il، وإلى وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرز: sar@mofa.gov.il .

٢٠٠١/٣/١٠

الأرض.. معادلة استمرار الاحتلال.. وبسط السيادة الوطنية

جبريل محمد

لسنا الآن في معرض تكرار كل المقولات والجمل، حول الأرض الفلسطينية باعتبارها محوراً للصراع الذي بدأ منذ أكثر من قرن، بين المواطن والمستوطن، المواطن بكل ما يعنيه المفهوم التاريخي للمواطنة في مرحلة ما قبل تشكل الدول الحديثة، والمستوطن باعتباره ناتج غزوة بشرية معادية، تقوم على إحلال بشري، ولو لم تؤخذ كامل تجربة الهجرة الأوروبية البيضاء لأمريكا وسحلها لمواطني أمريكا الأصليين من الهنود الحمر.

وحيث أن الأرض هي محور تدور عليه وحوله كل حلقات الصراع إلا ان تأسيساً لمفاهيم سياسية حول العلاقة بالأرض، لم يتعد التغني بها، ونشر الأفكار الرومانسية حولها من نخب سياسية هي بالأصل مدينية علاقتها بالأرض، كانت علاقة سلعية، أكثر من علاقة ارتباط معيشي يومي.

وبهذا فقد ساد في الأدب السياسي الفلسطيني، مفهوم مديني حول الأرض، رغم كل محاولات تظهيره، خلال تكرار العلاقة الشكلية بين الأرض والفلاح والتي تشكل في فلسطين حتى الآن جوهر العلاقة بين الإنسان والأرض.

وباندلاع الثورة الفلسطينية المسلحة في أواسط ستينيات القرن الماضي، تمحورت القضية حول تحرير الأرض، وعودة اللاجئين، إلى أرضهم بصرف النظر عما أصاب الفكر الفلسطيني من تغيير حول أساليب هذه العودة من الكفاح المسلح إلى تطبيق قرار ١٩٤، لكن هذا الشعار العام لم تبن عليه سياسات عملية، وتكتيكات يومية، تضع الأرض في لب العمل السياسي، فقد كان الانشداد نحو البندقية أولاً، ونحو تطوير مجالات العمل السياسي الجماهيري طاغياً على مهمات ملموسة متعلقة بجوهر العلاقة المذكورة سالفاً.

حتى في ظل السعار الاستيطاني الليكودي في أواخر سبعينيات القرن الماضي، لم تبن سياسة تعطي العمل الزراعي وعلاقة الأرض بالفلاح أهمية محورية. بل استمر التفكير المديني، مسيطراً، وكانت مشاريع اللجنة المشتركة لدعم جمعيات الإسكان، أو دعم كبار التجار الزراعيين على حساب إهمال المزارعين الصغار.

لقد استعملت إدارة الاحتلال أسلوب (الجذب/الدفع) في التعامل مع غالبية ريفية من السكان الفلسطينيين. وكانت هذه سياسة موشي ديان، في فصل هؤلاء المواطنين عن أرضهم، فقد فتحت أسواق العمل في إسرائيل لسكان الضفة والقطاع كعامل جذب جراء تحقيق دخل أعلى من العمل الزراعي، فيما وضعت قيوداً على تصدير المنتجات الزراعية من الضفة والقطاع إلى إسرائيل، وبما يشكل عامل طرد من العمل الزراعي.

في المقابل لم تكن هناك سياسات زراعية واضحة عن منظمة التحرير الفلسطينية تعزز من انتماء الفلاح خاصة الجيل الشاب لأرضه باعتبارها عامل انتاج ومصدر عيش. حيث كان الخطاب سياسياً بحتاً وإعلامياً أكثر منه سياسة عملية في هذا الاتجاه.

لقد بنيت المستوطنات على قمم الجبال العالية، وفوق منابع المياه ومصادرها، فيما بنيت المشاريع الإسكانية في ضواحي المدن، وهجر الجيل الشاب العمل الزراعي غير المجدي، باتجاه العمل الأسود في الكيبوتسات، والمستوطنات ذاتها، والنتيجة كانت خراب الأرض، وتشكل ذهنية استهلاكية عالية المتطلبات، جعلت من العمل الفلسطيني في الورشة الإسرائيلية حاجة اجتماعية اقتصادية فلسطينية حتى في ظل تشكل السلطة الوطنية.

وبالنظر إلى اوسلو وملحقاته، فقد سعى المفاوض الفلسطيني باتجاه الحصول على مظاهر ورموز للسيادة، فيما تجاهل السيادة الحقيقية على الأرض، هذه المظاهر والرموز، صارت شغفاً فلسطينياً لدرجة بات الخصوم يدركونها ويبدون كرماً في تقديمها، مادام الأمر لا يتعداها فإذا وصلت الأمور لتحقيق مظهر جدي على الأرض، وقفت كل القرارات، وتأزمت المفاوضات، لأن التحكم هنا سيفلت ولو جزئياً من يد الاحتلال الذي قبل إعادة تنظيم وضعه وليس الانسحاب، بمعنى تغيير أشكال التحكم، وليس نفي هذا التحكم الذي يعني التخلي عن الأرض.

مقابل ذلك لم تنشط السلطة الفلسطينية الوليدة على محور الأرض بمعناها الاقتصادي وبمعنى مجال تحقق السيادة التدريجي بفرض وقائع عليها، كما لم يساعدها المولون الغربيون في هذا المجال، فكل ما يتعلق بالأرض، وضرورة التأثير فيها لصالح تحقيق وجود فلسطيني حقيقي عليها لم يكن يحظى بدعم المولين الغربيين. كذلك تركت السلطة الوطنية هذا المجال، لأدوات مفككة وضعيفة لا حول لها ولا قوة دون أن تبدي السلطة اهتماماً جدياً، بذلك سواء في مجال سن تشريعات تتعلق بالأرض نفسها، أو تتعلق بتشجيع المزارعين والفلاحين على الارتباط بها، ليرتقي وعي هذه الفئة من الوعي المحلي، الاقتصادي البحت بقيمة الأرض إلى وعي سياسي وطني مترابط مع هذا الوعي الأولي.

ورغم وجود عديد من المنظمات التي تعنى بالزراعة والعمل الزراعي، إلا أن تنظيماً وطنياً عاماً للمزارعين والفلاحين لازال حتى الآن دون مرحلة الصفر ودون وصوله إلى مستوى التفكير الجدي. ويظهر ذلك من النسبة المتدنية جداً لموازنة الزراعة في مجمل موازنة السلطة الفلسطينية، هذا عدا عن أن كافة منظمات الغوث الزراعي، لازالت غير قادرة على تقديم مشروع زراعي فلسطيني يقوم خارج دائرة الإرشاد، والعمل التقني باتجاه رسم سياسة زراعية حقيقية.

لقد تعاقبت على فلسطين تشريعات عديدة للأرض، كلها تتأسس على القانون العثماني سيء الصيت، فيما لا زالت قيود أوسلو تمنع السلطة الوطنية من إقرار أو سن تشريع متعلق بهذه الأرض، كما أن السلطة لم تبادر على المستوى التنفيذي، بمركزة الإشراف على الأرض، سواء من ناحية تعدد المرجعيات القائمة، أو من ناحية إعادة تسجيلها.

كل هذه الإجراءات يمكن أن تشكل عوامل إسناد أولية لبسط السيادة على الأرض سيادة حقيقية، تؤكد الولاية الشاملة في المستقبل. إلا ان الموضوع لازال في ذهن أصحاب القرار الفلسطيني هو هو، بمعنى استمرار الذهنية القديمة في التعامل مع قضية محورية.

لقد نهب الاستيطان الأراضي سواء بنيت عليها غابة الإسمنت، أم أغلقت في وجه أصحابها، انتظاراً لفرصة مواتية، أو لتحديد أغراض استعمالها المستقبلي، فيما لم تقم منظمة التحرير الفلسطينية، هيئة خاصة بالأراضي ضمن دوائرها المعطلة. فمادامت السلطة المقيدة باتفاقات غير قادرة على العناية بهذا الموضوع. فإن المنظمة لها الحق في التعامل معه، تماماً كقضية اللاجئين وغيرها من القضايا، لكن وحتى الآن، لم تدرك السلطة أن سرطان الاستيطان كان يحتاج تنظيمياً إلى إدارة مركزية تتابعه، وتخلق مشروعها البديل له.

صحيح ان موضوع الأرض هو موضوع سياسي، يمكن أن ينتهي باتفاق سياسي كما يتصور الساسة الفلسطينيون، لكن الحركة الصهيونية حملت أيضاً في نهايات القرن التاسع عشر، مشروعاً سياسياً شاملاً وكبيراً. بدأت تنفيذه بتجفيف المستنقعات حول بحيرة الحولة، وبتشكيل المستوطنات الزراعية، فيما لا زالت قضية الأرض مهملة في هذا الجانب من أصحابها الإسرائيليون، فمن الكيبوتس، تشكلت منظمات الناحال. ثم الهاجانا، ثم جيش الدولة العبرية، ومن ريف فلسطين خرج ثوار ١٩٣٦، ثم خرج ثوار جبال الخليل في الوطن، لكن بشكل متقطع وغير متراكم، لأن القضايا هنا لم تؤخذ بشكل مترابط، وضمن مشروع شامل ومتكامل.

وإذا كانت السلطة الفلسطينية تقع ضمن هذا الاتجاه، فإن القوى السياسية الأخرى. تجد نفسها منساقة فيه، دون أن تبرر تميزها في هذا الجانب فهي الأخرى لازالت تفكر بطريقة وعقلية مدينية، وتحتاج إلى إعادة صياغة أنماط تفكيرها في هذا الجانب، إن عليها أن تطرح مشروعها بقوة، أن تقدم نماذج عملية مهما كانت صغيرة له، ودون ذلك تبقى واعظة كمختلف الوعاظ ■■

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحتفل بالذكرى السنوية للشهيد الجبهاوي

أقامت منظمات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن والشتات العديد من الفعاليات احتفالاً بيوم الشهيد الجبهاوي، والذي يصادف التاسع من آذار من كل عام، وهو ذات التاريخ الذي استشهد فيه جيفارا غزة «محمد الأسود» القائد العسكري لقوات الجبهة الشعبية في عام 1973 وفيما يلي أبرزها:

غزة:

استهلت الجبهة الفعاليات بزيارة مقبرة الشهداء في غزة، بجمع كبير من كادرات وأعضاء وأصدقاء الجبهة الشعبية، ووضع أكاليل الزهور على أضرحة الشهداء جيفارا غزة، وكامل العمصي، وعبد الهادي الحايك.

واستعرض عضو المكتب السياسي ـ الرفيق جميل مجدلاوي، المآثر البطولية لهؤلاء الشهداء. واستكمالاً للاحتفال بهذه المناسبة، نظمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عصر التاسع من آذار الموافق 2001/3/9 احتفالاً جماهيرياً في معسكر الشاطئ ـ ميدان الشهداء الساعة الثالثة والنصف عصراً. وتخلل الاحتفال كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكلمة للقوى الوطنية، وكلمة لذوي الشهداء.

مهرجان جماهيري في مخيم الشاطئ

اليوم التاسع من آذار يوم شهيد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكل شهداء فلسطين، وعلى شرف الذكرى السنوية لاستشهاد رفيقنا محمد الأسود (جيفارا غزة) أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مهرجاناً جماهيرياً حاشداً في مخيم الشاطئ بميدان الشهداء وحضره جمع غفير من رفاق الشهيد وجماهير شعبنا.

افتتح الحفل بالسلام الوطني الفلسطيني، ثم الوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء فلسطين وشهداء الانتفاضة المباركة وألقى محمد الغول شقيق الشهيد وليد الغول عضو اللجنة المركزية للجبهة كلمة تطرّق فيها للشهادة والشهداء ودورهم في رفع راية النضال حتى تحقيق أهدافنا الوطنية كما عرج على اللحظة السياسية الراهنة مؤكداً على استمرار الانتفاضة وعلى الوحدة الوطنية طريقاً للوصول لأهدافنا، كما تطرّق بكلمته إلى ضرورة نبذ الفساد والمفسدين، كما دعا إلى ضرورة الإصلاح السياسي والإداري في صفوف السلطة الوطنية الفلسطينية.

وتحدث الرفيق صالح ناصر عضو اللجنة المركزية للجبهة الديموقراطية ممثلاً للقوى الوطنية الإسلامية حيث حيا الشهيد الجبهاوي وكذلك حيا ذكرى الشهيد جيفارا غزة وكل الشهداء وتطرّق إلى شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية الجديدة حيث دعا إلى ضرورة العمل المشترك لكل فصائل العمل الوطني الفلسطيني لعزل حكومة شارون عربياً ودولياً وتشكيل وفد يمثل الائتلاف الوطني الفلسطيني للتنسيق والمشاركة في القمة العربية القادمة في عمان.

وألقى الدكتور رباح مهنا عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كلمة أشار فيها إلى المناسبة وإلى جيفارا غزة ودوره في صياغة حقائق على الأرض أكدت أن شعبنا لن يقبل بالخنوع للاحتلال وكل نتائجه، كما أكد على أن الانتفاضة والمقاومة هي خيار شعبنا لتحقيق أهدافه الوطنية، كذلك دعا الرفيق رباح مهنا إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية مؤقتة تشكل قيادة طوارئ فلسطينية تعمل لتوفير مقومات استمرارية الانتفاضة وكل متطلبات المرحلة الحاسمة في نضالنا الوطني.

وألقى الشاعر ذياب طه قصائد شعرية مجد فيها جيفارا وكل شهداء فلسطين.

وتخلل المهرجانات فقرات فنية تراثية ووطنية لفرقة الهدف ألهبت الجماهير المحتشدة.

واختتم المهرجان بالنشيد الوطني الفلسطيني ونشيد الجبهة الشعبية.

زيارة مقبرتي الشهداء في مخيم اليرموك

في صبيحة عيد الأضحى المبارك قام وفد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ضم العديد من قيادات وكوادر وأعضاء الجبهة ولفيف من المواطنين بزيارة مقبرتي الشهداء في مخيم اليرموك ووضعت أكاليل الزهور على ضريح الفدائي المجهول وقرأت الفاتحة على أرواح الشهداء.

كما جرى زيارة أخرى مماثلة بمناسبة عيد شهيد الجبهة يوم 3/9 الذي يتوافق مع ذكرى استشهاد الرفيق القائد جيفارا غزة.

حفل تكريم لأسر الشهداء في اليرموك

أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حفل تكريم لأسر الشهداء بتاريخ 3/13 في قاعة الشهيد غسان كنفاني في مخيم اليرموك بمناسبة يوم الشهيد الذي يصادف 3/9. تحدث فيها الرفيق د.ماهر الطاهر بكلمة قصيرة عبر فيها عن قيمة الشهادة كأغلى قيم التضحية والوفاء للوطن.

كذلك تحدث عن الوضع السياسي الراهن وأكد على استمرار الانتفاضة حتى تحقيق أهدافها.

زيارة مقبرة شهداء الجبهة في السويداء

قام وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مكون من الرفاق /أبو أحمد فؤاد /ايهاب يونس/أبو هاني وعدد آخر من الرفاق، بزيارة النصب التذكاري لشهداء الجبهة في مدنية السويداء السورية، بمناسبة عيد الأضحى المبارك، والتقى الوفد عدد من عائلات الشهداء ووجهاء المنطقة ونقل لهم تحيات وتهاني قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمناسبة عيد الأضحى المبارك ■ ■





في مقبرة الشهداء بمخيم اليرموك

وديع حداد..

كلما امتد غيابه ازداد تألقاً

د. أسامة النقيب

في أعالي الجليل بلدة صغيرة اسمها صفد، تعتلي مجموعة هضاب تتكيء على جبل كنعان شرقاً وتستأنس بجبل الجرمق غرباً يفصلها وادٍ اشتهر بفاكهته وخضاره. الفصول فيها متميزة واضحة ومنسجمة متداخلة في ذات الوقت.

تعانق الغيوم أشجارها وبيوتها شتاءً حتى تكاد تشعر أنك ارتفعت إلى السماء ويغمرها النور والضياء صيفاً ويكشف أمامها آفاقاً واسعة تبدو فيها بحيرة طبرية جزءاً من حدودها.

أما ربيعها فهو فصل الزهور والعطور وأنت لا تحتاج لكثير من العناء كي تتمتع بالطبيعة الجميلة بل إن جلّ ما تفعله في غالب الأحيان هو أن تفتح نافذة بيتك لتنهمر الطبيعة بكل بهائها وعبقها داخله لتصبح أنت جزءاً منها. ويملأ خريفها نشاطان: التحضير لفصل الشتاء عند الكبار والاستعداد لبدء سنة مدرسية جديدة عند الصغار.

تضاريسها كانت ترسم الحركة صعوداً أو هبوطاً في غالب الأحيان فليس هناك سهل واسع أو انبساط ممتد.

أهلها كانوا أقرب إلى الفقر منهم للغنى. لم تكن لديهم صناعة، وزراعتهم كانت محدودة. ومع أن التعليم كان محدوداً وانتقائياً في بعض مراحله إلا أن ذلك لم يمنع أبناءها من طرق باب العلم والتعليم بشتى الوسائل.

بالنسبة للعالم الخارجي، كانت صفد مصيفاً جذاباً لهوائها النقي وهدوئها المغري وارتفاعها الذي يشبه عش النسر يستعصي العبث به. أن تولد في بلدة كهذه كان معناه أن تكون جزءاً من طبيعة متكاملة تماماً كما يكون النغم جزءاً من سيمفونية خالدة. النغم خارج السيمفونية لا معنى له والسمفونية دون نغمها ناقصة مثلومة.

في الثلث الأول من القرن الماضي ولد وديع حداد في هذه المدينة متمتعاً بكل خصائصها .. أو مبتلياً بها ـ ولكنه بالتأكيد جزءٌ منها. أمضى فيها طفولته المبكرة ولكنه حينما غادرها أخذ معه إرثاً غريزياً كاملاً لازمه طيلة حياته تماماً كما تحمل الطيور غرائزها أينما ارتحلت.

كانت فلسطين آنذاك تقضي بمرارة سنواتها الأولى تحت الانتداب البريطاني وتواجه بشكل واضح ومباشر تحديات المشروع الصهيوني بكل مؤشراته وأعراضه. وعندما يفتح طفل عينيه في جو كهذا على صراع رهيب يستهدف حريته التي هي حياته كلها، تزرع في عقله وقلبه بذور التحدي والكفاح دون شعور منه أولاً ثم بتصميم وإرادة بعد ذلك.

كانت فترة الحرب العالمية الثانية تشكل سنوات ما قبل الانفجار. بالنسبة للفلسطينيين، وحاضنة المشروع الصهيوني تعده للظهور عارياً دون تمويه.

كان وديع يتم دراسة الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت عند حدوث الانفجار وقيام دولة إسرائيل على أرضه. وفجأة تحول من طالب ينتظر العودة إلى بيته يحمل شهادة عالية إلى لاجيء لامرساة له ولا بوصلة تحدد اتجاهه.

لم يشغل باله طويلاً بإلى أين؟ بل واجه نفسه بالكيف. ليس أين أعيش؟ بل كيف أعيش؟ واختار وديع حداد طريقه وكانت هذه هي السبيل الوحيد لاستعادة حريته. كان خيار وديع بسيطاً ينبع من بساطته هو كما ينبع من التزام بالبديهيات لا تحوله عنها تعقيدات ولا بيزنطينيات.

اختار وديع طريق النضال من أجل الحرية ـ حريته التي كانت جزءاً من حرية شعبه ـ إذ بدلاً من أن يلتفت إلى بناء عيادة وبيت يكفلان له حياة سهلة مريحة، فإنه استثمر تدريبه الطبي في وظيفة مع وكالة غوث اللاجئين في الأردن ليعمل طبيباً في أحد مخيمات اللاجئين فيها ويفتح عيادة خاصة بمشاركة الدكتور جورج حبش لخدمة اللاجئين والفقراء وكانت تلك العيادة في أحد أحياء عمان الشعبية مركزاً للمرضى والأصدقاء في آن وكان الطبيبان يصرفان على احتياجات العيادة التي لم يكونا يتقاضيان منها ما يفي بنفقاتها.

وكانت حركة القوميين العرب في بداياتها إلا أن تداخل الشأن الفلسطيني بالشأن العربي أدخل الحركة في نشاطات فرضت على قيادييها السجن والاختفاء والنفي وكان نصيب وديع منها أحكاماً بالسجن طويلة ولكنه خرج وكأنما غاب ليلة أو بعض ليلة بكل مرحه وكل تفاؤله والأهم من هذا كله بطفولته التي لازمته طيلة عمره وبدأ من جديد وكانت فترة الوحدة بين مصر و سوريا هي الفسحة الوحيدة من الزمن التي عاشها وديع حياة طبيعية بمعنى أنه كان له بيت يأكل و يأوي إليه بانتظام. وعادت فترة النضال السري مرة أخرى منذ وقوع الانفصال واستمرت حتى نهاية حياته.

ولست معنياً هنا بما قام به وديع من عمليات ونشاطات نضالية فكل ما أطمع فيه هو أن أقدم الإنسان في وديع لجيل ابنه العزيز هاني الذي لم تسمح له الظروف بمعرفته زمناً كافياً.



كان وديع سهلاً ممتنعاً تغريك فيه براءته وبساطته وكان هادئاً له من اسمه نصيب كبير ولكنه كالبحر لا ينبيء هدوءه الظاهر عما في داخله فكان مرحه وحبه الظاهر للحياة هما علاجه المقوي للتعامل مع هذه الحياة التي كان يشعر كما يشعر أبناء جيله أنها خدعته وسلبت منه أشياء كثيرة. وكان يهزأ من مفارقاتها؛ إذ كيف يجهد البشر في اشتراع القوانين الدقيقة لمعالجة أدنى أنواع السرقات والغش ولا يستطيعون سن قانون واحد يعالج سرقات كبيرة كسرقة الوطن والإنسان؟! فهل هناك من سبيل إلى تحمل حياة كهذه إلا بالهزء منها والسخرية؟ وهكذا كان مرحه وسخريته ساتراً يحمي ما يجيش في صدره ضد أولئك الذين تسببوا في قهره. وكان يدرك أن خسارة الوطن تمثل أسوأ أشكال القهر إلى أن اكتشف أن الأسوأ منه هو منعك من محاربة هذا القهر وأسبابه. فكان التمرد الذي تجلى في مسلك وديع بعد عام ٦٧ وكان ما كان من نشاطاته.

لم يكن وديع سياسياً يؤمن بالحلول الوسط أو إحناء الرأس أمام العاصفة بل كان ثائراً لايتردد في اتخاذ الموقف الوطني مهما كانت نتائج هذا الموقف. عاش مرفوع الرأس حتى آخر يوم من حياته يكافح من أجل الإنسان الفلسطيني الذي اشترك في قهره الأصدقاء مع الأعداء.

وكثائر حقيقي مات وديع واقفاً فانتصب علماً بعد وفاته شاهداً على ما نزل بشعبه مشيراً إلى طريق العودة. وينتابني شعور دائم بأنه مات ضاحكاً ساخراً من الموت كما كان ساخراً من الحياة وقد أعطى بذلك مثلاً رائعاً في البطولة التي لاتنحني لخطر ولا تهرب من مواجهة. وكلما امتد غيابه ازداد تألقاً وشموخاً لأنه كان الأكثر صفاءً وصدقاً ◘◘

جيفارا غزة... الثائر...الإنسان

أحمد طالب

في التاسع من آذار العام ١٩٧٣ وقبل حوالي ثمانية وعشرون عاماً استشهد برصاص الغدر الصهيوني أحد أبرز أبطال وقادة المقاومة في النضال الفلسطيني المعاصر القائد العسكري لقوات الجبهة الشعبية بقطاع غزة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحريرفلسطين «محمد الأسود» «جيفارا غزة» إنه جيفارا الإنسان، جيفارا الثائر، جيفارا القائد. فلقد جسد هذا القائد المبدع قضية الإنسان الفلسطيني المقاوم والتي تجلت بأروع صورها في نوع المعدن النادر الذي جبل منه هذا الثائر الفذ الذي تمثل حياة النضال والمقاومة حتى آخر نفس بمجموعة من القيم النبيلة التي شكلت صفات القائد الإنسان فيه دون رتوش أو أوهام، بدون تجميل أو تصنع وربما هنا يكمن سر المفارقة العظيمة بأن يحفظ سجل التاريخ باقتران عجيب اسم أرنستوتشي جيفارا الثائر العالمي وجيفارا غزة الثائر والمناضل الفلسطيني. فكثيرة هي الأسماء والألقاب التي يطلقها الأشخاص على أنفسهم فتبقى تميز كل واحد منهم بمفرده ولا تذكر بأحد غيره، إلا أننا هنا أمام مفارقة تاريخية من نوع مختلف جاءت لتذكر هذا بذاك ولتجسد عظمة كلٍ منهما في محيطه و ميدان عطائه.

فجيفارا غزة كان ذلك القائد المتواضع إلى أبعد الحدود، الملهم المجتهد والصبور الذي أبى بإصرار وعناد الثوريين مغادرة أرض الوطن «أرض المعركة مع الاحتلال» رغم الحصار والمطاردة التي كانت تشتد حوله يوماً بعد يوم، فقد كان ملاحقاً من قبل قوات الاحتلال وعملائه بشكل مستمر مما دفعه للتنقل الدائم وعدم الاستقرار فلا يوجد مكان أو بيارة أو شارع من شوارع القطاع وحواريه إلا وتنقل عبرها جيفارا إما ملاحقاً لقوات الاحتلال الصهيوني ليوقع بهم الخسائر ويقاومهم جنباً إلى جنب مع رفاقه، وإما متخفياً عن أنظارهم وأنظار عملائهم، ولقد كان لشدة إيمانه بضرورة خوض المعركة على أرض فلسطين مهما كلفه الثمن حتى لو كانت الحياة نفسها ولعظم التصاقه بشعبه ووطنه وحبه لهم الأثر الأول في رفض طلب الرفاق له في الخارج مغادرة القطاع ولو إلى حين، لكي تهدأ الحملة هذه، فظل مصراً على البقاء بين رفاقه المقاتلين، ليسمح بعد ذلك للعديد منهم مغادرة القطاع بعد أن ضاقت دائرة الحصار والمطاردة حولهم من قبل جنود الاحتلال وقد طالبه رفاقه بأن يغادر معهم مما دفعه لأن يوهمهم بأنه سيفعل ذلك ولكن بعد أن يطمئن على سلامة وصولهم للخارج.



هذا هو جيفارا.. الذي رفض الأمن والسلامة الذاتية وفضل البقاء قائداً ومقاتلاً ورفيقاً مزروعاً كالسنديان الشامخ في وطنه الحبيب ليجسد مقولة طالما آمن بها وعمل بها «إن أرض وسماء ومياه الثائر هي وسط جماهير شعبه ومن يخرج منها يموت اختناقاً رغم كل الظروف التي ستحيط به بعد ذلك».

وعندما وصل بعض رفاقه للخارج واطمئن على سلامتهم، وحينما ازدادت الأمور سوءاً وأحكمت دارة الأعداء حوله ألح عليه الرفاق بالمغادرة ولو لفترة وجيزة يستطيع فيها أن يلتقط أنفاسه ولكي تخف عنه شدة الملاحقة والمتابعة من قبل قوات الاحتلال وعملائهم. إلا أنه بقي على موقفه السابق رافضاً مغادرة أرض الوطن مخاطباً رفاقه.. إذا كنتم ولابد تريدون مساعدتي، فإن بإمكانكم القيام بإصدار بيان من الخارج يذاع عبر محطات الراديو يعلن فيه نجاح الرفيق جيفارا في مغادرة القطاع وأن يكون مرفقاً مع هذا البيان تسجيل صوتي للرفيق يعلن فيه أنه نجح في الوصول للخارج وأنه يبعث بتحياته لجميع الرفاق في الأرض المحتلة ويتمنى لهم النجاح في مسيرتهم النضالية. وبهذا يكون الرفاق قد أسدوا له خدمة كبيرة قد تخفف عنه وطأة ملاحقة قوات الاحتلال له حتى ولو لفترة محدودة. ولا عجب في كل ذلك إذا ما أدركنا طبيعة العلاقة التي كانت تربط جيفارا برفاقه المقاتلين من حوله، فهي علاقة تميزت بالحب الرفاقي الرائع ما بين القائد ورفاقه في السلاح والمصير، فلا تسلط، بل احترام متبادل وتعاون، ما كان يولد نوع مميز من الثقة والتقدير الذي كانوا يكنونه له.

فقد كان من خصاله الحرص على تبادل وجهات النظر واحترام رأي الآخرين للوصول إلى أفضل وأنجح السبل التي تكفل الأمن والسلامة لهم قبل التفكير بمدى نجاح أو فشل أي عملية قتالية سيقومون بها، كان همه الأول والأخير الحفاظ على رفاقه وكان دائماً يقول في مثل هذه المواقف «المهم أن يعود الرفاق سالمين بعد أداء المهمة». وعندما تصدف وتجبره الظروف أن يكون بعيداً عن رفاقه أثناء تنفيذهم لمهامهم القتالية كان ينتظر عودتهم ولا يستقر له مقعد ولا يهدأ له بال ولا تنقطع السيجارة من فمه واقفاً ذهاباً وإياباً بالغرفة حتى يطمئن ويرتاح بمجرد مشاهدة الرفاق عائدين.

وكان أيضاً مشهوراً بإجادة التخفي والتمويه، فكثيراً ما كان يصادفه بعض الرفاق في الطريق ولا يستطيعون التعرف عليه لشدة تنكره وتغييره لشخصيته، فيلتبس عليهم الأمر حتى أنه في إحدى المرات كان يقف بالشارع في ساعات الصباح الباكر جداً فيما تصادف وتقابل مع بعض الرفاق وتركهم يمرون من جانبه ثم أوقفهم بعد أن ذكر أسماءهم ليرد عليهم تحية الصباح وكم كانت دهشتهم كبيرة جداً عندما دققوا النظر والملاحظة ليجدوا أن الذي يناديهم هو رفيقهم جيفارا.

لقد استمر رفيقنا القائد جيفارا غزة طيلة الفترة التي أمضاها في النضال وقبل أن تغتاله رصاصات العدو الصهيوني رجلاً معطاءً بلا حدود قابضاً دوماً على سلاحه يصوبه نحو الأعداء ويده ضاغطة على الزناد ماضياً في الكفاح قائداً ومعلماً وثائراً وإنساناً لم تنسه مهامه الجسام أصغر وأبسط الأمور، حتى أنه كان يتأكد بنفسه من وصول أية احتياجات كان يطلبها رفاقه. فقد كان يتابع قضية وصول مخصصات الرفاق الأسرى والشهداء إلى بيوتهم وعائلاتهم، وقد كان لا يتهاون ولا يساوم بهذه المسألة أبداً وكان يعمل دائماً على التأكد من أن المخصصات قد وصلت إلى أصحابها. وربما ليس هناك ما هو أصدق على نبل وإنسانية هذا القائد من الوصية المشهورة التي أرسلها لزوجته التي قال فيها «عندما أستشهد ويحضر لك الرفاق مخصصاتي، فقبل أن تأخذيها تأكدي أولاً أنك آخر زوجة شهيد قد أخذت مخصصاتها».

هذا هو القائد جيفارا غزة هذا هو الرفيق جيفارا، هذا هو الإنسان جيفارا.. الثوري الأصيل الذي أعطى حياته للثورة، حتى في مماته كان نموذجاً عظيماً ومثالاً يحتذى به ■ ■

المرأة الفلسطينية العنصر الغائب إعلامياً.. الفاعل على الأرض في الانتفاضة

فيروز الناجي

صرح أحد الحاخامات اليهود يوماً: «إن المرأة الفلسطينية مصنع صغير للإرهاب، واقترح طرد النساء من الأراضي الفلسطينية لضمان أمن الإسرائيليين». ربما نستشهد بكلمات الإسرائيليين للتدليل فقط على مدى الدور الذي تقوم به المرأة الفلسطينية والذي كثيراً ما أخافهم، لن نتناول هنا نضالات هذه المرأة عبر تاريخ النضال الوطني الفلسطيني فكثيرة الشواهد على ذلك، ولسنا بالطبع مع كلام ذلك الحاخام بأنها مصنع للإرهاب. بل كانت دائماً مصنعاً للمقاومة والدفاع عن الحق الطبيعي لها ولابنها ولزوجها ولكل شعبها، لذلك سنتناول دور المرأة الفلسطينية في انتفاضة عام ١٩٨٧، والأخطاء التي وقعت بها القيادة الموحدة إزاء دور المرأة، والتي ربما ساهمت المرأة ذاتها في معالجة بعضها الآن في ظل انتفاضة الأقصى. ربما يخطر على بال الكثيرين أن هذا الموضوع لا يشغل أحداً في ظل سخونة الأحداث على الأرض، ويغيب أن المرأة في فلسطين تشكل نسبتها أكثر من ٥٠٪ من السكان في ظل ظروف الاعتقالات والاستشهاد، المتواصل من زمن بعيد، وهذا يعني أنها مسؤولة عن الكثير من الأمور، ومهماتها ليست بسيطة لذلك لابد من التنبه لتلك الإشكاليات لتستطيع المرأة الفلسطينية إكمال دورها كما بدأته والعمل على تطويره.

لقد اعتقدت القيادة الموحدة للانتفاضة الماضية في كانون الأول عام ٨٧-٩٤ وبشكل خاطئ أن تطوير الدور الكفاحي للمرأة الفلسطينية هو المهم فقط في تلك المرحلة معتقدين أن الدور الكفاحي والسياسي يمكن له أن يستمر ويتطور دون التصدي لمشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فتطور دورها في هذه المجالات جميعاً يعد شرطاً أساسيا لتطور دورها الكفاحي والسياسي وتعزيزه، وبالرغم من أن الحديث دار حينها ويدور الآن على تحويل الانتفاضة إلى نمط حياة ودليل عمل، إن هذا شيء إيجابي جداً بالمعنى السياسي العام بالنسبة للقضية الوطنية، ولكنه ضرب من الخيال إذا لم يترافق مع وضع برامج تنموية وديمقراطية تضع قضية المرأة الفلسطينية والمشاكل الاجتماعية التي تعاني منها في سلم أولوياتها، فقد جعلت الفصائل الفلسطينية الأطر النسوية وطوال كل مراحل النضال تقريباً في حالة تبعية لها مما غلب التباينات السياسية الموجودة بين هذه الأطر على القواسم المشتركة بين هذه الأطر والمتعلقة بهموم المرأة وقضاياها، دون التنبه لضرورة الربط بين النضالين الوطني والاجتماعي من خلال برامج



حقيقية تعمل من خلالها الأحزاب بشكل حقيقي لتثبيت المفاهيم التي تساعد المرأة في حل مشاكلها وهذا ما يدلل عليه فقر قيادات وحتى قواعد هذه الفصائل للمرأة الفاعلة بشكل واسع، طبعاً هذه المشاكل سواء الاجتماعية منها أو الاقتصادية والسياسية ليست مقتصرة على المرأة الفلسطينية فحسب، وإنما لا نبالغ لو قلنا بأن الجزء الأكبر من نساء العالم تعانين من مشاكل متشابهة مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الدول وواقعها الخاص كلاً على حدة، ولكن للمرأة الفلسطينية خصوصية الآن في العالم العربي لأنها تعيش في حالة قهر مزدوجة، ظروف الاحتلال الإسرائيلي القاهرة لكل الشعب الفلسطيني ومن ضمنه المرأة من جهة، وظروفها الاجتماعية التي تنسجم مع واقع المرأة العربية عموماً من جهة ثانية، ولكن واقع الاحتلال فرض على كل الشعب الفلسطيني الوقوف أمام دوره وتطويره من خلال مؤسساته القائمة للعمل ضد الاحتلال لتنفيذ المشروع الوطني الذي تتحمل المرأة الجزء الأكبر منه، لكثرة ما على عاتقها من مهمات كبيرة لا يمكن لهذا المشروع أن ينجح دون قيامها بها. فبالرغم من الدور الإيجابي والبطولي الذي قامت به المرأة الفلسطينية في تلك الانتفاضة في التصدي لقوات الاحتلال، إلا أن نظرة المرأة نفسها لدورها ولنفسها بقيت في إطار النظرة المحافظة التقليدية القائمة على أساس تقسيم العمل الجائر بين الذكر والأنثى، مع أن العمل الذي قامت به وتقوم به ليس أقل مما يقوم به الرجل، بل في كثير من الأحيان يتجاوزه، ولكن هذا التقسيم بسبب نظرة المجتمع للمرأة، والتي بقيت أسيرة الآفاق الضيقة التي لا تساهم في تطوير وعيها وزيادة مشاركتها في صنع القرار السياسي الوطني والاقتصادي والاجتماعي، وهذا طبعاً لا يمكن أن يحدث بين ليلة وضحاها وإنما يرتبط بكثير من القضايا منها التربية والتعليم والمنهج الاجتماعي السائد.

لقد خلقت الانتفاضة في حينها تغييراً كبيراً كان يمكن أن يعكس نفسه لإحداث تغيير حقيقي على صعيد المنهج التربوي والتعليمي بغياب سلطة أجنبية وبتغيير حقيقي على صعيد ميزان القوى المحلي لصالح القوى الوطنية، فازدواجية السلطة تلك كان يمكن لها أن تفسح المجال أمام بدايات جديدة لتغيير اجتماعي وخاصة على صعيد نظرة المجتمع للمرأة الفلسطينية وطريقة تربية الجيل، في ظل دور المرأة البارز جداً على الصعيد الميداني، ولكن ما حققته الانتفاضة حينها لم يستغل بشكل جيد لتحقيق ذلك، وذلك لأنه وللوصول إلى تلك النظرة كان لابد من سيطرة القوى الوطنية الفلسطينية، والتي تعتبر أن موضوع المرأة من أوليات عملها، كان لابد من سيطرة تلك القوى على سير المناهج الدراسية ومحاولة سيطرتها على منظومة القيم والأخلاقيات الاجتماعية، فالعلم هو الأساس في مواجهة التخلف وفلسفات القمع التي تمارس ضد المرأة من قبل مجتمعها. ولكن القوى الوطنية الفلسطينية، وبالرغم من إدراكها ووعيها لأهمية إشراك المرأة في النضال من أجل التحرير، لم يعكس هذا وعياً موازياً لديهم بضرورة تحرير المرأة من التقاليد والأعراف التي تحول دون اشتراكها الفعال في الثورة وبالنضال الوطني بشكل دائم، فمسألة تحرر المرأة الفلسطينية تأثرت بالنهوض الوطني أكثر من تأثرها بعوامل أخرى، لذلك نرى وضعها يتعرض لردات نسبية حسب طبيعة المرحلة، فلم تستطع الحركة النسوية الفلسطينية عامة والجماهيرية أن تترجم العلاقة الجدلية التي تربط قضايا المرأة الاجتماعية مع النضال الكفاحي الجماهيري، بل اعتبرت هذه الحركة نفسها ذراعاً كفاحياً للقيادة الموحدة دون أن تتنبه لصياغة برنامج اجتماعي يتناول قضايا المرأة ويعمل على حل بعض إشكالياتها، طبعاً كل هذا لا يقلل من أهمية ما تقوم به هذه الحركة لتطوير ذاتها ولكنها لم تصل إلى المستوى المطلوب لأن هذا يتطلب جهداً موحداً من الجميع، فقد لوحظ في تلك الانتفاضة أن

نشاط المرأة السياسي والاجتماعي والتعبوي والجماهيري تراجع حين تراجع دور الأشكال التنظيمية الجماهيرية الديمقراطية للانتفاضة مثل لجان الأحياء واللجان الشعبية التي كان للمرأة دور رائد فيها، وفي ظل تراجع الطابع الجماهيري للانتفاضة واقتصار النشاط السياسي والكفاحي على الفصائل الفلسطينية الأساسية، كل هذا قلل من فرص إثبات شرعية مطالبتها بتحررها الاقتصادي والاجتماعي الذي سيساهم بشكل مؤكد في تفعيل دورها بشكل أكبر في الدفاع عن القضية الوطنية. طبعاً لا يمكننا إغفال دور بعض الحركات السياسية والاجتماعية السلفية التي ظهرت وبدأت تدعو لفصل المرأة عن الرجل بالحياة العامة والمحافظة على نظام القيم والتقاليد السائدة خوفاً من أي غزو حضاري يمكن أن يساهم في تحسين وضع المرأة التي تمثل أضعف القطاعات الموجودة في المجتمع، لذلك كانت أكثر تأثراً بهذه التيارات من القطاعات الأخرى، إضافة إلى أن ضعف برنامج القوى الوطنية على الصعيدين السياسي والاجتماعي، ساهم في ازدياد نفوذ هذه الحركات وتأثيرها على المجتمع الفلسطيني.

بالتأكيد كل هذه الظروف لم تحل دون أن يكون للمرأة دور حقيقي وفعال في انتفاضة الأقصى فهي الجندي المجهول التي من المؤكد أنها استطاعت أن تستفيد من تجربتها السابقة لترتقي بدورها سواء الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، فهي زوجة الشهيد أو الجريح المطالبة اليوم وفي ظل عدد الشهداء والجرحى المتصاعد، بأن تكون المعيلة الأساسية للأسرة، والأم التي تحاول أن تربي أطفالها بطريقة سليمة بالرغم من الظروف القاسية التي يعيشها هؤلاء الأطفال من خلال ما تسببت به ممارسات الاحتلال الصهيوني لهم من إصابات نفسية أو جسدية، إضافة إلى دورها الهام الذي تقوم به في الإعلام عن طريق عملها على الانترنيت لإيصال صوت شعبها وقضيتها إلى العالم ومن خلال تربيتها وتعليمها لطلبة المدارس كمعلمة، والكثير الكثير من المهام التي تشكل بناء تحتياً داعماً حقيقياً لهذه الانتفاضة، ولكن يبقى السؤال هل ستنتبه القوى الوطنية والإسلامية إلى هذا الدور وتقوم بتفعيله والعمل على وضع البرامج المناسبة للارتقاء به بما يتناسب وأهمية دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني هل سينتبهون إلى ضرورة تحرير المرأة لاختصار الطريق لتحرير الوطن؟؟؟؟؟ أسئلة مفتوحة وتحتاج لأجوبة حقيقية من هذه القوى في ظل هذه الفرصة التاريخية - انتفاضة الأقصى - لأنه لن يكون هناك فرصة أفضل من هذه لترتيب الأوراق الفلسطينية المبعثرة، وتحديد المواقف ووضوحها ابتداء من موضوع المرأة وانتهاء بالمشروع الوطني العام والأهداف المطلوب تحقيقها من الانتفاضة حتى لا تبدو هزيلة أمام كل هذا الدم.. ■ ■

نداء لجماهير أمتنا العربية

يا جماهير أمتنا العربية

والانتفاضة الشعبية الفلسطينة تقترب من دخول شهرها السابع. تحل علينا الذكرى الخامسة والعشرين ليوم الأرض الخالد، إننا من هذه الفضاءات وعلى أبواب انعقاد دورة عادية للقمة العربية في عمان، نتوجه لكم بالتحية والإكبار لنضالكم ودوركم وتضحياتكم في الصراع ضد العدو الصهيوني الصراع الذي قدمت خلاله أمتنا آلاف الشهداء والجرحى والأسرى إلى جانب شعبنا الفلسطيني الذي يخوض هذه المعركة منذ عقود ولا زال، اليوم نجد من الضرورة أن نخاطبكم وعموم قوى الأمة من أحزاب ومنظمات سياسية واجتماعية في عموم الوطن العربي.

ياجماهيرنا العربية

إن صلف العدوانية الصهيونة وعنجهيتها وجرائمها بلغت الذروه، وتزايدت شراستها، وكثرت مخاطرها على نحو أكبر، بعد أن تبنت انظمتنا العربية والقيادة الرسمية الفلسطينية خطاب «السلام» مقولة «استراتيجية السلام»، وطريق الاتفاقات البائسة، وتخلت عن الخيار العسكري، وأسقطت مقولة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر «ما أخذ بالقوة لا يسترد بغيرها»، فرغم ذلك ها هو الكيان الصهيوني اليوم يهدد الأمة العربية ومصالحها ووجودها مسنوداً بسياسة الإدارات الأمريكية المتعاقبة وآخرها إدارة بوش.

يا أبناء أمتنا

ندعوكم اليوم لأن تحشدوا الطاقات الشعبية في مواجهة الصلف الصهيوني، من خلال دوركم وعلى كل مستوى بالإصرار على مقاطعة العدو وإلغاء عموم الاتفاقات والمعاهدات التي عقدت، وعدم إفساح المجال لحكومة المجرم شارون من الدخول إلى الساحة العربية بل والدعوة لمحاكمته كمجرم حرب، مثله مثل كل النازيين الذين سبقوه، وندعوكم لليقظة من المقولات البائسة التي تدعو «لإعطائه فرصة لإظهار سياسته»، هذا القول الذي يتجاهل تاريخ شارون الأسود منذ مجزرة قبية ١٩٥٣ مروراً بمجازر صبرا وشاتيلا .. وحتى ما يقوم به اليوم وحكومته ومن سبقه من أعمال قمع وقتل وحصار للشعب العربي الفلسطيني.

ياجماهيرنا العربية:

إن إخوتكم وأهلكم في فلسطين، كل فلسطين، ينظرون إليكم بالأمل والأخوة لدعم الدعوة للتضامن العربي، والوقوف بشجاعة في مواجهة السياسة الأمريكية المتطابقة مع السياسة الإسرائيلية بالنسبة لمستقبلنا، وأن تقوموا بدوركم لرفع الحصار عن العراق الشقيق، وفضح المرتبطين بعجلة التبعية للسياسة الأمريكية الحامية لإسرائيل وأعمالها القمعية والاستيطانية.

يا أبناء أمتنا العربية:

نؤكد لكم أننا ماضون في الانتفاضة، ماضون في المقاومة حتى الخلاص من الاحتلال وقطعان مستوطنية، ماضون حتى الحرية والاستقلال، لن يخدعنا أحد بتقزيم حقوقنا الوطنية الثابتة والمساومة عليها بمبادلتها بتحسين ظروف المعيشة أو أي نوع ومستوى من رفع الحصارات، كما لن تخدعنا الإدارة الأمريكية بهذه الألاعيب ولن يخدعنا شارون بالدعوة لاتفاق انتقالي طويل المد، فنحن متمسكون بأهدافنا التي انطلقت من أجلها الانتفاضة والكفاح الوطني الفلسطيني، ولا أقل من ممارسة حق العودة للفلسطينيين الذين شردوا من ديارهم، ولا تنازل عن حق تقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة بالسيادة الكاملة وعاصمتها القدس.

وعلى هذا نطالب الحكومات العربية بالحد الأدنى من الإصرار على تبني موقف موحد وسياسة جديدة وجادة تدعم الشعب الفلسطيني من خلال الإصرار على تطبيق القرارات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينة والتي لا تعطي أصلاً إلا الحد الأدنى من الحقوق التاريجية للشعب الفلسطيني. إن الترجمة العملية لهذا تبدأ بالعمل على توفير الحماية الدولية المؤقتة للشعب الفلسطيني، وبالتصدي للسياسة الأمريكية التي تتطاول على حقوقه، وتدعم «إسرائيل» بكل ما تريد في المحافل الدولية وغيرها ولا رادع لها إلا بتهديد مصالحها.

وفي السياق ذاته إننا نحمل الأنظمة العربية المسؤولية عن عدم تنفيذ قراراتها بدعم الشعب الفلسطيني مادياً وعبر كل الطرق والوسائل، وهو الشعب الذي يدفع الدم والجراح والجوع وعذابات الحصار يومياً، ويتصدى للإحتلال بقوة وعزيمة لا تلين، ويكفي للتدليل القول أننا أمام ربع مليون عاطل عن العمل منذ ستة شهور، وهناك متطلبات التعليم والصحة والخدمات البنيوية. إن هذه مسؤوليات كبيرة وهي تقرر إلى حد كبير في مدايات الصمود إلى جانب الموقف السياسي الأساس في المواجهة.

يا جماهيرنا العربية:

هذا نداؤنا لكم في هذه الأيام المجيدة، يوم الأرض والانتفاضة، نعاهدكم على الاستمرار والتمسك براية المقاومة الشعبية حتى تحقيق أهداف الشعب في العودة والحرية والاستقلال.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
رام الله - فلسطين
٢٠٠١/٣/١٥

فعاليات جماهيرية متنوعة في مخيمات سوريا بمناسبة أعياد آذار ودعماً لانتفاضة شعبنا

اقامت منظمات الجبهة الشعبية في مخيمات سورية العديد من الفعاليات الجماهيرية المتنوعة بمناسبة يوم المرأة ويوم الشهيد وفيما يلي أبرزها:

حفل استقبال بمناسبة يوم المرأة

اقامت لجان المرأة الشعبية الفلسطينية - فرع سورية - حفل استقبال بمناسبة يوم المرأة العالمي في ٢٠٠١/٣/١٠ في مقرها الكائن في مخيم اليرموك. وقد حضر العديد من الفعاليات النسائية الفلسطينية والعربية وقيادة وكوادر وأعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعلى رأسهم الرفيق د. ماهر الطاهر. هذا وقد جرى توزيع الزهور عن لجان المرأة على الحضور بهذه المناسبة.

ندوة سياسية في مخيم جرمانا

الرفيق ماهر الطاهر مسؤول قيادة الخارج يتحدث بندوة سياسية في مخيم جرمانا. بدعوة من المنظمة الحزبية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مخيم جرمانا وبمناسبة يوم المرأة / ويوم الشهيد الفلسطيني اقيمت ندوة سياسية بتاريخ ٢٠٠١/٣/٨

قدم للندوة الرفيق أبو الزهر مسؤول المنظمة الحزبية في جرمانا، حيث رحب بالضيوف وبالرفيق ماهر وأكد على مبدأ التواصل مع جماهير شعبنا من خلال اللقاءات والتفاعلات مؤكداً أن هذا العمل هو من أسس الجبهة الشعبية.

بعد ذلك تحدث الرفيق ماهر الطاهر: عن الانتفاضة وإنجازاتها على كافة الصعد مؤكداً على استمراريتها، وما هو المطلوب من أجل دعمها وإدامتها على كافة الصعد الفلسطينية والعربية والدولية مؤكداً على دور الجماهير العربية التي ما زالت تعتبر القضية الفلسطينية جوهر الصراع مع العدو الصهيوني، بعد ذلك أكد على أهم الدروس والتوجهات التي أكدتها الانتفاضة وخاصة على صعيد خلق أزمة حقيقية داخل المجتمع الصهيوني طالت كافة الصعد.

مؤكداً على أهمية الوحدة الوطنية وتوحيد كافة الجهود ورص الصفوف لمواجهة هذا العدو الذي يواجه جماهير شعبنا الفلسطيني بكافة الإمكانيات والوسائل العسكرية. مطالباً الدول العربية أن تقف أمام إستحقاقاتها وتطبيق القرارات الخاصة بدعم الإنتفاضة.

وختم الندوة بالردود على أسئلة واستفسارات المشاركين.

حفل تكريمي للأمهات في جرمانا بمناسبة يوم المرأة وعيد الأم

اقامت المنظمة الحزبية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في جرمانا بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٢ حفلاً تكريماً للامهات بهذه المناسبة.

قدمت في هذه المناسبة قصديتان شعريتان للشاعر احمد الخطيب والشاعر أحمد دخيل تحدثتا عن الأم وعن الوطن.

بعد ذلك تحدث الرفيق أبو الزهر مسؤول الموقع. عن البطولات التي تقوم بها النساء الفلسطينيات داخل الوطن المحتل.

حيث لاقت هذه البادرة إحسان الحضور بعد ذلك قدمت ضيافة متواضعة وتكريم للامهات.

ندوة سياسة في حمص

بدعوة من بعض النشطاء في مخيم الوليد في حمص، اقيمت ندوة سياسية داخل فيها الرفيق عبد الحميد الشطلي عضو قيادة ج.ش في سوريا حول العديد من العناوين الهامة: أ- حق العودة ب- الإنتفاضة وإلى أين وصلت؟ ج- وصول شارون إلى سدة الحكم في إسرائيل. د- واجباتنا كجماهير فلسطينيه في الشتات إتجاه الإنتفاضة وإستمرارها وتجذرها.

وقد جرت العديد من النقاشات والحوارات مع الحضور واختتمت على أمل اللقاء القريب بفاعلية أخرى تجمع فعاليات المخيم فيها.

حلب

اقام نادي غسان كنفاني في حلب معرضاً لأطفال النادي تحت شعار تحية وفاء لأطفال فلسطين ... صناع الإنتفاضة .. حماة الوطن.

وقد ضم المعرض مجموعة من اللوحات المعبرة والمستوحاة من فعل الإنتفاضة داخل الوطن المحتل وقد عبر أطفال فلسطين خارج الوطن المحتل عما يختلج في صدورهم من حبهم لفلسطين وللقدس عَبْرَ لوحات فنية واعدة. وقد افتتح المعرض الرفيق عمر مراد عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة.

مسيرة صامتة

بمناسبة يوم المعلم العربي والذي يصادف يوم السبت الواقع بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٠ وبدعوة من مكتب المعلمين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اقيمت في حلب (مخيم النيرب) مسيرة تضامنية صامته شاركت فيها جماهير المعلمين الفلسطينيين وانطلقت من أمام مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مخيم النيرب وطافت شارع المخيم الرئيسي وقد تقدمها كوكبة من أطفال نادي الشهيد غسان كنفاني رافعين الأعلام الفلسطينية واليافطات التي تحمل شعارات تضامن مع المعلم الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة ومع إنتفاضة شعبنا المستمرة حتى دحر الاحتلال. وعبارات الوحدة الوطنية والتأكيد على خيار المقاومة ووقف كل أشكال التفاوض والتنسيق السياسي والأمني.

كما تقدم المسيرة قائمة بأسماء الشهداء المعلمين في مخيم النيرب وذلك تخليداً لذكراهم وتأكيداً من جماهير المعلمين في حلب على مواصلة النضال.

وانتهت المسيرة في مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بكلمة ألقاها الرفيق عمر عيد عضو قيادة منطقه الشمال عبر فيها عن تضامن المعلمين في حلب مع المعلمين الصامدين داخل الوطن المحتل مباركاً لهم دورهم الوطني والتربوي وتحديهم لكل أشكال الحصار والقتل الصهيوني كما أكد على أهمية العلم والمعرفة في مواجهة الإحتلال وكل أشكال التطبيع، ودور المعلم في تحصين الأطفال والشباب تحصيناً علمياً معرفياً في مواجهة استهدافات المشروع الأمريكي الصهيوني وكل أشكال الزيف والتزوير الذي يفرضه على مفردات الوطن ومطالباً بضرورة تفعيل دور الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ليتسنى له القيام بالمهام المناطةإليه في المعارك الوطنية والمجتمعية التي يخوضها الشعب الفلسطيني وفي ختام كلمته استأذن الحضور وأذاع برقية باسمهم وباسم مكتب المعلمين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. برقية تضامنية موجهة للأمانة العامة للإتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ومن خلالها إلى جماهير المعلمين الصامدين في فلسطين المحتلة.

اعتصام أمام مقر الأمم المتحدة بدمشق

بدعوة من اللجان الوطنية لمقاطعة البضائع الأمريكية ولجنة النساء العربيات ومشاركة منظمات جماهيرية عديدة منها منظمة الشبيبة الفلسطينية ولجان المرأة الشعبية الفلسطينية ومنظمة الشبيبة الديمقراطية إضافة إلى حشد كبير من المثقفين العرب والفلسطينيين وغيرها جرى اعتصام جماهيري أمام مقر الأمم المتحدة بدمشق يوم ٢٠٠١/٣/٢٦ وجرى فيه. تسليم رسالة باسم المعتصمين للسيد كوفي عنان يدعونه للتدخل الفوري لتوفير الحماية الدولية لجماهير شعبنا في فلسطين، كذلك العمل على رفع الحصار العسكري والاقتصادي الذي يفرضه الإحتلال على جماهيرنا.

هذا وقد نظمت المنظمات الشعبية الفلسطينية اعتصاماً أخر يوم ٣/٢٧/ ٢٠٠١ أمام مقر مكتب مقاطعة إسرائيل التابع لجامعة الدول العربية. وقد جرى تسليم مذكرة للمفوض العام لمكتب المقاطعة ■ ■

جوانب من المؤتمر السادس للقوى الشعبية العربية

جواد عقل - بغداد



عقد في بغداد في الفترة ما بين 19 ـ 22 آذار 2001 المؤتمر السادس للقوى الشعبية العربية تحت شعار «انتفاضة فلسطين وصمود العراق ملحمة العروبة الجهادية ضد الهيمنة الأمريكية والعدوان الصهيوني» بمشاركة وحضور ألف شخصية عربية تمثل الفعاليات السياسية والفكرية والبرلمانية والأحزاب والنقابات والاتحادات الشعبية من غالبية أقطار الوطن العربي والمهاجر الأوروبية والأفريقية والأمريكية والأسترالية وممثلي المنظمات والاتحادات في العراق.

جاء انعقاد هذا المؤتمر الشعبي في ظل ظروف ومستجدات وتطورات تتسم ببداية نهوض شعبي عربي عارم مستنداً إلى إنجازات قومية في إطار الصراع مع التحالف الاستراتيجي الأمريكي الصهيوني متمثلاً في صمود العراق شعباً وحكومة وتحرير لبنان لجنوبه وتجدد الانتفاضة الفلسطينية بزخم ثوري مميز.

يمثل هذا اللقاء الشعبي ثمرة من ثمار المد الشعبي الجماهيري والعربي والذي هبّ في كل مكان من وطننا العربي دفاعاً عن حق العراق المشروع في وضع حد للحصار الجائر منذ عشر سنوات، وإسناداً ودعماً لانتفاضة القدس انتفاضة الاستقلال والتي جاءت كرد طبيعي لأهلنا في فلسطين على مشاريع تصفية القضية الوطنية وممارسات سلطات الاحتلال.

انعقاد هذا المؤتمر الشعبي عشية انعقاد مؤتمر القمة العربية في عمان في 2001/3/27 جاء لرفع صوت الجماهير العربية عالياً لدى أصحاب القرار الرسمي العربي ليتحدوا وليكونوا بمستوى الأحداث التي تعصف بأمتنا، ليتحدوا من أجل رفض الضغوط التي يفرضها التحالف الاستراتيجي الأمريكي الصهيوني عليهم لتمرير قرارات لا تستجيب للمصالح الوطنية القومية لأمتنا ولضرب الآمال المعقودة على القمة في إنعاش إمكانية إحياء التضامن العربي الفعال والإيجابي الذي سيكون قادراً على وضع حد لسياسة الفرقة والتشرذم والتردي، ويمكن القادة العرب من الارتفاع إلى مستوى التحدي بتبني القمة لقرارات سياسية واقتصادية وأمنية قادرة على:ـ

أولاً:ـ إنهاء الحصار الظالم على العراق وشعبه بقرار رسمي عربي وعدم الرضوخ لنصائح الإدارة الأمريكية التي بدأت تتحدث عن ما يسمى بالعقوبات الذكية وذلك من خلال:ـ

1ـ إعلان عربي صريح وواضح وعملي بكسر الحصار الظالم على العراق وشعبه وضرورة التزام الدول العربية فوراً ودون إبطاء برفع الحصار.

2ـ السماح للطيران العربي بتسيير رحلات منتظمة من الدول العربية وإلى بغداد وبالعكس وفي نفس السياق إعادة الدول العربية الطائرات العراقية.

3ـ الاستفادة القصوى من المادة 50 في ميثاق الأمم المتحدة بخصوص العلاقات التجارية مع العراق وتعزيزها.

4ـ تعزيز اتفاقيات التجارة الحرة التي وقعت بين العراق وبعض الدول العربية لتشكل الأساس والأرضية الملائمة لميلاد سوق عربية مشتركة لمواجهة تحديات العولمة ومخاطر التكتلات الاقتصادية العملاقة.

5ـ توحيد جهود الدول العربية في المطالبة بتطبيق البند الخاص بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل واعتبار إسرائيل هي المعنية الأساسية بتنفيذ هذا البند باعتبارها الدولة الوحيدة في المنطقة التي تملك أسلحة الدمار الشامل.

ثانياً:ـ اعتماد سياسة عربية أمنية تضمن لأمتنا أمنها القومي والإقليمي ويسمح بضمان الأمن الوطني لكل قطر من الأقطار العربية دون تهديد من جيرانه وخلق مناخات ملائمة لخلاص الأمة العربية من بلاء وجود قوات وأساطيل أجنبية فوق أراضيها تمارس العدوان والبربرية على العراق من أجل استمرار حماية مصالحها الاستراتيجية على حساب المصالح الاستراتيجية للأمة العربية.

ثالثاً:ـ وجّه المؤتمر رسالة واضحة للقمة العربية بخصوص دعم وإسناد الانتفاضة الفلسطينية المجاهدة وذلك من خلال:ـ

1ـ قطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية مع إسرائيل وإلغاء كافة المعاهدات معها، وإغلاق العواصم العربية أمام تحركات المبعوثين الصهاينة وتوحيد الجهود العربية والإسلامية لعزل إسرائيل دولياً ومحاكمة مجرميها على ما اقترفوه من جرائم بشعة وبربرية بحق الشعب الفلسطيني.

2ـ ضرورة تفعيل سلاح المقاطعة الاقتصادية العربية الشاملة لإسرائيل.

3ـ وضع استراتيجية سياسية عربية

لمجابهة السياسة الأمريكية المنحازة لإسرائيل، ومقاطعة الدول التي ستنقل سفاراتها إلى القدس.

4- تقديم الدعم المادي والمعنوي لشعب الانتفاضة دون إبطاء لدعم صمودهم ومقاومتهم الباسلة لجيش الاحتلال الإسرائيلي وقطعان المستوطنين، وضرورة إلغاء كافة العوائق التي تحول دون وصول تلك الالتزامات المالية المقررة من القمة العربية وتجديد هذا الدعم وتوسيعه بما يتلاءم والحاجات الملحة لتأمين الحد الأدنى من مقومات الصمود لشعب الانتفاضة في مواجهتهم اليومية المتواصلة لسياسة التجويع ومزيد من التضييق على مدننا وقرانا وأهلنا في الأرض المحتلة.

5- تبني القمة لموقف عربي موحد من حق الشعب الفلسطيني والعربي في الدفاع عن حقوق اللاجئين والنازحين الغير قابلة للتصرف في العودة إلى ديارهم ووطنهم وفقاً للقرار 194، وضرورة رفض القمة العربية والنظام الرسمي العربي لكل المشاريع البديلة كالتوطين والتأهيل وغيرها.

رابعاً: 1- وجه المؤتمر رسالة واضحة للقمة بخصوص دعم ومساندة سوريا ونضال شعبها من أجل تحرير أراضيه وتثمين تمسكها بثوابتها الوطنية والقومية.

2- ضرورة دعم لبنان ومساندته لتحرير باقي أراضيه ومساندة حقه في استثمار ثرواته ومياهه. ووفاء القمة بالتزاماتها المالية تجاه لبنان وشعبه.

3- ويرى المؤتمر ضرورة إدانة الحصار على ليبيا والسودان ويدين بشدة سياسة التدخل السافر في الشؤون الداخلية للسودان لعدم تمكينه من حل مشاكله بالطرق السلمية.

4- مطالبة إيران بإعادة الجزر العربية الثلاث (طنب الكبرى والصغرى وأبوموسى) وإعادتها إلى دولة الإمارات العربية المتحدة وتعزيز العلاقات العربية الإيرانية.

خامساً- يطالب المؤتمر الشعبي العربي ويؤكد على ضرورة تعزيز الشورى والديمقراطية بما يكفل حق الشعب العربي في التعبير والعمل وتوسيع قاعدة المشاركة في صنع القرار والرقابة على تنفيذه وتوسيع أطر التعددية السياسية والفكرية واحترام الخصوصيات والتنوع وصيانة حقوق الإنسان وكرامته.

سادساً- يؤكد المؤتمر على ترابط وتعزيز العلاقة مع المغتربين العرب في المهاجر بما يخدم قضايا أمتنا والتواصل معهم للحفاظ على هويتهم العربية وبما يديم انتماءهم القومي الأصيل.

سابعاً: يؤكد المؤتمر على دور الجماهير الشعبية والحكومات العربية في صراعنا الحضاري والتاريخي ضد أعداء أمتنا والذين يحاولون من خلال محاولات الغزو الثقافي الإعلامي إلى تخريب هويتنا القومية وتشويه قضايانا العادلة وتاريخنا الحضاري العريق، وهذا يتطلب برمجة فعلنا الإعلامي والثقافي والفكري من خلال:-

1- انتاج أعمال سينمائية وتلفزيونية وثقافية إبداعية تخدم أهداف رفع الحصار عن العراق وفلسطين وفضح جرائم وفظائع المعتدين الأمريكيين والصهاينة،ومجازرهم المستمرة ضد الشعبين الفلسطيني والعراقي.

2- إقامة أسابيع ثقافية فلسطينية وعراقية في الدول العربية والمهجر لخدمة رفع الحصار عن العراق وإنهاء معاناة شعب فلسطين من الاحتلال وأعماله الإجرامية الهمجية المتواصلة.

3- إقامة المعارض المختلفة لإبداعات الأطفال العرب دعماً للانتفاضة والعراق.

4- إبراز الجوانب الإنسانية والأخلاقية في معاناة الشعبين الفلسطيني والعراقي.

5- دعم ومساندة الصمود الأسطوري والبطولي للشعبين وتمجيد صور البطولة والصمود في وجه المعتدين.

6- إعطاء اهتمام خاص لمخاطبة الرأي العام العالمي والفعاليات العربية المختلفة بالمهجر بالأساليب القادرة على إقناعهم بعدالة قضايانا والتركيز على الجانبين القانوني والانساني لهذه القضايا.

وللمساهمة في رفع أداءنا الإعلامي وإنجاح معركتنا الإعلامية لابد من إنشاء بنك معلومات عربي يعنى بالأرقام والوثائق حول جرائم العدو الإمبريالي الصهيوني ضد أمتنا ولاسيما استخدام اليورانيوم المنضب واستخدام شهادات خبراء أجانب محايدين ليطّلع العالم على حجم الجرائم التي اقترفها الأمريكيون بحق العراق و فظاعة ما يرتكب حالياً ضد شعب فلسطين.

وعلى مدى أربعة أيام عبّر ممثلو الشعب العربي عن عمق تضامنهم ومساندتهم لقضيتي العراق وفلسطين واستعداداتهم العالية للبحث عن الأشكال والوسائل والأدوات المناسبة لرفع وتيرة التضامن الشعبي العربي مع قضايا أمتنا المصيرية. وحرصهم على المساهمة في وضع اللبنات الضرورية والأساسية لبناء مجتمع عربي موحد سياسياً واقتصادياً وثقافياً وأمنياً لصون الأمة وتراثها وثرواتها وكرامتها من أي عبث من القوى الطامعة في ثرواتنا ومقدساتنا.

وتعاهدت تلك القوى على السير معاً من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مشرق لأمتنا ■■

الجبهة الشعبية تشارك في المؤتمر السادس للقوى الشعبية العربية

شارك وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المؤتمر السادس للقوى الشعبية العربية المنعقد في بغداد في الفترة مابين ١٩-٢٠٠١/٣/٢٢ برئاسة الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي وعضوية الرفاق أبو علي حسن عضو م.س ورفيق من الداخل والرفاق عمر قطيش، وجواد عقل عضوي اللجنة المركزية للجبهة، وعدد آخر من الرفاق من سورية ولبنان.

وقد ساهم الوفد بفعالية في نشاطات المؤتمر ولجانه السياسية والاقتصادية والإعلامية. وأجرى عدد من الرفاق مقابلات تلفزيونية وصحفية بهذه المناسبة.

وقد ألقى الرفيق أبو أحمد كلمة سياسية في المؤتمر جاء فيها:

- الحرص على استمرار الانتفاضة الباسلة من خلال توفير مقومات صمودها السياسية والتنظيمية والاقتصادية. والتي لابد لها أن تنعكس على مجمل الأوضاع الداخلية الفلسطينية بدءاً بضرورة إعادة بناء م.ت.ف على أسس ديمقراطية ومروراً بتعزيز الدور القيادي للقيادة الوطنية والإسلامية وانتهاءً بتوقف كل أشكال المفاوضات السرية والعلنية بين السلطة وإسرائيل ووقف كل أشكال التطبيع والتنسيق الأمني.

والتمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية.

وعلى المستوى الشعبي العربي أكد على أهمية مأسسة العمل الشعبي العربي والتنسيق بين كافة إطاراته في إطار هيئة تنسيق عليا ودعم الانتفاضة سياسياً ومادياً ووقف التطبيع ومقاطعة البضائع الأمريكية وتشكيل لجان مقاومة التطبيع في كل قطر عربي.

وعلى الصعيد الرسمي العربي أكد الرفيق أبو أحمد في كلمته على:

١- تنفيذ القرارات التي اتخذتها القمة العربية السابقة.

٢- قطع كافة العلاقات مع العدو، وإلغاء كافة المعاهدات الموقعة معه.

٣- وضع استراتيجية مواجهة عربية لرفع الحصار الظالم على العراق وإدانة الاعتداءات الأمريكية البريطانية المتكررة والوفاء بكل الالتزامات واحتياجات الانتفاضة.

كما وجّه التحية باسم الجبهة إلى العراق وقيادته وجيشه وثمّن عالياً الدعم السياسي والمادي الذي يقدمه العراق للشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة.

مؤتمر القوى الشعبية في بغداد

هل يتجاوز القرارات والتوصيات إلى التنفيذ؟!

علي فياض*

على أبواب مؤتمر القمة العربية الأخير وفي أعقاب العدوان الجوي الأحدث على بغداد وفي إطار النشاطات التضامنية والفعاليات السياسية التي تشهدها العاصمة العراقية عقد مؤتمر القوى الشعبية العربية دورته السادسة (١٩-٣/٢٢) تحت شعار «انتفاضة فلسطين وصمود العراق ملحمة العروبة الجهادية ضد الهيمنة الأمريكية والعدوان الصهيوني» وسط حضور عربي شعبي وسياسي وحزبي مميز لم تشهده المؤتمرات والاجتماعات السابقة.

ولاشك أن هذا المؤتمر قد أضاف جديداً إلى النشاطات التضامنية السابقة التي شكلت تظاهرات سياسية إعلامية هامة داعمة للعراق في صموده وكاسرة للحصار الأمريكي البريطاني الظالم عليه كما أن توقيت انعقاد الدورة الجديدة جاء ليعزز موقف العراق بين حدثين بارزين هما العدوان الجوي على بغداد (٢/١٦) والقمة العربية في عمان (٣/٢٧) فقوبل الأول بالإدانة والاستنكار والتنديد والدعوة إلى ضرب المصالح الأمريكية ومقاطعة بضائعها وقدم للثاني قرارات وتوصيات ومناشدات لفك الحصار العربي على العراق من طرف واحد. وفي الحالتين لعبت الانتفاضة الفلسطينية دورها في إنجاح التظاهرة كونها تشكل التطور الأهم الحاضر المتفاعل على الساحة العربية، وقد عكس هذا التوجه درجة الاهتمام الرسمي بالمؤتمر حيث تواجد على امتداد أيامه الأربعة السيدان /طه ياسين رمضان/ نائب رئيس الجمهورية و/طارق عزيز/ نائب رئيس الوزراء سواء في يومي الافتتاح والاختتام أو في الجلسات العامة أو في اللقاءات الثنائية مع الوفود العربية المشاركة في المؤتمر.

وبالنظر إلى الدورات السابقة فإن الدورة الأخيرة لمؤتمر القوى الشعبية اعتبرت نقلة نوعية لأنها تميزت بثلاث إضافات ملموسة أولاً: فمن حيث حجم المشاركة ارتفع عدد المشاركين إلى قرابة ألف شخصية حزبية وسياسية وثقافية وإعلامية وصحفية واجتماعية، وثانياً: من حيث خارطة المشاركة اتسعت لتشمل أقاليم جديدة كان أبرزها المشاركة السورية والمغاربية والمهجرية التي ضمت حزبيين ومثقفين ونشطاء من مختلف الاتجاهات، وثالثاً: من حيث نوعية العضوية تجاوزت الأحزاب والتنظيمات والفصائل ذات الحضور التقليدي إلى المنظمات النقابية والاتحادات الشعبية والشخصيات الثقافية والفكرية المستقلة التي حضرت لأول مرة، والتي أعطت المؤتمر نكهة مختلفة وقدمت مساهمات جديدة من النقاش العام ومداولات اللجان الفرعية السياسية والاقتصادية والإعلامية والفكرية.

وهنا لابد من ملاحظة نجاح العراقيين في استثمار عامل الانتفاضة الفلسطينية من زاوية الربط السياسي الدعاوي بين القضية الفلسطينية والقضية العراقية وبين دعم الانتفاضة والتضامن مع العراق، ومن زاوية الدعم العراقي المادي المباشر والملموس للانتفاضة الفلسطينية، مما يدفعنا إلى القول إن المؤتمر السادس كان الأنجح بين المؤتمرات الشعبية السابقة، فرغم حجم المشاركة الواسعة وما تحدثه من إرباكات وإحراجات في ظل ظروف الحصار فإن إدارة المؤتمر نجحت في تذليل الصعوبات الإدارية واللوجستية وفي إعداد الأوراق والدراسات المطلوبة وفي الخروج بقرارات وتوصيات هامة غطت إلى جانب القضيتين الرئيسيتين (فلسطين والعراق) معظم قضايا الأمة العربية من المحيط (مليلة وسبتة المغربيتين) إلى الخليج (جزر الإمارات الثلاث) ومن السوق العربية المشتركة إلى مقاطعة البضائع الأمريكية، ومن ثقافة المقاومة ومناهضة التطبيع إلى تعميق الوعي القومي وثقافة الأطفال.

لقد صدر عن المؤتمر سلسلة من القرارات والتوصيات التي تناولت الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية، التي أعادت الاعتبار لفلسطين كقضية مركزية للأمة العربية وأعادت الاعتبار لفكر المقاومة والنضال ولاستراتيجية الجهاد والتحرير، والتمسك بالحقوق العربية القومية في كل المناطق المحتلة والمطالبة برفع الحصارات عن الأقطار المستهدفة أمريكياً، كما أعادت الاعتبار للثقافة القومية الوحدوية التحررية سياسياً واقتصادياً وإعلامياً ولسيادة الأقطار العربية على أراضيها وثرواتها الوطنية وسيادتها.

في مقابل تلك الصورة الإيجابية لابد من الاعتراف بأن مؤتمر بغداد، بما شهد من جنوح ملحوظ إلى الشعاراتية والتنظير ومن إغراق ملموس في الخطابة والهتافية، كان يؤشر مجدداً على أزمة العمل السياسي والشعبي العربي المعاصر المتمثلة في عدم قدرة أحزاب وفصائل هذا العمل على الانتقال من دائرة القرارات والتوصيات والبرامج النظرية إلى ساحة التنفيذ والترجمة والممارسة الفعلية، وبالتالي عدم قدرتها على التخلص من ذات الاتهامات التي توجهها إلى الأنظمة والحكومات الرسمية الموصومة بالعجز والشلل والمراوحة وغير القادرة على الخروج من مأزقها المزمن وأزماتها المستعصية.

وإذا كان مؤتمر بغداد قد ذكّرنا بالسمة المشتركة لكل المؤتمرات والاجتماعات السياسية والشعبية، القومية والإسلامية التي تنتهي مفاعيلها بعد صدور البيان الختامي، فإنه في الوقت ذاته وضع الأحزاب والفصائل والشخصيات المشاركة أمام اختبار مباشر عندما أطلق وعوداً بالتحرك الشعبي العربي الشامل في أيام محدودة بمناسبة القمة العربية (٢٦-٣/٢٧) ويوم الأرض الفلسطيني (٣/٣٠).

وإذا تذكرنا أن الأمين العام السيد /سعد قاسم حمودي/ كان قد وجّه نداءً للجماهير العربية لمهاجمة المصالح الأمريكية البريطانية رداً على العدوان الجوي واحتجاجاً على زيارة وزير الخارجية الأمريكي إلى المنطقة وأن الاستجابة المنشودة كانت متواضعة، فإننا نقول اليوم وبعد صدور قرارات المؤتمر السادس إن مصداقية القوى القومية والإسلامية واليسارية المشاركة وفعاليتها وضعت أمام المحك المباشر والامتحان الصعب وهنا علينا جميعاً أن نتدبر الأمر وقبل أن يحل علينا المؤتمر السابع فنعود إلى ذات القرارات والتوصيات مع مزيد من الوعود والمواعيد!

هذا على الجانب العربي العام، أما على الجانب الفلسطيني العراقي فإن المسؤولية تكون أكبر والتحدي يكون أعظم في مجالات التطبيق والمتابعة والتحرك الأمر الذي يتطلب درجة أعلى من التضامن والتنسيق بين الطرفين أصحاب القضيتين المباشرتين. لقد دفع العراقيون مشكورين باتجاه أن تكون قضية الانتفاضة وفلسطين عنواناً للمؤتمر إلى جانب قضية الحصار على العراق، فاحتلت قضية فلسطين والمسائل المتعلقة بدعم الانتفاضة المساحة الأكبر في البيان الصادر عن المؤتمر، مما يلقي علينا مسؤولية أكبر من غيرها ■■

(*) كاتب سياسي، سفير سابق.

يسرُّ مجلة «الهدف» في إطار خطتها لتفعيل الحوار الهادئ والبنّاء أن تنشر على صفحاتها مشاركات الكتّاب والمفكرين الفلسطينيين والعرب حول أبرزُ العناوين الساخنة والإشكالية التي تواجه ساحتنا الفلسطينية والعربية، وفي هذا السياق نفتتح هذا الحوار السجالي بمساهمة الباحثَين الفلسطينيين الأستاذ ماجد كيالي، والمحامي سمير الزبن حول إسرائيل والتسوية.

قارب ماجد كيالي موضوعه من زاوية «التفكير بالتسوية إسرائيلياً» بينما ناقش الزبن الموضوع من زاوية إشكاليات التسوية إسرائيلياً تحت عنوان «إسرائيل والتسوية»، وقد ألقى الباحثان هاتين المداخلتين في ملتقى «الهدف الحواري»، حيث أُثيرت الكثير من الأسئلة الجادّة حول هذا الموضوع من قبل الحضور الذين شاركوا مشاركة فعالة في إغناء الحوار.

تتمنّى مجلة «الهدف» على جميع الكتّاب والمفكرين المساهمة في هذا الحوار لتعميق فهمنا المعرفي الملموس لطبيعة التفكير الإسرائيلي للتسوية، ودلالاته ومرتكزاته النظرية، على أن نستمر في أعداد لاحقة في طرح العديد من القضايا النظرية التي تواجه نضالنا الوطني والقومي لإرساء فكر علمي موضوعي حول هذه القضايا

ويحدونا أمل كبير بمساهمة فاعلة وناضجة ومسؤولة من كل من يهمّهم أمر تطوّر الرؤية المعرفية لجميع قوانا الوطنية في مقاربة تلك القضايا الإشكالية.

التفكير بالتسوية إسرائيلياً

ماجد كيالي

لا يمكن الحديث بنوع من الإجابات المطلقة على السؤال المطروح في هذه الندوة بشأن تحديد علاقة إسرائيل بعملية التسوية، ولعل هذا النوع من الإجابات هو أسهلها. يمكن القول مثلاً بأن إسرائيل تنحو نحو التسوية كما يمكن قول عكس ذلك، ومن الواضح أنه يمكن سرد قائمة طويلة من القرائن التي تؤكد صحة وجهة النظر هذه أو تلك. ومشكلة هذا النوع من الإجابات أنها إجابات تقريرية ومتسرعة لا تعكس التعقد في عملية التسوية، بتناقضاتها وإشكالياتها من المنظور الإسرائيلي، بقدر ما أنها تعكس الرغبات أو المواقف السياسية لأصحابها، وهذه الطريقة في التفكير تشكل إحدى معضلات التفكير السياسي العربي.

وقبل البحث في إشكاليات عملية التسوية لدى الطرف الإسرائيلي، كما يفهمها وكما تتجلى عنده هو، ينبغي أن نحدد معنى التسوية ومبناها، فالتسوية التي يجري فرضها في المنطقة، هي تسوية غريبة وفريدة في نوعها فهي لا تفترض الاقتصار على حل قضية الأراضي المحتلة وإنهاء حالة الحرب (برغم الإجحاف الكامن في هذه الصفقة التي تركز على ملف حرب ١٩٦٧)، ولا بمجرد إقامة علاقات عادية بين الدول العربية وإسرائيل من الجهة الثانية، وإنما هي تفترض أساساً تجاوز أسباب الصراع، والانتقال مرة واحدة إلى قبول النطق الإسرائيلي، وصولاً لإقامة ترتيبات سياسية واقتصادية وأمنية في المنطقة تكون إسرائيل جزءاً مهماً فيها إن لم تكن مركزاً لها، وبذلك فهي بمعنى من المعاني بمثابة مكافأة للمعتدي أو تعويض للمحتل!، وهي تسوية يجري فرضها في ظروف غير مواتية بالنسبة للعرب، كما أنها لا تجري في إطار من التكافؤ النسبي بين كل من إسرائيل والأطراف المعنية.

إجمالاً تعاملت إسرائيل بصورة حذرة وانتقائية مع التسوية، فمثلاً:

١ـ ذهبت إسرائيل إلى التسوية مضطرة، وبقوة دفع المتغيرات الدولية والإقليمية، وذلك للتلاؤم مع الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، برغم كل الإجحاف المتمثل في هذه التسوية بالنسبة للحقوق العربية، وهذا ما يفسر واقع أن إسرائيل هي العائق الرئيس أمام هذه العملية، بشكليها الثنائي والإقليمي، وهي لذلك تبدو في حيرة من أمرها تجاه هذه العملية (شامير إسرائيل هي ٥٠ بالمئة من الشرق الأوسط، بيريز التسوية هي النظام الشرق أوسطي ونهاية عهد، رابين فرصة من السماء) اتفاقات ومذكرات وبروتوكولات. وما يفسر ما تقدم أن مرحلة اللاحرب واللاسلم شكلت وضعاً مريحاً لإسرائيل في المنطقة، إلى حدٍ ما، فقد استمر الاحتلال ومع ذلك فقد استقرت الدولة العبرية وتطورت وجلبت المهاجرين، وبنت شبكة واسعة من العلاقات الدولية.

٢ـ انتهجت إسرائيل خط مسايرة عملية التسوية بأقل قدر من الاستحقاقات المطلوبة منها (سواء في ظل حكومات العمل أو الليكود)، إذ أن الحيوية السياسية للدولة العبرية وتداخل علاقاتها ومصالحها الدولية بخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية، جعلها أكثر قدرة من النظام الرسمي العربي على التماثل مع الاستراتيجيات الدولية ووضع الأولويات الإسرائيلية في صلبها، بينما من الجهة الأخرى مازال العرب يفتقدون لاستراتيجية موحدة في مرحلة التسوية مع إسرائيل تماماً كما افتقدوا هذه الاستراتيجية في مرحلة الصراع معها.

٣ـ منذ بداية عملية التسوية باتت إسرائيل من الناحية السياسية أقل استقراراً (توالي الحكومات الإسرائيلية)، وباتت تناقضاتها الداخلية تتجلى بشكل أوضح من قبل (متدينين وعلمانيين، شرقيين وغربيين، مستوى المعيشة والرفاهية والضرائب الضمان الاجتماعي)، حتى أنه يمكن القول بأن الإجماع الداخلي الإسرائيلي بات أكثر عرضة للاهتزاز (اغتيال رابين). ولكن هذه الظواهر ينبغي التعامل معها بحذر، فإسرائيل باعتبارها دولة حديثة أي دولة مؤسسات، وهي قادرة على استثمار وإدارة تناقضاتها لصالح إضفاء التنوع فيها وتقديم نفسها كدولة ديمقراطية. لذلك استطاعت الدولة العبرية منذ قيامها السيطرة على التناقضات والأزمات الداخلية والخارجية التي نشأت معها، كظاهرة سياسية ـ اجتماعية مصطنعة في المنطقة، ومن الأساس

فإن التناقضات الداخلية جرى طمسها أو التخفيف من شأنها لصالح تناقضات إسرائيل الخارجية أولاً، ولضرورات تقتضيها عملية «صناعة» الدولة والمجتمع الإسرائيليين، لاستيعاب التنوع والتعايش بين اليهود في إسرائيل على اختلاف أصولهم وثقافاتهم ثانياً. يقول يهوشواع: «الصراع العربي - الإسرائيلي، هو العمود الأساس الذي بنيت حوله الهوية الإسرائيلية. سيتآكل هذا العمود المركزي لتضامن الهوية الإسرائيلية تدريجياً مع تقدم عملية السلام. كذلك ستكف الهجرة والاستيطان، والكفاح الأيديولوجي والعملي المرتبط بهما، عن ممارسة دور الهدف المشترك والتوحيدي في التجربة الإسرائيلية». أما المحلل الإسرائيلي زئيف شطرنهل فيشير إلى هذا التغير في مستوى التناقضات بقوله: «كانت الصهيونية حتى الأعوام الأخيرة مصنوعة من قماش واحد، وكانت الفوارق بين التيار الديني والتيار العلماني، بين اليمين واليسار، بين الاشتراكيين والآخرين برمتهم، فوارق في الدرجة واللون لا في الجوهر.. مستعمرتنا هذه، شأنها شأن جميع المستعمرات السابقة لها مصيرها إلى الزوال وما ليس واضحاً بعد هو فقط الثمن الذي سندفعه ريثما يحدث ذلك».

وفي الواقع فإن الحضور السياسي والاجتماعي والثقافي للشعب الفلسطيني وصموده في أرضه، هو الذي أدى إلى اهتزاز الصورة الإسرائيلية، فهذا الحضور خلق المشكلة الديمغرافية، وطرح على إسرائيل أسئلة تتعلق بهويتها ويهوديتها وديمقراطيتها (إسرائيل تعرّف نفسها كدولة يهودية وديمقراطية) ثم جاءت الانتفاضة (١٩٨٧) لتعزز من صورة إسرائيل كدولة استعمارية محتلة، على المستويين الداخلي والخارجي، ولتطرح قضية الأراضي الفلسطينية المحتلة والفلسطينيين فيها على رأس جدول الأعمال، باعتبارها قضية إسرائيلية داخلية.

الإنقسام الإسرائيلي إزاء عملية التسوية

انقسمت إسرائيل على نفسها بالنسبة لعملية التسوية برغم الخطوط الحمر التي تجمع مختلف التيارات الإسرائيلية، وهي الخطوط التي تتعلق بأمن إسرائيل وهويتها اليهودية، وبرفض حق العودة للفلسطينيين، وبالتمسك بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل، أما في غير ذلك أي بالنسبة لقضية مساحة الأراضي التي ينبغي الانسحاب منها والمستوطنات والحدود والدولة الفلسطينية، والتعاون الإقليمي فثمة مساحة واسعة من الاجتهادات والاختلافات في هذا الموضوع.

فمن جهة رأت التيارات القومية اليمينية المتطرفة في التسوية تحدياً لحدود إسرائيل - وانتهاكاً لمبررات وجودها الأيديولوجية والصهيونية والأسطورية، ومحاولة لدفع إسرائيل للتحول لدولة عادية في المنطقة، ما ينتقص من دورها السياسي الوظيفي المفترض، وهذه التيارات كما هو معروف تركز على إعلاء شأن الصراع العربي - الإسرائيلي (الخارجي) كما تركز على التعبئة الأيديولوجية الصهيونية، وعلى الاستيطان باعتباره قيمة عليا، وعلى قوة إسرائيل وفرادتها في المنطقة، وعلى أرض إسرائيل الكاملة مقابل دولة إسرائيل، وعلى شعب إسرائيل (أي الشعب اليهودي) مقابل الشعب في إسرائيل، بحسب تعبير عزمي بشارة. وباختصار فإن هذا التيار يرى ضرورة تجديد الصهيونية ولذلك عارض عملية التسوية برغم كل الإجحاف الكامن فيها بالنسبة للعرب، وبرأيه فإن إسرائيل قادرة على فرض التسوية (تسوية الأمر الواقع على العرب) بوسائل القوة والإملاء. وأما بالنسبة للشرق أوسطية فهذا التيار لا يرى أية ميزة بالتعاون الشرق أوسطي للدرجة التي تفرض على إسرائيل تقديم تنازلات معينة مقابله، بحكم علاقات إسرائيل الدولية وتقدمها الاقتصادي، كما يرى هذا التيار بأن على الولايات المتحدة أن لا تتدخل في شؤون إسرائيل التي لا تدين لها بشيء! بل على العكس فإن هذا التيار يرى بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تدين لإسرائيل!

في مقابل ذلك يرى اليسار الإسرائيلي، الذي يتجه نحو التسوية والذي يتمثل خاصة بحزبي العمل وميريتس، بأن إسرائيل مضطرة للتكيف مع المتغيرات الدولية والإقليمية الحاصلة، كما مع الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، لانتزاع أكبر قدر من المكاسب والمكافآت من العرب ومن الولايات المتحدة في مقابل الانسحاب من الأراضي المحتلة، على شكل قبول العرب رواية إسرائيل للصراع في المنطقة والدخول معها في علاقات وترتيبات أمنية وسياسية واقتصادية وأمنية ثنائية وإقليمية، وتعزيز العلاقة الإسرائيلية - الأمريكية. وهذا التيار يركز على دولة إسرائيل وهويتها اليهودية وصورتها الديمقراطية، ولذلك فهو يرى بأن الإنسحاب من الأراضي المحتلة يجنب إسرائيل المخاطر الديمغرافية الناجمة عن وجود مليوني عربي في الضفة والقطاع، كما أنه يحافظ على نقاوة الدولة اليهودية ويخلصها من الأعباء السياسية والأمنية والأخلاقية الناجمة عن الاحتلال. هذا فضلاً عن أن هذا الاتجاه وبسبب من تطورات العولمة الاقتصادية والتغير في عناصر القوة لدى الدول، لم يعد يرى ان مساحة الدولة، مهمة لاستقرار إسرائيل وازدهارها، بقدر ما بات يرى ذلك في ميدان التطور الاقتصادي والتكنولوجي والعلمي، بخاصة بعد أن ضمنت الولايات المتحدة أمن الكيان وتفوقه النوعي في المنطقة. ومعنى ذلك أن المقاربة البرغماتية لهذا الاتجاه على استعداد للانسحاب من معظم الأراضي الفلسطينية المحتلة والاعتراف بالشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في إقامة دولة مستقلة. وينبغي التأكيد هنا أنه لولا حضور الشعب الفلسطيني وانتفاضته لما كان هناك مقاربة إسرائيلية - فلسطينية لعملية التسوية، أي أن إسرائيل اعترفت مضطرة بالبعد الفلسطيني للتسوية.

دوافع عملية التسوية:

بكل حال فإن إسرائيل مضطرة لمواصلة التعامل مع عملية التسوية برغم من أنها غير مهيأة لها بسبب من مجموعة متشابكة من الدوافع الداخلية والخارجية وهي على النحو التالي:

أولاً: على الصعيد الخارجي:

١ـ وجود فرصة سانحة للتسوية بعد المتغيرات الدولية الناجمة عن انهيار الاتحاد السوفيتي (السابق) وحرب الخليج الثانية، وبسبب توجه الولايات المتحدة الأمريكية، التي باتت تهيمن على النظامين الدولي والإقليمي لنزع فتيل الصراع العربي - الإسرائيلي، وإقامة نظام جديد في المنطقة، وبخاصة أن الولايات المتحدة هي ضامنة أمن إسرائيل وتفوقها النوعي في المنطقة، وهي راعي عملية التسوية.

٢ـ تزايد وزن العوامل الاقتصادية، والتكنولوجية والعلمية والقبول الدولي في تحديد موازين القوى للدول وتعيين دورها ومكانتها في حقل الصراعات والعلاقات الدولية، على حساب القدرة العسكرية، وعلى حساب مساحة الدولة وعدد سكانها (دول صغيرة مثل هونغ كونغ وبلجيكا وهولندا يبلغ الناتج السنوي لها ١٦٣ و٢٧٢ و٤٠٣ مليار دولار، على التوالي بحسب تقرير التنمية البشرية). وحتى أن إسرائيل التي كان ناتجها السنوي يبلغ ٥٢ مليار دولار مطلع التسعينيات بات يبلغ ١٠٥ مليار دولار في هذا العام، برغم الانتفاضة وحرب لبنان والصراع العربي - الإسرائيلي! ويرى تيار التسوية في إسرائيل ضرورة الاستثمار في الاقتصاد والتكنولوجيا والعلوم للحفاظ على قوة إسرائيل ومكانتها في المنطقة.

٣ـ أدت ثورة الاتصالات والمعلوماتية إلى دخول تغيرات مهمة في المجال الثقافي - القيمي في التجمع الإسرائيلي بخاصة لدى الشباب، وباتت العادات الاستهلاكية والأفكار الليبرالية تنتشر في هذه الأوساط، حتى أنه يجري الحديث عن تسارع مسار الأمركة في هذا المجتمع، وهذه ليست ظاهرة غريبة في هذا المجتمع بسبب انتمائه للغرب أساساً، وبسبب

تقدم مستوى المعيشة، ويكفي أن نذكر أن إسرائيل تضم ٥٠ بالمئة من المشتركين بشبكة الانترنيت في المنطقة. ويمكن القول إن الإحساس بالأمان والاستقرار يدفع الأجيال الجديدة نحو الاهتمام بالقضايا الفردية المتعلقة بضمان العلم والعمل والمسكن والصحة والرفاه الاجتماعي على حساب الاهتمامات الجماعية والنزعات الايديولوجية. ومن الناحية الثقافية أثرت موجة ما بعد الحداثة على النقاش الداخلي الإسرائيلي، فقد بدأ الشك يجتاح قطاعات واسعة من المثقفين الإسرائيليين حول الرواية الصهيونية للتاريخ، وبدأت أفكار ما بعد الصهيونية تتصدر الجدال بين النخب الإسرائيلية. وعموماً فقد عبرت هذه التأثيرات عن ذاتها بتراجع الايديولوجيا والسياسة لصالح التوجهات الليبرالية وتنامي الهويات الأصلية، وضمور الأحزاب المركزية الكبيرة وبروز دور الأحزاب الصغيرة، كما تراجع دور المؤسسات الجمعية مثل: الهستدروت والكيبوتزات والمؤسسة العسكرية والنقابات والقطاع العام، وقد ساهم في ذلك اندماج إسرائيل في السوق العالمية والتوجه نحو خصخصة قطاعات الانتاج وتحرير السوق وتقليص دور الدولة في الحياة الاقتصادية وفي مجال الخدمات الاجتماعية.

٤ـ الاتجاه الموضوعي نحو «العولمة» والاعتماد المتبادل والاندماج الإقليمي والدولي في مختلف المجالات: السياسية، الاقتصادية، التكنولوجية، ويرى تيار التسوية في إسرائيل ضرورة الاستفادة من المجال الرحب للشرق الأوسط، وتعزيز مسار الاعتماد المتبادل بخاصة في مجالات السياحة والبنى التحتية والبيئة والمياه، مع التأكيد على أن إسرائيل جادة في سعيها لتغيير وظائفها، مع حفاظها على احتكار السلاح النووي والتفوق العسكري. ويمكن القول هنا بأن وصول قطاعات واسعة من الإسرائيليين إلى قناعات مفادها بأن إسرائيل وصلت إلى سقفها السياسي ـ الجغرافي، وإن هذا السقف لم يعد بالإمكان تجاوزه بسبب إمكاناتها المحدودة وبسبب المتغيرات الدولية والإقليمية فلا شعار «أرض إسرائيل الكبرى» ولا مسألة تجميع اليهود في إسرائيل، ولا الاعتماد على القوّة العسكرية، باتت قضايا مقنعة، أو ممكنة، في ضوء هذه المتغيرات، لا سيما وأن الوضع العربي بات أكثر حصانة أمام الاستهدافات الإسرائيلية (بالقياس للمراحل السابقة)، رغم كل أوجه الضعف التي تكتنفه (حرب تشرين/ الانتفاضة/ حرب الخليج الثانية/ المقاومة اللبنانية).

٥ـ استعداد النظام العربي للانتقال من ملف البحث في وجود إسرائيل إلى ملف البحث في شكل هذا الوجود من ميدان الصراع والنفي إلى ميدان التعاون والتنافس.

٦ـ تبلور المجتمع الإسرائيلي بعد نصف قرن على وجود إسرائيل إذ تغيّرت التركيبة السكانية، من مجتمع مستوطنين ـ مهاجرين إلى مجتمع مستقر، ٦٠٪ منه من مواليد فلسطين / إسرائيل (بعد عام ١٩٤٨م)، أي أن جيل «الروّاد» من المستوطنين الزراعيين والعسكريين، الذي عمل لإقامة الدولة الصهيونية قد انتهى، وظهرت أجيال أخرى بكل ما لهذه المسألة من معاني تتعلّق بتغيّر طبيعة الحراك الاجتماعي السياسي الإقتصادي الإيديولوجي، ثم أن هذه الدولة باتت أكثر استقراراً وأكثر اطمئناناً تجاه المستقبل، ووصلت إلى المستوى المناسب في تطور أوضاعها: السياسية والاقتصادية والأمنية، وقد نمى من الإحساس لدى الإسرائيليين بحد مناسب من الاستقرار الوجودي والنفسي.

٧ـ ضرورة التخلص من الهاجس الديمغرافي المتمثل بوجود أكثر من مليوني فلسطيني، في الضفة والقطاع، وصمودهم ومقاومتهم للاحتلال، فقد واجهت إسرائيل باحتلالها لكامل فلسطين عام ١٩٦٧، مأزقاً جديداً يتمثل بالموقف من قضيتي الأراضي الجديدة (المحتلة) ووجود الشعب الفلسطيني ، فلا هي استطاعت ضم هذه الأراضي ولا هي راغبة في التخلي عنها، ونجم عن هذا المازق تغير صورة إسرائيل لدى الرأي العام الدولي وظهرت كدولة محتلة، وبرز طابعها العنصري ظاهراً للعيان. على خلفية كل ذلك، وجدت النخب السياسية الإسرائيلية نفسها حائرة في تحديد مصائر إسرائيل بين عدم قدرتها على دوام الاحتلال من الناحيتين الأخلاقية والمادية والسياسية، وبين التخلي عن المنطلقات التقليدية للصهيونية ودعاوى «أرض الميعاد» و«أرض بلا شعب»، ثم بين محاولات التوفيق بين الجانبين، وهو الذي يشكل أساس الانشقاق العمودي في إسرائيل اليوم.

إشكاليات عملية التسوية إسرائيلياً

برغم من دوافع عملية التسوية الخارجية والداخلية فإنه ثمة إشكاليات عديدة في هذه التسوية، برغم الإجحاف الكامن فيها بالنسبة للحقوق العربية، وتتمثل هذه الإشكاليات بالنواحي التالية:

ـ الإشكالية الأولى تنبع من الترابط بين الاستحقاقات الداخلية والخارجية، فعملية التسوية، بخاصة مع الفلسطينيين، تعريف إسرائيل لحدودها ولهويتها ولدورها، في المنطقة، وهو ما يفسر التعقيدات المتعلقة بهذه العملية وتحولها، بمعنى ما، إلى قضية إسرائيلية داخلية. فالإنسحاب من الأراضي الفلسطينية يقوض أسطورة أرض الميعاد، كما أن الاعتراف بالشعب الفلسطيني يقوض أسطورة ارض بلا شعب، وهذا يعني مراجعة إسرائيل لمبررات وجودها وقطعها ركيزتين من ركائز الصهيونية التقليدية. وبحسب ألوف هارئيفين فثمة أربعة قرارات حاسمة وصعبة في إطار الأبحاث حول: «إسرائيل عام٢٠٠٠»، ينبغي على إسرائيل (برأيه) أن تعمل على صوغ إجابة عاجلة عنها وهي: «مستقبل المناطق، ودلالة يهوديتنا، واستقلالنا الاقتصادي، وماهية الإنسان الإسرائيلي في القرن المقبل. إن القرار الحاسم الصعب الذي يواجه في إسرائيل في السنوات المقبلة يتعلق بمستقبل يهودا والسامرة وقطاع غزة، ومستقبل المليون وربع المليون (آنذاك) من العرب الفلسطينيين الذين يعيشون في هذه المناطق تحت الحكم العسكري الإسرائيلي (..) إن الحسم بشأن هذه المناطق (..) يحمل في طياته مسائل مصيرية تتعلق بأمن إسرائيل وهويتها والنظام الديمقراطي» وكتب المحلل الإسرائيلي ليفي موراف: «بعد اعتلاء بيغن الحكم ركزنا على مسألة كيف نحتفظ بالمناطق. إن المسألة بدأت تأخذ اتجاهاً عكسياً هو كيف لا نحتفظ بالمناطق، أو بمعنى آخر كيف نتحرر من استيلاء المناطق علينا». ولذلك يبدو النقاش حول عملية التسوية وكأنه نقاش يخص الإسرائيليين أنفسهم أو وكأنه نقاش داخلي لا علاقة للأغيار به.

ـ أما المشكلة الثانية فهي تنبع من الطابع التاريخي والسياسي الملتبس للدولة العبرية، فهذه الدولة لم تنشأ بنتيجة التطور الطبيعي للتجمع اليهودي في فلسطين، وإنما قامت بفعل عمليات الهجرة الاستيطانية ـ الإحلالية، إلى فلسطين، ونشأت برغم إرادة أهل الأرض الأصليين، وبفضل عوامل القوة والهيمنة والمساعدة الخارجية. وبسبب من كونها دولة غير طبيعية، من الناحية التاريخية، فإن سعيها لإيجاد أجوبة حاسمة على الأسئلة الجوهرية المطروحة عليها تواجه صعوبات وتعقيدات كبيرة، تختلف كثيراً عنها لدى الدول العادية، والمشكلة أيضاً أن عملية التسوية تفترض إجماعاً غير ممكن لدى مختلف أطراف الطيف الإسرائيلي. والمشكلة أن الصراع هنا ليس صراعاً بين الشعب الفلسطيني من جهة ودولة الاغتصاب والاحتلال فحسب وإنما هو أيضاً صراع مع المجتمع الذي ينتمي لهذه الدولة، والذي يتماهى مع أيديولوجيتها ومبرراتها وسياساتها، كما أن هذا الصراع لا يقتصر على الجوانب العسكرية أو على إشارات الدولة أو على الأراضي (الجغرافية)، وإنما هو صراع يشمل مختلف الرموز والرواية التاريخية والثقافة والمعتقدات الدينية، وهو صراع

حاولت فيه الحركة الصهيونية وتحاول فيه إسرائيل إنهاك الشعب الفلسطيني وإفنائه وإلغائه أو تغييبه وصولاً إلى شطبه من الخريطة السياسية، ولذلك يبدو الصراع في الإدراك الإسرائيلي وكأنه صراع على الأرض ذاتها (يختلف عن الانسحاب من سيناء أو الجولان أو جنوب لبنان).

وتدل التجارب بأن المجتمعات الاستيطانية المصطنعة، بخاصة منها المجتمعات الأيديولوجية (القومية والدينية) العنصرية، تحتاج إلى وقت كبير وإلى جاذبات وضغوطات عاتية إلى مقاومة مستمرة حتى تستطيع حسم خياراتها، كماتؤكد التجارب بأن البنى والدوافع الداخلية لوحدها تشكل، شرطاً ذاتياً لازماً ولكنه ليس كافياً لعملية التغيير التي تحتاج أيضاً إلى عوامل دفع وضغط خارجية إلى الدرجة المناسبة التي تفقد إسرائيل عناصر قوتها أو التي تصل إلى حد تهديد مصالحها، ما يجبر هذه التجمعات على مراجعة خياراتها وسياساتها، هذا ما حصل في الجزائر وفي جنوب افريقيا، وهذا ما ينطبق على إسرائيل ذاتها إلى حد كبير، كما بينت التجربة، ما يؤكد القول بأن عملية التسوية بحد ذاتها هي عملية صراعية.

الخلاصة، حتى الآن لا يبدو أن إسرائيل مستعدة للقطع مع طبيعتها العنصرية والاستيطانية والاحتلالية، ولا مع خطابها الايديولوجي، رغم محاولاتها التكيف مع المتغيرات الدولية والإقليمية، (من قبل بعض الاتجاهات فيها) وإزاء وضعها الصعب فإن إسرائيل تبحث عن صيغة وسط (كما يحاول حزب العمل وحلفاؤه) تمكنها من تحقيق التعايش بين طرفي المعادلة بدون أن تؤدي إلى اهتزاز المجتمع الإسرائيلي وفقدان صدقية المشروع الصهيوني إن بالنسبة للمستوطنين أو بالنسبة لليهود كما بالنسبة لمصداقية دورها السياسي في المنطقة لدى الدول الغربية.

لذلك فإن إسرائيل (بوضعها هذا) ستبقى هي العقبة الأساسية أمام عملية التسوية، وأمام الترتيبات الإقليمية الجارية، بسبب عدم نضج أوضاعها الداخلية لمثل هذه العملية المصيرية، وبسبب الانعكاسات الكبيرة لهذه العملية على هذه الدولة الاستثنائية المصطنعة من النواحي السياسية والاقتصادية والمجتمعية والثقافية. وعليه فإن أزمة التسوية في المنطقة هي إلى حد كبير أزمة إسرائيل ذاتها، كما أنها أزمة السياسة في المنطقة العربية.

وينبغي القول أخيراً بأن إسرائيل تحتاج إلى التسوية وتسعى إليها، ولكنها التسوية التي تريدها هي وبمعاييرها هي، وهي ليست بالطبع التسوية التي يتخيلها العرب ■■

إسرائيل والتسوية

سمير الزبن



بالانطلاق من اللحظة السياسية الراهنة في إسرائيل، نستطيع القول أن وصول شارون إلى سدة رئاسة الوزراء قد حيّر المحللين، فهو ينتمي إلى جيل وخطاب سياسي أفل نجمهما في إسرائيل. ورغم صورة الرجل القبيحة في إسرائيل كما في خارجها، فإن الشارع الإسرائيلي قد اختاره في هذا التوقيت السياسي ليمثله، بعد أقل من عامين من لفظه نتانياهو الذي بنى سياساته على ذات الأرضية السياسية التي ينطلق منها شارون. والتفويض الكبير الذي منحه الشارع الإسرائيلي لباراك في انتخابات عام ١٩٩٩ سرعان ما سحبه منه، ليسحقه بهزيمة مذلة. إن حيرة الشارع الإسرائيلي وعدم وصوله إلى قرار بشأن عملية السلام في المنطقة، دفعه إلى التنقل المتواتر والسريع بين اليمين واليسار، فعلى مدى عقد التسعينات شهدت إسرائيل خمس حكومات إسرائيلية لم تكمل أياً منها ولايتها. فمنذ انطلاق المفاوضات في مدريد عام ١٩٩١ استبدل الشارع الإسرائيلي رؤساء حكوماته وصولاً إلى دخول القرن الواحد والعشرين، بشخصية من أقبح الشخصيات في تاريخه.

قرأ البعض الارتباك السياسي الإسرائيلي على مدى عقد التسعينات على أنه مؤشر ضعف بدأ يعتري إسرائيل كدولة. وأعتقد أن هذه القراءة، قراءة متسرعة لواقع إسرائيل، وأعتقد أن ما يجري في إسرائيل هو تعبير عن ترف القوة التي تشعر بها إسرائيل جراء إنجاز تفوق كبير على دول المنطقة، وبالتالي لا تجد مبرر لتقديم تنازلات تتناسب مع حل تاريخي للقضية الفلسطينية وتصفية الصراع نهائياً، وإنما تريد أن تنجز «سلاماً» على مقاسها تفرض حتى شروطه التفصيلية، بإعادة تقاسم الأراضي المحتلة مع الفلسطينيين، وترتيب أوضاع المنطقة بما يجعلها المتحكم الإقليمي بأوضاعها.

لايمكن تحليل اللحظة الراهنة بناء على معطيات اللحظة السياسية الراهنة القائمة في إسرائيل اليوم، فما يجري اليوم هو نتاج صراع القرن الماضي كله، ولأننا لا نستطيع أن نستعرض قرن من الصراع في هذا الوقت القصير الممنوح لنا. فإننا ننطلق من أساس الصراع الذي ارتبط بالأرض كمحور رئيسي لهذا الصراع، ومسارات الصراع على الأرض تكشف عن مصائر البشر التي سكنتها. ولأن المشروع الصهيوني لم يكن أصلاً مشروعاً للعيش المشترك على الأرض الواحدة، فقد وضع الصراع في سياق «نحن» أو «هم» الإلغائي. فكانت المحاولات الصهيونية منذ البداية تقوم على صياغة المجتمع الصهيوني، كمجتمع غير متداخل مع المجتمع الفلسطيني، تمهيداً لحسم الصراع لمن تكون الأرض. ولتكون الأرض للغزاة الذين امتلكوا القوة كان يجب

تطهير الأرض من البشر. لقد أنجز المشروع الصهيوني دولته على أرض ١٩٤٨ متجاوزاً قرار التقسيم الذي منح دولة إسرائيل ٥٦ في المئة من مساحة فلسطين التاريخية إلى الاستيلاء على ٧٦٪ في المئة منها.

لم ينته الصراع عند هذه الحدود، ونقلت إسرائيل الصراع مرة أخرى إلى الأراضي العربية باحتلالها أراض فلسطينية وعربية جديدة في عام ١٩٦٧، وأدارت سياسة استيطانية في هذه المناطق سعياً منها لابتلاع أراض جديدة، ومع ابتعاد عام ١٩٦٧، أخذت تتكرس في واقع المعادلة الدولية أن حدود المطالب العربية تكمن في استعادة الأراضي المحتلة في العام ١٩٦٧، وبالتالي تم تجاوز أساس الصراع باعتبار القرارين ٢٤٢–٣٣٨ أساس حل الصراع في المنطقة.

كان لابد من هذا التنويه للدخول إلى الموضوع من أفضل مكان يمكن فيه فهم ما يجري في إسرائيل اليوم. فما أنجزته إسرائيل من عدوانية في المنطقة العربية كان محمي بمعطيات دولية سمحت لهذه الدولة بالتمدد. ولقد لعبت الحرب الباردة دوراً رئيسياً في تكريس هذا الواقع لسنوات طويلة بدت وكأنها بلا نهاية. ولأن إسرائيل دولة ذات حساسية عالية للمعادلة الدولية، فإن انتهاء نظام القطبين والتغير الذي حصل في العالم كان لابد أن يعكس نفسه على إسرائيل. لذلك منذ بدء تفكك الدول الاشتراكية، أخذت الدعوات في إسرائيل منذ نهاية الثمانينات إلى التكيف مع الوقائع الدولية الجديدة. ومع حرب الخليج الثانية لم يعد أمام إسرائيل خيار التكيف، إنما بدأت الشروط الدولية تفرض نفسها عليها مع إطلاق الدعوة الأمريكية لحل الصراع العربي الإسرائيلي غداة حرب الخليج. وبحكم حساسية إسرائيل للمعادلة الدولية لم تجد حكومة شامير المتطرفة والمعادية أصلاً لعملية السلام بداً من المشاركة في مؤتمر مدريد، رغم رفضها الضمني لكل المعادلة المطروحة.

منذ مطلع التسعينات، أخذت الأوساط الإسرائيلية تعمل على وضع استراتيجية للدولة العبرية للتكيف مع التحولات التي يشهدها العالم، والتي تنطلق من أساس أمريكي يرى الفرصة مواتية لإعادة رسم صورة العالم من قبل الطرف المنتصر في الحرب الباردة، ومن حق المنتصر أن يفرض شروطه. وعلى ذات الأرضية من مفهوم الانتصار أرادت إسرائيل بصفتها الطرف المنتصر في معادلة المنطقة أن ترسم صورة هذه المنطقة بما يوافق مصالحها، وبما يتوافق مع الرغبة الأمريكية.

ينطلق التصور الإسرائيلي للمنطقة من تعزيز التفوق الإسرائيلي وتوسيعه من دائرة التفوق العسكري إلى الدوائر السياسية والاقتصادية، من خلال إدماج إسرائيل في المنطقة وإعطائها دوراً محورياً، ويعتمد هذا التصور في إمكانية إنجازه على الضعف العربي الذي شهد تطوراً نوعياً في التسعينات، وتتعامل إسرائيل مع صورة المنطقة المستقبلية ومع المفاوضات من موقع المنتصر، وأن العرب هزموا في معركة الصراع العربي ـ الإسرائيلي، لذلك عليهم أن يتكيفوا مع الوقائع الجديدة.

هذه الرؤية موجودة بين قطبي إسرائيل، سواء الاتجاه اليساري الذي يمثله حزب العمل الذي يعمل على إخراج صورة إسرائيل حاملة راية السلام الذي يجب أن تجني جميع دول المنطقة ثماره، وحتى يحصل ذلك يجب أن يتمحور حول إسرائيل. أو اتجاه اليمين الإسرائيلي ممثلاً بالليكود الذي يعمل على ترسيخ التفوق الإسرائيلي بصلف ووقاحة، على قاعدة أن المنتصر يجني مكاسب النصر، وعلى المهزوم أن يدفع الفاتورة، فمن وجهة نظر الليكود، على العرب أن يدفعوا ثمن السلام، وهذا ما يختصره شعار الليكود «السلام مقابل السلام».

إن الاتجاهين القائمين في إسرائيل، سواء المنادي بفرض الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة، أو المنادي بسلام الردع لتكيف العرب مع ابتلاع الأرض والإقرار بالهيمنة الإسرائيلية، يسعيان إلى إنتاج ذات الهدف. فالاتجاهان يسعيان لأن تشكل إسرائيل نقطة الاستقطاب والارتكاز التي تستند إليها دول المنطقة في المستقبل. كما يعتمد الاتجاهان على التغذية العكسية بينهما، ففي الوقت الذي يشدد اليسار الإسرائيلي على التعاون الاقتصادي فهو لا يسقط المطالب الأمنية القاسية وإن غلفها بقفازات من الحرير. وفي الوقت الذي يعلي اليمين الإسرائيلي من القبضة الحديدية ويكرر إنذارات الحرب، فهو حريص على الاستمرار في الحصول على المكاسب الاقتصادية معتقداً أن خطاب القوة قادر على فرض شروطه في كل الحالات.

إن الأسطورة الصهيونية التي استطاعت في النصف الأول من هذا القرن أن تجسد نفسها في دولة، قد أفرزت العدوانية والعنصرية من أجل استكمال هذا المشروع الذي أخذ يصطدم بمجموعة من العوائق الموضوعية التي وضعت الايديولوجيا الصهيونية في موقع الشك، والشك في قدرتها على استكمال مشروعها كما يتمنى غلاتها. وأبرز هذه العوامل:

ـ تراجع قدرة إسرائيل على التوسع واحتلال الأرض وطرد السكان، فقد فشل احتلال ١٩٦٧ في تفريغ الأراضي المحتلة من السكان، ولم تتكرر سابقة ١٩٤٨، رغم كل المحاولات والإجراءات الإسرائيلية لطرد السكان. كذلك لم تستطع إسرائيل استقطاب استيطان مكثف على مدى الثلاثين عاماً الماضية، وبقيت أرقام المستوطنين متواضعة ١٥٥ إلى ١٨٠ ألفاً في أحسن الأحوال بين مليوني فلسطيني، رغم المحاولات الإسرائيلية لاستثمار هذا الاستيطان إلى الحد الأقصى.

ـ عدم قدرة إسرائيل على تشريع توسعها، فإذا كان قيام دولة إسرائيل قد تمّت تغطيته عبر الشرعية الدولية بقرار التقسيم في عام ١٩٤٧، فإن الواقع التوسعي بعد عام ١٩٦٧ لم يتم تشريعه ولا يبدو أن ذلك ممكناً. ومع التسوية القائمة في المنطقة فإن المشروع الصهيوني أخذ بالتراجع، فهناك أراضي يجب إعادتها إلى أصحابها في صفقة التسوية، وبصرف النظر عن حجمها، فإن معناها العميق هو انكفاء المشروع الصهيوني داخل حدود أقل مما يسيطر عليه الآن.

ـ إن إسرائيل ليست وجهة اليهودي الراغب في الهجرة، فهو يفضل الولايات المتحدة، فأوضاع اليهود في البلدان الأخرى أفضل منها في إسرائيل، لذلك لا نجد مهاجرين يهود من الدول الغربية إلا حالات من غلاة المتطرفين. كما ترافق هذا مع تراجع سريع في عدد اليهود في العالم، فقد تراجع عددهم من ١٧ مليوناً في الستينيات ـ حسب التقديرات ـ إلى ١٣ مليوناً في العام الحالي.

إن المتغيرات التي تشهدها إسرائيل جعلت أقطاب اليسار الإسرائيلي يستبدلون شعار «إسرائيل الكبرى» بـ «إسرائيل العظمى» للتكيف مع هذه المتغيرات. أما اليمين الإسرائيلي فيظهر كحامل لإرث ايديولوجي عفا عليه الزمن، متمسكاً بصهيونية أفل نجمها متصادمة مع العالم أجمع، تنتج لإسرائيل عزلة غير قادرة على التعايش معها لزمن طويل.

انطلق تعامل إسرائيل مع التسوية من موقع القوة الساعية إلى تكرس احتلالها للأراضي الفلسطينية من خلال اعتراف الفلسطينيين بالشروط الإسرائيلية التي تسعى الاتجاهات الإسرائيلية إلى تكريسها، لعدم حصولها على تكريس هذا الاحتلال من الشرعية الدولية، وبذلك تبقى عقلية الاحتلال هي التي تحكم السياسة الإسرائيلية، وهذه العقلية لا يمكن أن تنتج تسوية، فكيف إذا كان المطلوب إنجاز سلام؟!

عاشت إسرائيل على الأساطير الصهيونية خلال نصف قرن من عمرها، جلبت خلالها الكوارث للمنطقة، ومن الواضح أن انتقال المنطقة إلى زمن السلام، يحتاج إلى التخلي عن الصهيونية بصفتها «ضرورة أمنية» على تعبير الكاتب الإسرائيلي توم سيغيف، وبما تعنيه من عنصرية وعدوانية، فهل يستطيع الإسرائيليون في قلق السلام القائم أن يستخلصوا الدرس إلى نهايته؟ ∩ ∩

دول الكومنولث البلقاني في ظل سياسة إعادة البناء

محمد صوان



مع تولي الرئاسة الفرنسية للإتحاد الأوروبي في تموز/ يوليو الماضي، سعت فرنسا إلى تنظيم قمة بين الاتحاد الأوروبي ودول الكومنولث البلقاني وتمحورت أهداف المبادرة الفرنسية حول:

١) تقديم تصور حول أوروبا الكبرى.

٢) اتجاه التنمية والنمو في أوروبا (فرص العمل، التطور الاجتماعي).

٣) اقتراب أوروبا الموحدة من مواطنيها.

٤) أوروبة قوية على الساحة الدولية من حيث السياسة الخارجية والأمن القومي، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تشجيع دول البلقان على الإصلاح والتعاون على المستوى الإقليمي.

ولهذا أعلنت فرنسا رسمياً أثناء انعقاد المجلس الوزاري الأوروبي في بروكسل خلال الفترة من ١٠-١١ تموز/ يوليو الماضي ضرورة انعقاد قمة أوروبية - بلقانية في نهاية عام ٢٠٠٠ في كرواتيا لتحقيق:

١) انضمام دول البلقان إلى أوروبا.

٢) الاتفاق على طبيعة الالتزامات المتبادلة بين كل من الاتحاد الأوروبي وكل دولة بلقانية على حدة.

٣) إبقاء الباب مفتوحاً لانضمام الاتحاد اليوغسلافي (صربيا والجبل الأسود) والسعي نحو التحول الديمقراطي، وإحلال السلام والتعاون.

وبالفعل شهدت زغرب عاصمة كرواتيا انعقاد قمة الاتحاد الأوروبي - البلقان في الرابع والعشرين من شهر كانون أول/ ديسمبر الماضي، وذلك بحضور زعماء دول الاتحاد الأوروبي الـ ١٥ وخمسة من قادة دول البلقان التي نشأت في أعقاب انهيار يوغسلافيا الشيوعية وهي: يوغوسلافيا، مقدونيا، البوسنة والهرسك، سلوفينيا، كرواتيا، ألبانيا.

وتوصلت القمة لأول مرة إلى عقد مصالحة بين دول البلقان الخارجة من عقد كامل من الحروب الإقليمية من ناحية، والتقريب بينها وبين الاتحاد الأوروبي من جانب آخر، ولذلك قدم كل من الطرفين تعهدات إلى الطرف الاخر: فقد تعهدت الدول الأوروبية بتقديم الدعم لدول البلقان في حالة السعي نحو السلام والديمقراطية والاستقرار وتحسين الاقتصاد وإصلاحه والسعي نحو إقامة تعاون إقليمي فعال فيما بينهم. ولهذا خصصت الدول الأوروبية مساعدات لدول البلقان تقدر بنحو ٤ مليارات دولار (أي ٤,٥ مليار يورو) ما بين أعوام ٢٠٠٠-٢٠٠٦ كما تم التوقيع على ميثاق الاستقرار والارتباط مع مقدونيا، كذلك قدم زعماء الاتحاد اعفاءات ضريبية لـ ٩٥٪ من المنتجات الصناعية والزراعية لدول البلقان، وأخيراً التعهد بفتح باب عضوية دول البلقان في الاتحاد الأوروبي.

ومن جانب آخر، تعهدت دول البلقان بالسعي نحو إقامة علاقات حسن الجوار داخل المنطقة مع مراعاة حقوق الأقليات واللاجئين، كذلك السعي نحو إقامة مواثيق للتعاون الإقليمي كإطار لحل النزاعات سلمياً والتعاون في مجال الأمن ومواجهة الجريمة المنظمة وأخيراً، احترام الالتزامات الدولية وخاصة التزامات محكمة العدل الدولية.

ومن جانب آخر، تناول الرئيس اليوغسلافي كوستينتشيا قضية كوسوفو موضحاً أن السلام لن يتحقق في البلقان وبالتالي في القارة الأوروبية إلا بحل قضية كوسوفو منوهاً إلى ضرورة الإلتزام بقرار الأمم المتحدة رقم ١٢٤٤ والمؤيد لإعطاء إقليم كوسوفو الاستقلال الذاتي مع استمرار وحدتها مع يوغسلافيا، فالجميع يدرك أن الأمن الأوروبي لا يقتصر فقط على دول الاتحاد الأوروبي الـ ١٥ ولكن يمتد ليشمل الجنوب الشرقي أيضاً.

وتأكيداً على حسن النوايا نحو التعاون، فقد وقع كل من الرئيس اليوغسلافي كوستينتشيا ورئيس المجلس الأوروبي رومانو برودي على اتفاق تعاون طويل المدى وهو الأول من نوعه مع دولة بلقانية. ويقوم الاتفاق على فتح الطريق أمام الإسراع في النمو الاقتصادي وذلك عن طريق تقديم مساعدات مالية تقدر بنحو ٣ مليار يورو إلى يوغسلافيا موزعة كالآتي: ٢٠٠ مليون هذا العام، و٢٤٠ مليون في عام ٢٠٠٢. ويقسط بقية المبلغ حتى عام ٢٠٠٦.

وكذلك ترحيب دول أوروبا الوسطى باستعادة يوغسلافيا لعضويتها في Central European Initiative (C.E.I) فهي منظمة قائمة على دفع المشروعات الاقتصادية المشتركة، وذلك أثناء انعقاد القمة على مستوى الوزراء الأوائل في بودابست. والجدير بالذكر أن (C.E.I) كانت قد تأسست عام ١٩٩٠ بواسطة كل من النمسا، المجر، إيطاليا، ويوغسلافيا في ظل انهيار الشيوعية، وأنه في ١٩٩٢ تم تعليق عضوية يوغسلافيا في ظل حرب البوسنة والهرسك. واتسعت العضوية الآن لتشمل: ألبانيا، النمسا، البوسنة والهرسك، بلغاريا، كرواتيا، سلوفينيا، أوكرانيا، المجر، إيطاليا، مقدونيا، بولندا، التشيك، رومانيا، سلوفاكيا، والاتحاد اليوغسلافي (صربيا والجبل الأسود).

الخلاصة: تأتي هذه التطورات بعد انقضاء أربع حروب نشبت في القارة. ولأول مرة تتوصل الدول المتناحرة إلى ما يشبه الاتحاد بعد صراع دام لأكثر من ١٣ عاماً، وهي ذات الدول الساعية إلى إحلال السلام بعد انتهاء أزمة كوسوفو وبداية الطريق نحو التحولات الديمقراطية، وعودة يوغسلافيا عقب ثلاث أعوام من العزلة التي فرضتها أزمة كوسوفو وقصف الأطلنطي لبلغراد.

لذلك جاءت النتائج لتؤكد على توحيد الأهداف بين كل من الطرفين، وخاصة الاتفاق على ضرورة انضمام دول البلقان إلى مؤسسات الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلنطي.

كل ذلك في إطار الجهود المبذولة لإعادة بناء البلقان والتي تتنوع ما بين جهود يبذلها الطرف الأوروبي لإدماج دول البلقان داخل الأسرة الأوروبية، وجهود أخرى تبذلها دول البلقان وخاصة بلغراد لتوضيح حسن النوايا التي أتت بالرئيس الجديد كوستينيتشيا والساعي إلى إقامة حسن الجوار في المنطقة وحصر المصالح والهموم الأوروبية في دول الاتحاد الأوروبي دون تدخل من الخارج.

وأمام التحديات الجديدة التي تواجهها التكتلات الإقليمية، يصبح على الإتحاد الأوروبي أن يسعى إلى إعادة بناء المؤسسات داخل دول البلقان مع إعطاء اعتبارات جديدة للجوانب الاجتماعية وحقوق الشعوب في السلام الدائم والتنمية المستدامة، ولتحقيق ذلك لابد أن تمتد الآلية العسكرية لتشمل أطراً جديدة للتعامل مع الاضطرابات الإثنية. والحروب إذا اقتضى الأمر، وكل ذلك في إطار المسؤولية الأوروبية ◼◼

قضايا ثقافية

مؤتمر بيروت وحركة المراجعة:
منطق الضحية والجلاد

جاء خبر إلغاء مؤتمر «حركة المراجعة» الذي كان مزمعاً عقده في بيروت خجولاً بالضبط كما كان خبر الإعلان عنه بداية.

وما بين الإعلان والإلغاء جرت مياه كثيرة، حول الموقف المفترض اتخاذه من هكذا مؤتمر وحول المكان الصحيح الذي يجب أن يقف فيه المثقف الفلسطيني في خارطة الجدل الدائر حول القضية.

المطالع لسيل التصريحات المؤيدة والرافضة يلحظ المنطق التبسيطي السائد في مناقشة القضية، مما يحول المؤيدين إلى مجرد نازيين جدد، والرافضين إلى صهاينة.

والمنطق التبسيطي الآنف الذكر خطير، ليس فقط لما يحمله من سذاجة تحيد العقل وتمنع التحليل السليم، وإنما أيضاً للفخاخ التي ينصبها أيضاً.

إن اتخاذ موقف من المسألة يحتم أولاً الإقرار أن حركة المراجعة آخذاً بعين الاعتبار شخوصها ورموزها وأدوات عملها، إنما جاءت رداً تاريخياً، ثقافياً وأخلاقياً على مقولة «الفرادة» اليهودية التي روج لها اول ما روج في ٢٦ آذار مارس ١٩٦٧ في مؤتمر نيويورك شارك فيه فلاسفة يهود، ما تناظره المشاركون تمحور حول أن المحرقة ليست فريدة بسبب عدد الضحايا أو بسبب أساليب النازيين بل لأن موضوعها كان اليهود الذين اختارهم الله مرتين، مرة كشعب مفضل، ومرة كشعب مختار من قبل «الشيطان» هتلر لإبادته، وبالتالي برأي أحد المشاركين فإن اليهودي «يكفيه أن يكون حياً كي يكون أفضل من الإنسانية جمعاء».

هذا المنطق لا يقل فجاجة وعنصرية وعرقية عن المنطق الذي تروجه الحركات النازية الجديدة، ولكنه لا يتساوى أخلاقياً مع موقف حركة المراجعة التي تضع في صلب أولوياتها كشف الحقيقة وإزالة الزيف لا أكثر.

لهذا حاربت الصهيونية هذه الحركة دون هوادة وطاردت روّادها وأعضاءها ومنهم يهوداً أيضاً يشهد لهم بالكفاءة العلمية والأخلاقية.

من هنا يجب الفصل التام برأينا بين محاكمة المؤتمر بحد ذاته من حيث الداعين له، وبين الحركة، وهذا ما وقع به عدد من المثقفين العرب على الأغلب والذين لهم خطهم الفكري الواضح الذي يبرر لهم هذا الموقف.

ولكن هناك موقف آخر رفض منطق التبسيط، عبر البيان الذي أصدره مثقفون عرب وفلسطينيون، هذا الموقف الذي ردّ عليه السفير الإسرائيلي في باريس مقدراً أنه إيجابي بالنسبة له، وبرأينا فإن مقالة السفير إيلي برنافي ليست سوى فخ سخيف وساذج للإيقاع وتشويه مفكرين عرب على رأسهم إدوارد سعيد ومحمود درويش وإلياس خوري رفضوا المنطق التبسيطي الذي يقول أن علينا أن نزج أنفسنا في معركة الغرب لاثبات براءته من «الهولوكوست» ورفضوا أن تزج الضحية في موقع الجلاد، الأمر الذي هو أقصى ما تحلم به إسرائيل.

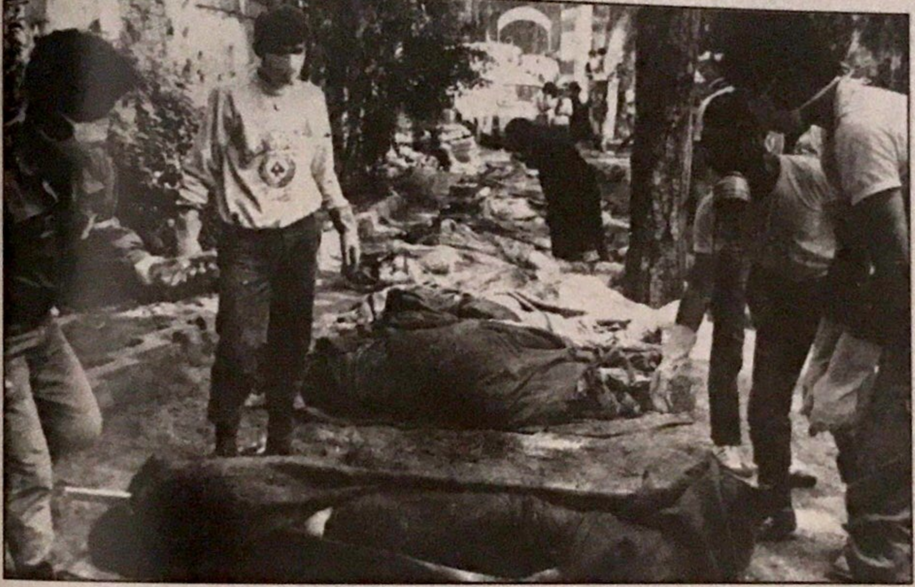
إن الارتكان إلى فهم المسألة بتركيبها يجنب الوقوع في فخ مناصرة النازية أو التصهين، فالحركة الصهيونية ليست أقل إجراماً من النازية، ولابد من رفض المنطق الساذج الذي يحيل حركة المراجعة إلى مجرد نازيين ورافضي مؤتمر بيروت إلى مجرد متصهينين، فهذا الموقف يصب في النهاية في خدمة التشاطر الذي حاوله السفير برنافي في باريس، محاولة فاشلة مردودة عليه وعلى أبواقه في العالم العربي.

الهدف الثقافي

مجزرة صبرا وشاتيلا على قناة "الجزيرة"

قوة الصورة في مواجهة تزوير الحقائق!

علي الكردي



تدور الكاميرا... وتتوالى الصور المرعبة لمئات الجثث التي تكوّمت هنا وهناك، كالتلال لضحايا مجزرة صبراوشاتيلا، بأجسادهم المشوّهة، المنتفخة الزرقاء التي يحوّم فوقها الذباب. إنها صورة سوريالية كابوسية مرعبة - هكذا يظن المشاهد في اللحظة الأولى - لكن حساسية الكاميرا، وتركيزها الشديد، بلقطات قريبة على التفاصيل، وإلحاحها على إبرازها تؤكد الحقيقة الصادمة بكل بشاعتهاوعنفها، فنحن لسنا أمام فيلم رعب يرمي إلى الإشارة .. بل أمام حقائق فاقعة جرت على الأرض، تعيد قناة «الجزيرة» القطرية بثّها، بعد مضيّ نحو عشرين عاماً على حدوثها، عبر برنامجها عن حرب لبنان في جزئه العاشر: مجزرة صبرا وشاتيلا.

ربما لا يستطيع المشاهد الذي لم يعاصر الحدث، بل سمع وقرأ عنه أن يتخيّل إلى أي حدٍ وصل العنف الوحشي البشع الذي ارتكبه الإنسان بحق (أخيه) الإنسان، ونحن هنا لا نتحدث بطبيعة الحال من باب الوعظية الأخلاقية المتعالية، وإنما نحاول تأمل المشهد بتفاصيله، وآلامه المرعبة،لأن الصورة الصادمة التي بثّتها الشاشة كانت أكثر نفاذاً، وقوة في التعبير عن الحدث بحيث تتجاوز أي صورة مرسومة في ذهن المشاهد عن بشاعة وهول تلك المجزرة - مهما كان خيال هذا المشاهد جامحاً بل - أكثر من ذلك كأن هذه الصور الوثائقية المتحركة قد أعادتنا إلى قلب الحدث التراجيدي الساخن كما لو أنه حدث للتّو، حيث اختلطت صور الجثث والأشلاء، بأصوات النساء النادبات وصراخهن في وجوه الجنود الذين وقفوا بعد ست وثلاثين ساعة على الحدث جامدين، وبعد أن استيقظ العالم على هول المجزرة الفاجعة وبشاعتها.

إذا كان القطع المونتاجي، يوقف التدفق المتتالي للصورة التي يعتقد صانعوا البرنامج أن المشاهد غير قادر على تحمّل قسوتها، ومتابعة فظائعها لفترة طويلة، - وهذا صحيح تماماً- فإن تعليقات الشخصيات التي استضافها البرنامج سواء، كانوا من شهود العيان الناجين من المجزرة. أومن الجلادين أنفسهم، أو من الشخصيات القريبة من دوائرهم فهم لم يكونوا أقل قسوة، أو حدّة في التأثير على المشاهد خاصة وأن ذاكرتنا كمشاهدين غير حياديين، بل معنيين بالحدث، هي ذاكرة مليئة بالجراح، والقروح والألام التي تنزّ، لأنها لم تندمل في يوم من الأيام، سيما وأن العنف الذي يتعرّض له شعبنا لم يتوقف، وما يزال حاضراً بكثافة وقائعة اليومية على الأرض في مواجهة الانتفاضة، حيث يتعرض أبناء شعبنا يومياً للقتل المجاني البارد، الذي يستهدف الأطفال والشباب إضافة إلى القصف العشوائي والحصار والتجويع، وتقطيع الأوصال... وإلى ما هنالك من صور العنف التي تمارس على ايدي الجنود الإسرائيليين المدججين بكل انواع الأسلحة والعنجهية والحقد العنصري المسكوت عنه بسبب سياسة الحماية الأمريكية والغربية عموماً لهذا الكيان الذي زرعوه في قلب الأرض العربية، وبات كالقدر الذي لا رادّ له.

إن هذه الصورة تزرع بذور المرارة والأسى والحزن من جهة، وتفجرّ من جهة أخرى مشاعر الغضب والسخط لدى المشاهد الذي لا يكاد يصدّق أن التعليق على تلك الصورة الفاقعه في وضوحها يمكن أن يروى بعدة طرائق مختلفة، ومن زوايا مختلفة، والغاية أن يبعد كل طرف من الأطراف المدانة بشكل او بأخر مسؤوليته عن تلك الجريمة البشعة، ومن المفارقات الغرائبية المثيرة للحنق فعلاً، أن شخصاً مثل «روبير حاتم» المدعو «بالكوبرا»، المسؤول عن أمن إيلي حبيقة أنذاك، يتحدث عن الأمر وكأنه واحد من الملائكة وكل همّه أن ينفي الاتهامات الموجهة إلى القوات اللبنانية كتنظيم، ويضع المسؤولية كاملة على إيلي حبيقة كشخص والموالين له.

والسؤال: ألم يكن إيلي حبيقة في ذاك التاريخ علىرأس ميلشيات القوات اللبنانية؟! وماذا يغيّر في الأمر تغيرّ الولاءات، أو الانقسامات التي حدثت فيما بعد؟!

ألا تقع المسؤولية على جميع هؤلاء الحاقدين مهما اختلفت ألوان أطيافهم؟!

لطالما استحوذت عليّ صورة هذا «الكوبرا» وهو يتحدث على قناة الجزيزة عن المجزرة بهذه البساطة والخفة العجيبتين، واكثر ما شدّ انتباهي في الصورة، النابين البارزين في فمه واللذين يذكران بـ «الدراكولا»، إنه داركولا حقيقي من لحم ودم، يتحدث بأعصاب باردة عن مجزرة راحَ ضحيتها مئات الأطفال والنساء والشيوخ، وكالبهلوان يذكر تفاصيل ووقائع





مجتزأة، وينتقل من واقعة إلى واقعة بقفزات سريعة.. وكلمات متقطعة ليقوّم المسائل ويتركها كفقاعات فارغة تسبح في فضاء فارغ. المفارقة الأخرى أن الصورة قدمته وكأنه يتحدث بجرأة جارحة، ويقدّم معلومات ووقائع غير معروفة، لكن أي مدقق يكتشف أن هذه الجرأة، مزيفه طالما أنها تحاول أن تطمس من الأشياء والمعلومات أكثر بكثير مما تظهر.

ومرة أخرى ما بين التقطيعات المونتاجية، وبين التعليقات على الحدث يعلق عمر عيساوي (معدّ البرنامج): «أصبح (إيلي حبيقة) رئيس جهاز أمن ميليشيا القوات اللبنانية المتهم اللبناني الأول بالمسؤولية عن الجزرة».. ويظهر وجه إيلي حبيقة على الشاشة.. وجه حليق... بارد... كأنه قناع لا يظهر خلفه أي من الانفعالات، وبكلمات مقتضبة جداً، يردّ على الاتهامات الصريحة الموجهة له؛ نافياً مشاركته بالجريمة، أو مسؤوليته عنها نفياً كلياً.

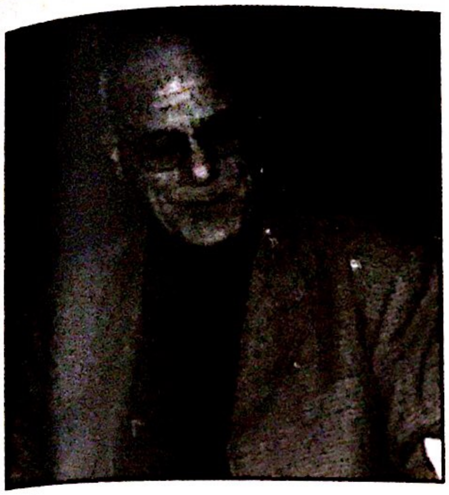
ومرةً أخرى تنتقل الكاميرا، بين مشاهد الجزرة، ثم تتوقف عن لهاثها على وجه من وجوه المعلقين على الحدث.. الصحفي الإسرائيلي أيهود بعاري، الذي كان قريباً جداً من موقع الحدث، ومن المسؤولين الإسرائيلين السياسيين والعسكريين، والمطلّ على الكثير من الأسرار يعكس بمهارة وحرفية عالية صورة الإسرائيلي الذي يود أن يظهر بمظهر الإنسان الحضاري، الموضوعي الهادئ الذي يحلل تتابع الحدث ومعطياته وخلفياته، ليعترف بنصف الحقيقة، ليطمس بذكاء ثعلبي النصف الأخر، الأكثر قذارة في العملية برمتها، فهو يدافع عن الجيش الإسرائيلي ،وعن شارون (جزار صبرا وشاتيلا) ويعتبر أن دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية كان دافعه بالأساس منع حصول مجازر، وعمليات انتقام لاغتيال بشير الجميل، لكنه يعترف ببراءة الحمل أنه حصل إهمالاً متهوراً ولا مسؤولاً من طرفنا، رغم أن أحداً لم يرد أن تحصل مجزرة، لا شارون ولا غيره).

إن لملمة الأجزاء الأخرى من الصورة، وإظهار التناقضات الكثيرة في حديث المعلقين التي أظهرها البرنامج بصورة بارعة لم تترك مجالاً للشك بمسؤولية جميع هذه الأطراف التي توزعت الأدوار بصورة منسقة ومدروسة، فشارون الذي أحكمت دباباته الطوق على المنطقة هو الذي أعطى الأوامر بإضاءة المخيمين، وهو الذي أعطى ميليشيات القوات اللبنانية الصور الجوية ـ كما قال روبير حاتم ـ وكل التفاصيل الأخرى ، لكن الرواية الإسرائيلية الزائفة بعد انتشار الفضيحة، تعممت على كافة وسائل الإعلام العالمية بوقاحة لا مثيل لها، إذ برّرت إسرائيل إدخال الجيش الإسرائيلي لأكثر من 300 عنصر من عناصر ميليشا القوات اللبنانية إلى مخيمي صبرا وشاتيلا على أنها عملية كانت ترمي إلى تطهير المخيم من نحو ألفي مقاتل فلسطيني تركهم ياسر عرفات، كانت هذه المقولة ـ كما قال العيساوي ـ عارية تماماً من الصحة، استمرت المجزرة من السادسة مساء الخميس السادس عشر من أيلول /سبتمر من عام ،1982 حتى الثامنة من صباح السبت الثامن عشر من أيلول /سبتمر ، أي أكثر من 36 ساعة.

الجميع كانوا يعلمون أنه لم يبق في المخيم سوى الأطفال والنساء والشيوخ والعزل، أما الولايات المتحدة التي تكفلت بالدفاع عن المدنين الفلسطينيين عقب انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية فقد تنصلت أيضاً من المسؤولية ببساطة، على اعتبار أن قوات التدخل السريع الأميركية انسحبت، ويعترف موفد واشنطن إلى لبنان موريس درايبر، بإطلاع رؤوسائه في واشنطن على خطورة الوضع، رغم ذلك لم تحرك واشنطن ساكناً. ماذا فعل التاريخ ؟! سؤال بين عشرات الأسئلة الملحة التي يعيد مثل هنا البرنامج طرحها في ذهن المشاهد. وكيف كتب المؤرخون هذا التاريخ وكيف حللوه ومن أي زاوية نظروا إليه؟

إذا كانت الصورة بحقيقتها الواضحة تخفي أي إمكانية للتعمية الإعلامية التي تمارس يومياً في سياق طمس الحقائق الساطعة، فإن أهمية مثل هذه البرامج التوثيقية أنها تعيد تركيب الحدث وتسلسله، وتعيد كتابته لتفضح المساحات المعتمة، المسكوت عنها، إنها محاولة لتحاشي تعمية الماضي التي قدمت الحدث بصورة مزيفة أو ناقصة وما فعله بث البرنامج بالصورة الحية أيضاً هو تفحص لتلك العلاقة الخاصة القائمة بين الحاضر والماضي ومرة أخرى بين الصورة الفاقعة في حضورها وبين التعليقات المرافقة لها تبرز وجهات النظر المتعددة والمتناقضة في النظر إلى الحدث وخلفياته المتشابكة والمعقدة، خاصة وأن ممثلي الأطراف المتهمة (إسرائيل ـ مليشيات القوات اللبنانية...) كانت تحاول التنصل من مسؤوليتها وإلقائها على الأخرين، ويلمس المشاهد أن لا مصلحة لأي من هؤلاء في أن يقول الحقيقة كاملة وهنا تأتي شهادات الناجين من المجزرة لتظهر بوضوح الوجه الأخر للصورة.. لقد ذكر (ماهر) وهو شاهد عيان من الناجين من المجزرة بعض التفاصيل التي تقشعر لها الأبدان، وكذلك فعلت (سعاد) الضحية التي تعرضت لاغتصاب وحشي.

كل من شاهد هذا البرنامج يدرك أن صدق الصورة وقوة تعبيرها هي أكثر تأثيراً من أية تنظيرات مرافقة لها ■■



القاص إبراهيم صموئيل لـ "الهدف":

أبواب كثيرة جداً ترددت أمامها.. وهذا من مشكلاتي الكبرى

حاورته: إيرينا تروشانوفا

كان لقائي الأول مع الكاتب السوري إبراهيم صموئيل قبل عدة سنوات خلال زيارتي الأولى إلى دمشق.

في ذاك الوقت كنت قد سمعت اسمه ككاتب يترسخ أكثر فأكثر في مجال القصة القصيرة، لكنني لم أكن أعرف شيئاً لم أكن أعرف شيئاً آخر عن مؤلفاته. طريقة تعبير صموئيل واختيار الوسائل اللغوية التي يستخدمها حتى في حديث عادي أدهشتني إلى درجة أن رغبت فوراً أن أقرأ شيئاً من إنتاجه الأدبي، اتذكر أن القصة الأولى التي وقعت بين يدي كانت «هذه المرة». وهكذا قصة بعد أخرى تلقائياً توصلت إلى الفكرة أن أكرس رسالتي الماجستير في جامعة صوفيا لمؤلفات إبراهيم صموئيل، وهذا من قناعتي الكاملة أن كاتباً معاصراً مثله سوف يلفت اهتمام القراء البلغار.

كان هدف الحوارات التي أجريتها مع الكاتب أثناء بحثي ليس فقط فهم وجهة نظر الكاتب بل إدراك رؤية الإنسان إبراهيم صموئيل وإلى أي درجة يتجانس المبدع مع فكرة قصته - هذا من جانب، ومن جانب آخر إلى أي درجة تقوده هذه الفكرة في الوجود، وفي هذا الصدد ها هو ما صارح به في إحدى مقابلاتي معه:

n يصفك النقاد وكذلك أنت بأنك تنتمي إلى ذلك الجيل الذهبي القديم من القصاصين السوريين، وأنت ترى التجديد في قصصك عبر بسط الواقع، ولكني اكتشفت شخصياً في قصصك الكثير من معاني التجديد، على سبيل المثال تأسيس الواقع عبر احتواء التقنيات والفن والنهاية المفتوحة التي تترك للقارئ حرية التفكير وانعكاس الوجودية في شكل الحلم في قصة «الصناديق». فأين تكمن الحقيقة من كل ذلك؟

٢٢ شهدت القصة القصيرة السورية فترة ذهبية فعلا واهتماماً بالغاً من الكتاب والنقاد والقراء ويسعدني أن يصفني النقاد بانني انتمي إلى ذلك الجيل الذهبي أياً كان فإن موضوع التجديد هو موضوع حساس جداً ولا نستطيع أن نتعامل معه على أساس أنه موضة، يمكن في الثياب أن نفعل ذلك أحياناً او في اي موديل شعر أو في غير ذلك. في الأدب على القصة مهما حدثت أن تبقى قصة وعلى الرواية أن تبقى رواية وكذلك على المسرح والشعر وغير ذلك. أعني أن الجنس الأدبي وهنا نتحدث عن القصة يجب ألا يفقد نفسه، فإلغاء الحوار على سبيل المثال وإلغاء الحدث وإلغاء الزمن وإلغاء الشخصيات من القصة وإلغاء الحبكة والتشويق لا يبقى على جسد القصة شيئاً. أحياناً نقرأ نصوصاً تدعي انها قصة قصيرة وهي في الحقيقة لا تنتمي إلى القصة، هي مجموعة كلمات مرصوفة قرب بعضها البعض لا تعني شيئاً ولا تحكي شيئاً وبالتالي لا تبني بناءً قصصياً، هذا اسمه نص ممكن وكل كتابة في الدنيا هي نصوص لكنها ليست قصة. انا أرى أن التحديث والتجديد في القصة يمكن أن يتم على تكثيفها، وهذا ما أسعى إليه، على البحث عن مفرداتها المشاعة الدالة، على محاولة خلق مستويات متعددة وهذا لا حظته أنت في القراءة وفي الدلالة على العناية بافتتاحية القصة بقفلتها بشريطها اللغوي بشطب وإزالة الزوائد والترهلات بجسد القصة باعتبارها قصة قصيرة لا داعي للإطالة، لا داعي للشطط. كل هذه الأمور إضافة إلى موضوع الحلم، إضافة إلى موضوع اللاشعور يمكن أن يحطم القصة ولكن ليس بتدميرها بل بالإبقاء عليها على جنسها الأدبي مثل الشجرة تماماً التي تكون صغيرة ثم تنمو وتتجدد ولكن من نسيجها تتغير الشجرة الكبيرة المعمرة ليست هي الصغيرة نفسها لكنها ليست شجرة أخرى، ومن هنا انا أقول بأن التجديد في الشكل الإنساني لا يتم مثلاً بقطع أطرافه: يديه وساقيه ورأسه ثم نقول جددنا في الإنسان. التجديد يتم من الداخل وبشكل عميق و مرتبط بالحكايات القديمة إن كانت من الجدات التي سمعناها ونحن صغار أو إن كانت من التراث الثقافي العريق الذي قرأناه مع إضافة هموم العصر، مع إضافة لغة العصر، مع إضافة كل التطور التقني والفني إلى القصة ومنها كما ذكرت أنت النهاية المفتوحة في قصصي والتي أعتبر أنها أشبه بفتح الأبواب والنوافذ لدخول القارئ إلى القصة ومشاركته بها لا من حيث قراءتها فقط بل من حيث إعادة كتابتها عبر قراءاته الخاصة وبهذا القارئ هو كاتب آخر وهذا ما حاولته إن كان في قصة «الصناديق» أو في النهايات المفتوحه عامة للقصص.

n إذا كان عليك أن تحدد قصصك بشكل عام، فإلى أين تراها تتجه؟ هل تتجه نحو عالم الأحاسيس أم عالم الأفكار؟

٢٢ انا لاشك يغريني جداً العمل على المشاعر والأحاسيس وحالات الحزن والفرح والدهشة والانتظار والحب والترقب والاحباط وكل ماينتمي إلى المشاعر والأحاسيس والعوالم الداخلية. هذا يغريني جداً ويجذبني إليه كما يجذب الضوء الفراشة. وربما لذلك أعتقد أن قصتي تنتمي إلى المشاعر والأحاسيس الإنسانية وهو عالم واسع جداً ولا تغريني الأفكار رغم انني لا أبتعد عنها وانا في النهاية لست فقط اعيش بمشاعري وأحاسيسي ولا أرى أيضاً فقط مشاعر الناس وأحاسيسهم.



أنا أعيش وأرى بأفكار الناس وربما عالمنا كله محكوم أيضاً بأفكار، لكنني لا أميل إليه كثيراً (كانت ظهرت في هذه القصة أو تلك). لكن ما يغريني هو عالم المشاعر لأن الناس في دواخلهم مختلفون جداً عما هم في ظاهرهم وهذا طبيعي لأن عالم الداخل عالم حر وفيه صراع دائم وفيه قلقٌ دائم وفيه لحظة قبول داخل لحظة الرفض، داخل لحظة الاستسلام، داخل لحظة الهروب، داخل لحظة اللجوء. وهكذا نجد في لحظة واحدة، في ثانية واحدة، في أقل من ثانية يعيش الإنسان في داخله كوناً كثيرة متناقضة ومتفقة في المشاعر والأحاسيس لكنه في أفكاره، في كلامه يمكن أن يكون متوازناً، له رأي واحد، مظهر واحد يأخذه الناس ويعتبرونه هو كل الإنسان. وأنا لا أرى هذا السطح الخارجي، لا أرى هذه القشرة الخارجية، أشعر أنني أرى الناس من الداخل وأحب أن أراهم هكذا دائماً لأن الناس من الداخل هم الناس تماماً، والخارج هو للعلاقات، للضرورات، للظروف للأحوال الموجودة في الحياة، لأسباب كثيرة لكنها تبقى خارجية.

n في كثير من الحوارات السابقة التي أجريت معك تحدثت عن قلقك إزاء الاستمرار في الكتابة فهل هذا القلق ما زال يراودك حتى الآن أم شيء ما قد تغير؟

٢٢ إذا كان هناك أي شيء قد تغير فهو أن القلق قد صار أكبر إزاء الكتابة. أنا قلق في الكتابة منذ أول قصة كتبتها حتى آخر قصة كتبتها إلى الآن. سبب القلق أن حلمي بالكتابة كبير وتقديسي للكتابة كبير جداً لا أعتبرها مهنة أعيش منها ولا أعتبرها وظيفة، أنني موقف يجب أن أنجز الكتابة. هي تشبه حالات الجنون أو حالات الصرع، الصرع الذي ينتاب المصاب به بين فترة وأخرى يسبب له ألماً - نفسياً وجسدياً وأنا أيضاً تقلقني الكتابة على هذا النحو. وهي تقلقني لأنها جزء مني وتعبير عني وجزء من الناس وتعبير عن الناس أيضاً. إضافة إلى أمر آخر وهو أنني منذ بدأت الكتابة كنت أعرف أنه سيأتي يوم أتوقف فيه عن الكتابة ليس بسبب أنني، يعني، بلغت مرحلة الشيخوخة ليس بسبب مرض جسدي. لا . قد أكون في صحة سليمة ومازلت بالعمر لست عجوزاً، غير أن العمر يتعلق في أن هذا النبع من القصص إذا ما توقف تدفقه سأتوقف عن الكتابة. لن أؤلف تأليفاً وأنا أستطيع أن أؤلف مثل أي كاتب يستطيع أن يؤلف كل يوم قصة، لكن لا أفعل ذلك طبعاً إضافة إلى هموم أخرى كثيرة يطول الحديث عنها وهي أن الكتابة بحد ذاتها ليست بالأمر المتيسر. كلما كتبت كلما شعرت بصعوبة الكتابة أكثر، وبعد كل كتاب أشعر أن المهمة صارت أصعب بكثير ولذلك أعيش قلقاً دائماً يكبر معي ومع كل قصة أكتبها من جديد.

n هل القاء مع الموت هو «النار» الكبرى في حياتنا التي تولد الشرارة كما في قصتك «ومضة»؟

٢٢ ربما كان الموت هو المأساة الكبرى في الحياة ولكنه في الوقت نفسه كما أرى فإن الحياة لا معنى لها لو اختفى الموت منها. ولذلك فإن العلاقة بين الموت والحياة علاقة متنافرة ومتجاذبة في وقت واحد. صحيح أن الموت هو بقية الحياة والحياة هي بقية الموت. لكننا نحن نسعد في حياتنا لأننا نعرف أن هناك موتاً ونخاف من الموت لأننا نستمتع أساساً في الحياة ولا نريد لهذه المتعة أن تنتهي. لو كان هناك حياة فقط لأصبحت المتعة مملة. أي متعة في الدنيا ستصبح مملة وأي حياة مهما كان شكلها ستصبح فيما بعد عادية لو اختفى الموت، من هنا مثلاً في قصة «ومضة» الخطر الدائم، خطر الموت الذي واجه الشاب والفتاة في منتصف الطريق جعلهما يتضامان ويتحدان كأنهما جسد واحد وكأنهما روح واحدة حدث هذا أمام الموت وفي لحظة واحدة. طبعاً الموت ليس في اعتقادي هو فقط فناء الجسد.

لا، لحظة وداع هي موت. لحظة اختلاف وافتراق هي موت. هي موت لحظة، لحظة جميلة ولحظةالوداع هي موت ساعات جميلة. ولحظة الغياب حتى المؤقت هي موت حياة أو وجود حار أو دافئ.

بهذا المعنى نحن دائماً أمام أشكال من الموت. إذ اكتب على الورقة وهي تبدأ في الامتلاء أشعر أن هذا البياض ينتهي أنا سعيد في أنني أملأ بياضاً ولكنني حزين بأن هذا البياض ينتهي في نفس الوقت.

لذلك الشاب والفتاة في الطريق في قصة «ومضة» لن يتحدان فقط أمام الموت - الخطر الدائم من السيارات. هو كان يحتاج إليها قبل أن يراها وهي كانت تحتاج إليه. وكأنهما، أقول في القصة، يعرفان بعضهما البعض منذ زمن طويل ولكن افترقا في وقت معين وعادا إلى بعضهما أو لكأنه كان على سفر وعاد أو كانت على سفر وعادت. معنى ذلك هي ليست غريبة أبداً بالنسبة له، هو ليس غريباً أبداً بالنسبة لها. هذا الاكتشاف المتبادل يتم في لحظة واحدة، هي تماماً اللحظة الحقيقية في حياة البشر.

لكن زوال الخطر الخارجي الذي جمعهما يؤدي على السطح إلى زوال العلاقة بينهما، يفترقان ويقول كما لاحظت في القصة «أفلتت يديها ساحبة جسدها فافلت يدي منسحباً، كمن يسلخ جلداً حياً عن لحم حي». كلاهما حيان. الجلد كان حياً - هي، واللحم كان حياً - هو. وبهذا المعنى فالتآلف ليس فقط فيزيائي، ليس جمع مسمار إلى خشب يبقى الخشب خشباً ويبقى المسمار مسماراً حديداً، له جمع حيوي، كيمائي، داخلي، تفاعلي ولذلك يشعران بهذه المشاعر المتبادلة. يكتشفان معنى الحياة المضيعة. بهذا المعنى في تلك اللحظة أمام الموت تكتشف الحياة لكأن الشاب والشابة كانا ميتين، عاشا في لحظة ثم عادا إلى موت وليس العكس، من هنا أنا أقول أن العلاقة بين الموت والحياة بالغة التعقيد وأحياناً بالغة الاختلاف عما نراه. ربما نرى الحياة هي موت ونرى موتاً أو خطراً دائماً أو لحظة الموت هي بالضبط لحظة الحياة. حتى في الخطر، أي خطر، تشعرين أنك أنت، في قلب هذا الخطر تكتشفين هذا الساحر، هذا القلق، هذا المتوحش. في قلب الخطر أحذف الخطر ربما لا يتوحش هذا المتوحش أو يكون متوحشاً لكن لا نكتشفه. من هنا أنا أعتقد أن أهمية الخطر والموت وكل دلالاته وأشكاله هو هامٌ للحياة. والحياة ضرورية للموت، ضرورة قصوى، من هنا ربما

يتولد الشوق، ثم تأتي ظروف لتنهي لقاء، ثم تأتي ظروف لتجدد لقاء وهكذا في ومضة، في قصة «ومضة» أو في قصة الحياة تتوالى ومضات بينهما مساحات من العتمة نستدل على الطريق الطويل في رحلة الحياة عبر هذه الومضات والإشارات التي تحدث هنا مرة، ثم بعد فترة مرة، ثم بعد فترة مرة. في لحظة يبدو المشهد معتماً لكننا في كل اللحظات سنرى شرارة، شرارة ضوء النار الكبرى تشتعل، ثم تخمد أو تغيب، تغيب عنا لكنها لا تنطفئ، تنتظر النار فرصة أخرى. وهكذا إلى نهاية طبيعة البشر.

n الصمت والشك اللذان يعذبان أحياناً الروح كما في قصتك «الصمت» تحدّهما عادة حالة مرضية. هل تستطيع «السرقة» أن تكون مبرراً للروح المريضة ومتى يكون ذلك؟

rr للروح الإنسانية عذابات كثيرة منها الصمت والشك، ربما لأن الصمت يتضمن شكاً وشكوكاً مفتوحة دائمة وربما لأن الشك يتضمن مسكوتاً عليه، يتضمن صمتاً. أي شك يتضمن صمتاً و أحياناً يظهر بصورة الصمت. أياً كان فإن هذه القصة أيضاً من القصص التي تتحرك بين قطبين، بين حالتين - حالة التألق التي وجدها الزوج في الفتاة، ثم حالة التساؤل المر الذي يراوده - هل تراها تعرف أم لا تعرف ؟ لا تعنى القصة إطلاقاً بالجواب ولا يهمها الجواب. لنا في حياتنا شكوك كثيرة، جداً من الأشياء تجعلنا نشك: هل هذا صحصيح أم هو خطأ، هل استمر أم أتوقف ؟ هل أمضي أم أتراجع؟ مع كل لحظة شك وأن أمضي في حياتنا العامة، نشعر باننا يجب أن نتراجع وحين نرجع إلى الخلف خطوة أو خطوتين نقول لماذا لا نمشي إلى الأمام خطوتين؟ هذه مشكلة. وهو شك من الإنسان في ذاته ومن حالة الإشراق في ذاتها من المتعة في نفسها وذلك الشك ليس فقط خارجياً، هو داخلي أيضاً.

حتى في أي قرار نحن دائماً ضحايا هذا القلق. ربما لا يوجد جواب نحن نبحث عن الجواب لنستقر ونرتاح. ربما يكون السؤال من طبيعة السؤال أنه ليس هناك جواب لأن الجواب نفسه قد يكون مشكوكاً به وبالتالي لا يكون جواباً حقيقياً أي لأنه لا يروي الشك. من هنا في القصة الزوج لم يعش فقط قلقاً من زوجته: هل علمت بعلاقته العابرة أو اللحظة مع تلك الفتاة أم هي لم تعلم. لم يعش فقط هذا القلق ويوجد أيضاً في داخل الإنسان حالات من التساؤل. حتى لو كان في الصحراء لا يوجد فيها شيء سوى الرمل، حتى لو كان وحيداً سيشك في أشياء كثيرة. من هنا أنا أقول بأن من يستسلم كلية إلى الشك يدخل في حالة مرضية لا ينجو منها لأنني أرى أن فكرة الشك، حالة الشك هي مثل نسبةالدم في الإنسان ، يعني كل إنسان فيه دم، كل إنسان فيه شك. هذا ما يجعل الإنسان يبحث إن كان عبر الأفكار أو عبر المشاعر أو عبر العلاقات أو الظنون التي تنتابه لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى اليقين، في أي شيء دائماً يراوده الشك. طبعاً إذا كان لا يعرف وأحياناً حتى لو عرف أو رأى يقول: هل رأيت فعلاً؟ إذن بهذا المعنى الشك موجود لكن إلى أي درجة يسيطر على الإنسان هذا هو السؤال. إذا ما يسيطر كثيراً يذهب الإنسان ضحية تساؤلات لا تنتهي وإذا ما غادره يصبح أبله أما إذا ما فهمه تماما يعرف ما معناه وما هي دلالته.

n لعبة الغميضة في قصتك «العصبة» تحولت إلى لعبة الحياة لبطلي القصة ولكن حين استبدلت العصبة المثقوبة بعصبة صحيحة فقدت اللعبة معناها وكذلك الحياة. كيف يرى إبراهيم صموئيل التوازن بين اللعبة والحياة؟

rr كثيراً ما تبدو لي الحياة لعبة. هي الحياة - لعبة وكثيراً ما تبدو لي الألعاب حيوات، هنا في لحظة معينة أنا أرى أن الحياة تتكثر وتتجمع في لعبة ما، في حركة ما، في إشارة ما، لأي شيء ينتمي إلى اللعب. أرى أن الحياة تتكثر وتتجمع هنا وأحياناً أتامل في الحياة ومعناها ودلالاتها فأشعر أنها لعبة لكأن الناس اتفقوا على شكل ما من العب ووضعوا له قوانين والتزموا بهذه القوانين أو ألزموا انفسهم بها. طبعاً في هذه القصة ما يعطي للعبة نارها المتقدة دائماً وما يعطيها سرها و جمالها هو الثقب السري الصغير جداً في القصة. لولا هذا الثقب الذي يسرب صورتها إليه ويسرب حرارتها إليه وبالتالي يستطيع أن يدله عليها، لولاه لكانت الدنيا بالنسبة له ظلماء تماماً، معتمة تدور في فلك العتمة وتحكمها الصدفة فقط فيمسك بهذا الرجل أو بهذا الشاب منذ اللاعبين أو بالصدفه يمسك بها. من هنا داخل اللعبة التي هي الحياة العريضة يوجد لعبة أخرى ليست هي ضد، لكنها شكل من أشكال الإضاءة على المساحة، مساحة العتمة أحياناً. حين تستبدل العصبة بأخرى تفقد اللعبة معناها وتفقد الحياة معناها. تبقى اللعبة خارجية لكنها بالنسبة له لا معنى لها، تافهة وبلهاء. وما الذي يعني أن نعصب العيون فلا نرى، ثم نمضي عميان لا نرى شيئاً، وأيضاً ما الذي يعني أن نفتح العيون تماماً بلا عصبة ونرى كل شيء - يبدو باهتاً. من هنا أنا أرى أن هناك سحراً خاصاً للعبة داخل اللعبة وله جمال خاص. وهذا ما أراه.

rr قبل عدة سنوات كنت قد أعطيتني بعض الأبيات الشعرية لهالة محمد لكي أقرأها (وأشكرك كثيراً على ذلك) وساستشهد بهذه الأبيات:

أرد الباب
أم هل أقفل الباب
وحين عزمت
كان الباب قد غاب .

أمام أي باب يتردد إبراهيم صموئيل؟

rr أبواب كثيرة جداً ترددت أمامها وهذا من مشكلاتي الكبرى. أحياناً أدفع ثمناً غالياً لترددي فيغيب الباب وأحياناً قليلة جداً لا أتردد فاغيب أنا. ولكن طبعاً لم أجد شيئاً أو نصاً يعبر تماماً عن القصص وعني مثل هذا النص. على قلة كلماته وربما ببساطتها الظاهرة لكنها في العمق العميق ربما هي ترسم صورة دقيقة لداخل الإنسان، يعني داخل أنا وداخل القصص. وكثيراً ما حدث أن عشت حائراً وقلقاً ومتردداً بين أن أرد الباب أو أن أقفل الباب، وحين كنت أعزم دائماً يكون الباب قد غاب. المشكلة الأكبر أن غياب الباب يفترض أن يعلم الإنسان بأن يحرص على باب آخر في الحياةأو في جانب آخر في الحياة - فرصة عمل أو لقاء أو صداقة أو كتابة أو موقف أو أي شيء يحدث لكأن القلق والتردد هو جزء من التكوين. ليس بسبب الخوف من الخارج، القلق ليس من الخارج، القلق من الداخل، قلق من الداخل على الخارج وليس من الخارج على الداخل. لذلك أمام أي باب يتردد إبراهيم صموئيل؟ كما قلت لك، أمام أبواب كثيرة وألوانها متعددة وهي يكمن خلفها أشياء مختلفة لكن هذا لا يعني أن أقاومه أحياناً دون أن أنجح أو أتخلص. وربما حاولت في القصص أن أنبه الآخرين، الناس الذين يترددون لأن الفرصة ستفوت ثم يندمون ندماً لا فائدة منه ولا عودة له. فالباب الذي يغيب أحياناً لا يعود أبداً وإذا عاد لايعود كما كان. يعني مسائل كثيرة تتغير. لذلك يقولون لا تستطيع أن تسبح في مياه النهر من هنا أنا احسد أحياناً الذين يغطسون في المياه بدون أي تردد. أحياناً أحسد الذين يلقون بأنفسهم إلى الهاوية، ينجون أو يموتون ضياعاً. أحياناً أحسد الذين يغامرون مع أنني ، يعني، لا أجد في نفسي بمعنى ما الرفض للمغامرة. أحب أن أغامر وربما غامرت في حياتي كثيراً ولكن رغم ذلك يوجد هذا السؤال الذي سألتني إياه، موجود تماماً. وهو سؤال لا شك مفاجئ وأنا لم أكن أتوقع هذا السؤال. على كل الأحوال أنا سعيد جداً أنك التقطت هذه الأبيات وتوقفت معها وتوقفت عندها وسألتني إياها، سعيد بانك ستضمينها ربما في الكتابة، إلى عملك، فهي دراما إنسانية رهيبة - الشوق مقابل القلق. قوتان تقريباً متساويتان. حتى عندما يتفوق الشوق فإن القلق لا يكون قد زال نهائياً، عندما يتفوق القلق فإن الشوق لا ينتهي أبداً. لكن المأساة في هذا الصراع بين الشوق والقلق هو غياب الباب n n

واقع المرأة في "امرأة متحررة للعرض" للدكتوره ميه الرحبي

أحمد جميل حسن

قد تجد المرأة نفسها في موقع لم تكن في يوم من الأيام تتصور أن تكون فيه ولا تستطيع أن تتخلص منه، مما يسبب لها مزيداً من الحزن و القهر، فعندما تبني وحبيبها عشهما ويرسمان مستقبلهما اثناء فترة الإندفاع العاطفي والحب الجارف وينتقلان إلى بيت الزوجية المثالي المتصوّر، يصدمهما واقع الحياة فترضخ كغيرها لمتطلبات الحياة وقسوتها. وهذا ما نجده في (امرأة متحررة للعرض) المجموعة القصصية الصادرة عن دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع للقاصة الدكتوره «مية الرحبي».

تقطف لنا القاصة نماذج من الحياة تصوغها لنا قصصاً بتفاصيل ودقائق الحياة اليومية. فالمواضيع والأفكار المطروحة في المجموعة قريبة منّا نلمسها بشكل يومي ونعيشها، فالفلاح والموظف والأم والأب والأولاد والزوجة والعامل ابطال حقيقيون على مسرح الحياة اليومية.

المرأة في قصص «ميه» دائماً معرضه لاستغلال الرّجل الذي يطمس مكانتها في المجتمع ويضطهدها ويجعلها تابعة له لمكانة الذكورة في مجتمعنا وميزاتها المتفوقة على المرأة. ومهما قاومت المرأة سرعان ما تستسلم طوعاً لرغبات زوجها ولأمور الحياة الأخرى المفروضة عليها، تتناول القاصة هذه القضية في أغلب قصصها، بوعي تام بإحساس المرأة وانفعالاتها وردة فعلها التي تخبو رويداً رويداً حتى تتلاشى وتبقى صرخة مكبوته وغير مسموعة: «مشكلتكِ الحقيقية في أنك لا زلت تنظرين إلى الحياة من منظارك الخاص، الذي لا يريد الواقع كما هو بل كما تريدين رؤيته، لالسنا متساويين في تحمل مسؤولية الأطفال، فما دامت المرأة هي التي تحمل وتلد، فالأطفال مسؤوليتها بالدرجة الأولى» ص ٥١.

وتلجأ المرأة إلى الخيال هروباً من الواقع الذي تعانيه وتحلق في خيالها هروباً من الزوج الذي تريد التحرر والانطلاق من قيوده، فتصور غرفتها جحر والبيت جهنّم لا يطاق وزوجها بعد التقاعد تافه: «ستواجه الملامة التي ستنصب على رأسها من كل جانب، فلن يرحمها احد. لا يهم. ليست بحاجة لرحمتهم، بل هي بحاجة للخلاص، والخلاص هو بالخروج من هذا الجحيم بأي ثمن» ص ٩.

نموذجاً آخر أوردته لنا القاصة عن المرأة المتعلمة المثقفة المكبلة بقيود العادات الاجتماعية او ثقل الشهادة الجامعية الكبيرة ودورها في رسم شخصية حاملتها الاستاذة الجامعية التي تبدو لنا صلبة ومتجهمة ليس لها أن تعشق أو تحب او تبتسم: «ألقى احدهم نكته ضحك لها الجميع. قاطع استغراقها سؤال زميل لها: ألا تضحكين أبداً؟

رفعت عينيها من تحت نظارتها، نظرت إليه بجمود: عندما أجد ضرورة لذلك وانكبت على القراءة من جديد» ص ٢٢.

والقاصة بأسلوبها السردي الحاكي البسيط همشت دور الرمز في قصصها واعتمدت الطرح المباشر لأفكارها وتركت شخصياتها منسابة تحكي وتحكي الكثير عن نفسها وعن غيرها ومن خلال الحوار و(المنلوج) يتضح لنا مدى انفعال وتوتر هذه الشخصيات وما تعانيه من هموم سواء كانت ذكريه أم انثوية من خلال صراعها المتازم في العلاقة التي تربطها. هذه الشخصيات التي شكلت عاملاً هاماً في قصص المجموعة انعكست تصرفاتها واقوالها على مجريات الأحداث القصصية، فهناك شخصيات جعلتنا نتعاطف معها كشخصية المرأة في (أرملة) و(امرأة متحررة للعرض) و(ثورة) والرجل ابو يا سين في (انتظار) وشخصيات أخرى منفرّة كالمدير في (البهلول) والأبناء في (انتظار) والزوج في (امرأة متحررة للعرض) و(ثورة) ونلاحظ ان اكثر الشخصيات المنفرّة للقارئ هي الشخصيات الذكورية مما يعني تحيز الكاتبة إلى المرأة دون الرجل.

قصة أثارتني في المجموعة هي قصة (المعلم) فعلى الرغم ما يعاني المعلم من صعاب في توصيل رسالته التعليمية التربوية إلى الأجيال، لا يمكن ان يصل به الحد إلى ان يستريح عندمايرى تلاميذه يتوسلون إليه وتغسل دموعهم غيظه فأي معلم هذا الذي يصف مهنة التعليم بالحقيرة، والمهنة هذه اسمى بكثير.

ايضاً عالجت القاصة ميه الروتين من خلال قصة «دفتر التموين» حيث تسلط الضوء على ما تفعله اللوائح الروتينية وتقيد الموظف بها دون ان يستطيع تجاوزها ابداً وهنا تبرز لنامعاناة الموظف والمواطن من الروتين معاً.

في قصة «البهلول» تورد لنا مثالاً حياً على ما تفعله الواسطة في الوظيفة من خلل واستغلال، فالمسؤول الكبير سواء أكان المدير أو رئيس الدائرة حاكم بأمره وما تبقى من الموظفين رعايا لديه، عليهم الطاعة إن أرادو أن يبقوا في وظائفهم دون إعاقة، وميه تصور لنا بطل القصة الخريج الجامعي خاضعاً خضوعاً تاماً لمن توسط له بالوظيفة قريبه المسؤول لدرجة أنه أصبح سائق العائلة وخادمها حتى يصل به الحال إلى أن يصبح ملهاة ومهرجاً لأطفال مديره فتمسكه بوظيفته وعدم وجود غيرها دفعه لأن يكون خادماً مطيعاً ينفذ كل ما يطلب منه خارج وداخل نطاق الوظيفة «استغرق المدير بالضحك سألته بابتسامة بليدة عمّا يريده الصغير، عاد للضحك مجدداً، ثم طلب منّي أن أُري الطفل مؤخرتي. صعقت إلاّ أنّ إلحاح المدير وهو غارق في الضحك لم يدع لي مجالاً للتردد، تصنعت المرح فقهقهت، ثم كشفت للصغير عن مؤخرتي. ترددت اصداء ضحكاته وهو يصرخ: تيذو ـ تيذو» ص ٤٥ وكأني بمية تريد أن تقول لنا إن من يبيع كرامته يصل به المطاف إلى هذا الحد.

لغة القصص تطغى عليها لغة السرد التي اتقنتها القاصة وأمسكت بخيوطها وأردفتها بلغة الحوار المتمرد او المتأزم، حتى الحوار الداخلي



والذي عادةً يكون بهدوء وثقة يغلب عليه الانفعال ونفتقد إلى الدهشة والإثارة في نهايات القصص إذ أن القاصة تمهد للنهاية مسبقاً حيث يستطيع القارئ أن يتصور النهاية قبل الوصول إليها بكثير. ورغم أن المباشرة تضر البناء الفني للقصة إلا أن ميه لها ما يبررها في اعتماد هذه المباشرة فالواقع بهمومه وتراكماته ومحاولتها إيصال الفكرة مباشرة للقارىء وشرح الظروف التي يعيشها أبطال القصص بشعبيتهم وبساطتهم جعلها تتناولها بطريقة مباشرة ووصف دقيق للحوادث ومعاناة الأشخاص.

الزمان يكاد يكون مجهولاً في قصص المجموعة فلا نلمسه حتى ولو برمز بسيط يدل عليه. ولكن المكان واضح وحاضر بكثافة في كل قصصها فهناك البيت والقرية والمدرسة والعيادة، هذه الأماكن كانت مسرحاً للأحداث فالمدرسة التي هي للتعليم وجدناها للعقاب والدموع في قصة (المعلم) والدائرة التي تسيرّ المعاملات كانت للمشاجره والصراخ والشتم، والبيت الذي هو للراحة والهدوء والسعادة كان للحزن سجن وجحيم لا يطاق والغرفة جحراً.

هم، حزن، قهر، إضطهاد، سمات مميزة لقصص د. ميه الرحبي في «امرأة متحررة للعرض» وتعاطف فاضح مع المرأة ونفور من الرجل.

اتمنى أن يكون الرجل اكثر إنصافاً لدى الدكتورة ميه الرحبي ◘◘

صورة المرأة في رواية "رسمت خطاً في الرمال"

نساء خذلهن رجال مهووسون بالسلطة والمال والجنس

تهامة الجندي

لم تكن قضية المرأة في يوم من الأيام بمعزل عن قضايا المجتمع ككل، لكنها دوماً كانت منطقة الكشف الأكثر حساسية لتواترات الصعود والهبوط في مستوى التطور والانفتاح، فهنا تبدو الصور والأسئلة والمسارات بوضوح لا لبس فيه، وإذا كان قد مضى أكثر من قرن منذ أن رفع المفكر المصري قاسم أمين صوته للمناداة بحقوق المرأة مع بدايات تفتح الفكر التنويري أو تشكل المشروع النهضوي العربي. فإن مرور الزمن لم يأت لصالح التنوير أو النهضة ولا لصالح حقوق المرأة، رغم المشاريع والأصوات والضحايا الكثيرة التي ضمتها قائمة الهزائم والخيبات، وإذا كانت الستينات والسبعينات، شهدت تحولات هامة لصالح التقدم على المستوى العربي ككل، فإن هذه الموجة قد بدأت بالانحسار منذ أواسط الثمانينات، لتصمت الأصوات تدريجياً أو تغير مواقعها، ولتعود المرأة إلى جدران منزلها والحجاب ثانية، وطبعاً لهذه التحولات العكسية التي خالفت منطق العصر وصيرورة الحياة مدلولاتها وأسبابها الاقتصادية والسياسية والثقافية، وبما أنني معنية بالشأن الثقافي بالدرجة الأولى فإنني سأبحث الموضوع من خلال الصورة التي اقترحها الأدب عن مسيرة هذه التحولات ومصير المرأة عبرها، وقد وجدت ضالتي في رواية الراحل الكبير هاني الراهب "رسمت خطاً في الرمال". فهذه الرواية إضافة إلى أنها تتناول هذا الموضوع بأدبية عالية، فإنها تتناوله من وجهة نظر أنثوية صرفة منحازة تماماً لأفكار التحرر والمساواة من خلال بطلاتها النساء. في روايته هذه يجدل الدكتور هاني الراهب تفصيلات الزمن العربي، منذ أن قبض الآخر على عقاربه وبدأ يدير هاني الوجهة التي يريد، لهذا فإنه يبتكر شخوصاً أبدية لا تموت، وتظل شاهدة على تحولاتها النفسية والفكرية، الرهونة بمحيطها الاجتماعي الذي تتغير شروطه المادية، لكن بناه الفوقية التي فقدت بوصلة الزمن تبقى في حالة من الاستقرار والثبات، ويتخذ الراهب من الصحراء فضاء مناسباً لحركة هؤلاء البشر الدهريين، ففي الصحراء ولد الإسلام قبل أربعة عشر قرناً ومعه انتشر العرب في أصقاع الأرض وأسسوا لدولتهم العظيمة وهويتهم الحضارية التي كان عنوانها الأساسي المعرفة والازدهار، ومن الصحراء أيضاً انبثق النفط قبل نصف قرن من الزمان، ليحدث تغييرات كبيرة في شروط الحياة المادية وأنماط العيش شملت كل أرجاء الوطن العربي، لكنها ظلت محكومة بذهنية منغلقة لا تقبل التغيير بحجة الدفاع عن الإسلام والتراث، وهذا التضاد الحاد بين ثبات الواقع العربي ومتغيراته، الذي يسير بعكس حركة التاريخ استدعى انهيارات خطرة وخراباً حقيقياً على جميع الصعد، انكشفت بصورة لا لبس فيها في حرب الخليج، التي وضعت الأمة كلها على مفترق الأسئلة والنهايات، إذن الصحراء هنا هي المبتدأ والخبر والنهاية لهذه الكينونة الحضارية والثقافية المسماة بالعرب، والمقصود هنا رصد التحولات التي أبرزها صعود النفط في المنطقة وليس الإساءة لسكان الصحراء والخليج كما فهم البعض.

الرواية مؤلفة من «11» فصل كل فصل يروي تجربة حياتية لشخصية عربية أو أجنبية حطت على رمال الصحراء، والغريب أن كل الشخصيات والأحداث والأمكنة متخيلة، لكنها جميعاً تحيلنا إلى الواقع بكل صدقية، ليس عبر الإيحاء والانزياحات اللغوية وحسب وإنما عبر كم هائل من المعلومات التوثيقية وهذه الخلطة العجيبة من العرب. الخيال والواقع والوثائق يعالجها الكاتب بجرأة متناهية وأدبية عالية، تنهل من تراث القص العربي، لكنها تحافظ على خصوصية صاحبها الابداعية، وبهذا تكبد الرواية وتسجل علامة مضيئة في تاريخ الأدب العربي والعالمي. سيحتفي بها المستقبل حين يستيقظ ضمير العالم من غفوته الراهنة.

سيدنا الدولار

تبدأ فصول الرواية بـ"سيدنا الدولار" وهو الشخصية الأهم والمحرك الرئيسي، والعنوان يفتح عوالم شبيهة بألف ليلة وليلة، حيث تهبط مئة دولار على الراوئي عيسى بن هشام. الذي يعيش في مدينة "لاذ" محارباً ومهمشاً بسبب آرائه السياسية المعارضة، مع الورقة النقدية عقد عمل في إحدى جامعات الدول النفطية (كما يسميها الكاتب) ومع مستر الكاتب تبدأ رحلة العجائب والاكتشافات وأولها التعرّف إلى ملامح المكان الجديد: "نفطية بلاد الرمال والسيارات والمصارف ومكيفات الهواء والرؤوس الملثمة... شعب أنشأه الإنكليز.. بدو زادهم النفط بداوة "ص80" تعيش في القرن العشرين مع هذه الخلطة العجيبة من الجاهلية والقرن العاشر وعصور المماليك والنظام القبلي العائلي في كيان سياسي لديه جامعة وتلفزيون وبرلمان "ص88".

في هذا المكان الجهنمي تتحرك شخوص الرواية وأحداثها، والشخوص هم رواة أيضاً، ولكل منهم صوته الخاص ومنطلقاته الفكرية والفلسفية التي يناقش من خلالها الأحداث عبر سرده لسيرته الذاتية. وهكذا فالرواية تحمل تعدد الأصوات واختلاف الرؤى في محاكمة مجريات الواقع التي تحاكيه، وعليه فإنها تحتوي على مستويين للقراءة. الأول سردي توصيفي، والآخر ذهني أما الشخصيات الرئيسية التي تقوم بدور السارد، فهي شخصيات عرف التاريخ معظمها: عيسى بن هاشم - أبو الفتح الإسكندري الشخصية التي ابتدعتها مقامات بديع الهمذاني - شهرزاد، بلقيس، محمد عربي محمدي، الخليفة ، الميجر فكس، انفزاد - بث تمبلر وكلها شخصيات فاعلة وطموحة.

«هزيمة المرأة رمز الخلاص»

تظل شهرزاد هي الشخصية النسائية الأهم من حيث الدلالة بالنسبة لموضوعنا "المرأة" فعبر مسيرتها المتخيلة يتكشف تاريخ القمع والخذلان والمهانة بأبشع صورة وتبدأ السيدة بكلماتها هي: ألف ليلة وليلة وأنا ارتجل قصصي، لكي أرتجل وجودي، شريان الفن أحتفظ لي بشريان الحياة، ونجوت بعنقي من سيف شهريار، ونجوت بشهريار من شهوة القتل وأسلمته لشهوة الحياة "ص41" هذه الشخصية المبدعة التي بثت الحياة في مملكة الموت، ومثلت رمزاً للخلاص بالنسبة لبنات جنسها، تخبرنا في سيرتها الموجعة أن شهريار استغرق في النوم قرون كاملة، خلالها شهدت سقوط بغداد وشهدت الحروب والمجاعات والاحتلال، وظهور المستر فكس الذي رسم خطوطاً على الرمال، فتحولت إلى حدود دول متنازعة فيما بينها، تخبرنا أيضاً أنها شهدت ولادة أفكار النهضة والحرية، وانبثاق النفط ودخول التكنولوجيا الحديثة، فاستبشرت بقدوم فجر جديد، يحمل على أكفه السعادة والعدل، ويعيد الاعتبار لشخصها وحكاياها، وكان أملها الوحيد، أن يستيقظ شهريار من سباته الطويل ويشاركها فرحة العالم المقبل، وبالفعل حدث هذا ذات يوم، واستفاق فرح شهرزاد وأحلامها، وأخذت تقص على شهريار مشاهداتها الجديدة، التي شو شت معلوماته ومداركه، وعبر التحقق والحوارات الطويلة فيما بينهما،





وصل شهريار إلى الاستنتاج الآتي: «لتعرفي أن أمة المسلمين لن يغلبها غالب بإذن الله، وتاريخها كله فيه حدثان مهمان هما: نزول الرسالة وصعود النفط من الصحراء، ولكن لازم أن أصير أنا خليفة»(ص46).

لكن شهريار لا يصبح خليفة إنما رئيس المطوعين عند الخليفة دحريار، ويبدأ باستخدام أحدث التقنيات للتجسس على الحب، يأسر شهرزاد في قصر كبير، ويفرض عليها الحجاب ويمنع قصصها من التداول، وتقول شهرزاد عن الحجاب الذي وضعته مرغمة: «أنه لمحزن ومربك أي منظر تراه العين من وراء حجاب" فذلك ليس سوى قمقم للروح، لكأنك لطخت بياض الحقيقة بشهادة زور، لكأنك وضعت بينك وبين الحياة تخماً فأنت هنا وهي هناك» (ص68). ثم تصل إلى تصوير ذروة فجيعتها بقولها: كان ياما كان في غابر العصر والأوان، كان هناك امرأة تبحث عن قصصها، وخاتماتها السعيدة، امرأة كانت ملكة ذات يوم، فأعطت العالم كتاباً هو ملك بين الكتب، لكنها الآن لا تملك من اللغة سوى خمس كلمات: ماذا، متى، أين، كيف، لماذا. إنها امرأة ينقصها الحب والفرح والحرية "ص46". طبعاً شهرزاد خلال رحلتها المريرة هذه تلتقي بالخنساء وخولة وشجرة الدر وميسون وزرقاء وزليخة وكلهن نساء أثقلتهن الخيبة والمرارة في حياة مظلمة ومقننة يحكمها ذكور مهووسون بالسلطة والمال والجنس... مع اجتياح الحجاج بن يوسف الثقفي نفيطه - جيم - تستشعر شهرزاد وصاحباتها، قرب الخلاص وهذا يعيد لهن ألق الحياة، والأمل لكن شهريار يخبر شهرزاد وهو يبتسم: لسوف تهب على الحجاج عاصفة من الصحراء وتعصف بكوفيته وعقاله حتى ترده أسفل السافلين، يريد أن يتمرد على الخليفة والرئيس فكس، سيتدخل ملوك العالم كلهم لحماية ملك الزمان دحريار آل نفطيان لأن كتاب الله معنا وكتاب النفط معنا، والله سخّر لنا أن نشتري كل ما نريده (ص74) ومع هدير العاصفة يحل الذهول ويستوطن اليأس المطلق قلب شهرزاد - المرأة - رمز الجمال والعطاء والخلاص يأس يجعلها مستكينة ومعزولة وغريبة عن المحيط الذي تعيش فيه، لكن هذا لا يجرها نحو الاستسلام أو الانغماس في الشروط الجاهزة للفساد وفقدان الهوية والضياع. التي غيبت الوطن ككل. وتنتهي الرواية حين تقسم شهرزاد أن تظل أناملها نظيفة وقادرة على الإبداع. وبذلك تعود المرأة رمزاً مستقبلياً للخلاص.

طوبى للغرباء...

نستخلص من تضاعيف الرواية أن حرب الخليج هي التي وضعت الترسيمات الأخيرة لخارطة الخراب، وهي التي كشفت زيف الشعارات وهشاشة الواقع، ورصعت الفضاء بيأس واستسلام مطلقين، والمرأة التي عادت إلى حظيرتها مجبرة فقدت أي أمل بخلاص راهن لأن الهزيمة إن حلت ابتلعت الجميع بأحشائها وهنا تقول أنقزاد (الكائن السماوي الذي حط على الرمال): «طالما تساءلت لماذا يحزن البشر وعرفت الآن أنهم يحزنون لانسداد الدروب بين بعضهم بعضاً، أو داخل أرواحهم» (ص285) ولهذا انتحرت الخنساء تاركة هذه الكلمات وراءها «كيف أحيي زهراً بجناحه الرمل» (ص72).

إنها ملحمة هذه التي يضعها الراهب بين أيدينا قبل رحيله بأشهر، ملحمة أحرقت بإندفاعاتها المدهشة تابوهات كل الشرق ملحمة أبطالها نساء عشن غريبات بسبب قدرتهن على التفكير والابتكار، فطوبى لكل الغرباء في يوم المرأة العالمي، إنهم وحدهم الذين يسكبون قلقهم وعرقهم على هذه الأرض كالدموع، وهم الذين يكتبون أجمل ما في تاريخ البشرية من صفحات... ם ם

حجر من ذهب

تيما منصور

يا للحجارة التي تجمع
يا للأطفال التي تتبعثر
لهباً يمحو
عن مائدة العالم
حمى السلام
لهب يغسل حجر السماء النيرة
ويصير إله
طفل يلعب
في صراخه
نسغ الوطن
أنحني عليك
أجمع جاثياً في دخانك
لهب الوطن
نفاذ الصبر
الحداد
الوحدة
أنحني عليك. أيها الفجر
بيدي وجهك الصغير
ما أجملك.

* * *

لهب في سلام اللهب
جر في قدس الحجر
سنكين في بياض الحلم
كلمات تقبلها النار
أمهات الصراخ
ملح مجهول
أصغوا إلي
توقفت الموسيقا
مات طفل
وانعقدت على جبين السماء
زهرة حمراء وحجر.

* * *

انظروا
هنا على أرض القدس
على بضعة أمتار من التراب
اشتعلت النار
نسيج الوطن
تنفخه الحجارة
بأيدي الأطفال الصغار
خاتم الصبر انفجر.
تحت ضغط الصخر
صراخ سريع
طفل بطل
أرخى قبضته مطمئناً
والضوء يلهو بشعراته
إشارة الحياة توقفت
في شجر قلبه البريء
سلاماً يا وطن الدم والأبرياء

* * *

انظروا
اختفى الوطن
وراء رواق الدخان
المشقق
القدس والحجر
أحدهم للآخر
كمثل اللهب في المشعل
جميع الأطفال
فوق ركائز النار
حجارة الجذور
تعبر يد الضوء الفارغ
ارتباط من نور
فولاذ يرن

* * *

رامي
لنلتقي عالياً
حيث يفيض الضوء
من كأس الشهادة
لنلتق
على سرير الصباح والمساء
في كل مكان
الحجر الكريم
لننقل أحدنا للآخر
جميع الأشياء
جميع الطرق
جميع الأحجار
جميع المعادن
رامي
الطفل الصغير
يحمل حجراً
ويصرخ انظروا
تحت شجرة اللوز
يتغطى فجأة بآلاف الأزهار
هنا، الكثير من الحكايا
يتحد مع الأرض أبدياً
يقبّل الشجرة
يدخل مطراً إلى غرفة الزفاف
اسمه شادي
من القدس

* * * *

السماء العالية
تحمل طفلاً
تأخذه كالمزنة
من كل زهرة
جزءاً لا يفنى من الحياة
السماء العالية
أخذته شهيداً
وضعته وساماً على صدر الوطن

عزف منفرد

تجمّع "آداد" المسرحي

حلمٌ مشروع

لعل كسر احتكار الدولة لانتاج وتمويل المشاريع الثقافية في أكثر من بلد عربي، وذلك بالسماح للتجمعات الخاصة بان تاخذ دورها في دعم الثقافة ورعايتها، ربما يكون الطريق الصحيح لإنهاض حركة ثقافية فاعلة ونشيطة لا تخضع لروتين المؤسسة البيروقراطية وشروطها المعقدة، المعطلة لأي مبادرة خلاقة تطمح لأن تفتح افقاً أوسع نحو فضاءات أوسع امام الإبداع والمبدعين، بحيث توفر كافة الشروط اللازمة لأن يرى إبداعهم النور في شروط فنية، ودعائية ملائمة ولنا في تجربة مسرح الفوانيس الأردني، ومؤسسة شومان، أو تجربة مسرح المدينة في بيروت امثلة على ذلك.. وفي هذا السياق تاتي فعالية «المدى» الثقافية الثانية في دمشق التي ضمت تظاهرة الكتاب للجميع، وفعاليات تشكيلية وغنائية، ومحاضرات فكرية وامسيات شعرية وقصصية لتصب في هذا المنحى..

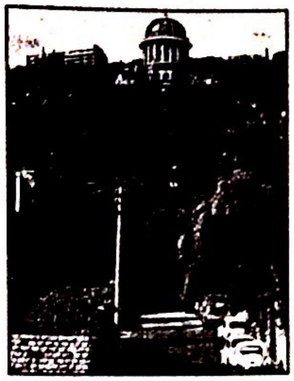
بيد أننا نريد التوقف في هذا السياق عند الإعلان عن ولادة تجمّع «آداد للإبداع المسرحي» في دمشق الذي جاء تحت شعار: «فضاء جديد لفكر متجدّد»، فهذا التجمع المسرحي الخاص، المنفتح على جميع المبدعين كتّاباً وفنانين وفنيين وإعلاميين.. يقوم على فكرة طموحة جداً تهدف إلى احتضان التجارب المسرحية الجادّة سواء على صعيد استضافة العروض المسرحية السورية، أو العربية في «بيتها المسرحي» الخاص في صالة راميتا بدمشق، أو على صعيد إنتاج بعض العروض المسرحية الجديدة بتمويل من التجمّع ذاته.

تنبع أهمية هذه التجربة الوليدة من حماس مجموعة من الفنانين الشباب الذين التقت طموحاتهم مع قناعة بعض رجال الأعمال السوريين في دعم هذه التجربة وتمويلها.. وهكذا استطاعت هذه الفكرة أن تتبلور وتجد طريقها إلى النور.. لكنها بكل الأحوال تظل تجربة طرية تحتاج من كل الحريصين على إنهاض المشهد المسرحي السوري دعمها المعنوي والمادي، كي يقوى عودها، ويشتد ساعدها كيما تشقّ طريقها، سيما وأن العثرات كثيرة، وليس اقلّها - ربما - شعور المؤسسة الرسمية الموازية أن هكذا تجربة بخطابها وأدواتها الدعائية المختلفة من الممكن أن تهدد مصالحها، وتكشف عن ترهلها، وبالتالي ليس من المستبعد أن تضع العراقيل أمامها.

ربما تحتاج المسألة إلى قوننة، فجميع بلدان الدنيا تعفي شركات الأعمال الخاصة من نسبة ما من الضرائب في حال دعمت مشروعاً ثقافياً.. وهكذا تؤمن شروط الديمومة والاستمرار لهكذا مشاريع.

علي الكردي

«حبيبتي حيفا» لحسن البحيري



صدر حديثاً من اتحاد الكتاب العرب بدمشق مجموعة قصائد منتقاة للشاعر الفلسطيني الراحل حسن البحيري، وتضمنت المجموعة التي صدرت باسم «حبيبتي حيفا» حوالي 20 قصيدة أبرزها أغنية إلى حيفا، وحيفا في سواد العيون، وحيفا تحت ضياء القمر ،ووجه حيفا، وربيع حيفا... ودمعة في ربيع الكرمل...

قام بجمع القصائد المهندس مروان البحيري وقدم للمجموعة الكاتب الفلسطيني حسن حميد.

سيبويه النحوي

حياة سيبويه، النحوي الأول في العربية، وكتابه، ومصادر ترجمته ومراجعها هي موضوعات الكتاب الصادر حديثاً عن دار الأوئل بدمشق بعنوان : «سيبويه النحوي» للمؤلف هيثم الشيخ عبدو.

يقول الناشر: إن إصدار كتاب عن سيبويه - في زمننا الحاضر - مسألةٌ جدُّ خطيرةٌ، لإبهام في حياة الرجل من جهة، ولقلّة مصادر ترجمته من جهة اخرى.

لكنّ هذا الشأن لا يعني -البتة- أن نخنق روح المحاولة ، فالعلم تدقيقٌ وتمحيصٌ لا تفاض او تناس. العلم مناقشةٌ وحوار وإبداء رأي، لا صمت وسكوت وسكونٌ. ولقد أثبت واقع الحياة انه بالدرس الجاد والجهد المخلص تذلّل الصِعاب وتمحى العراقيل.

لغة الطين في خزفيات الزعبي

لكأن الفنان الأردني حازم الزعبي يعود بنا إلى جذور الأجداد التاريخية في جرش ومعان ومدن الأنباط المنحوته في أعالي الجبال، دون ان ينسى إضفاء مسحة الحداثة على أعماله الخزفية المعروضة حالياً في غاليري «السيد» بدمشق، سواء منها المسطحات الجدارية المربعة أو الدائرية، أو تلك التي قصد منها قيمةً استعمالية، او تزينية بحتةً في صحونه الدائرية أو فازاته، أو أكوابه، أو أباريقه التي زينّها بالأشكال والرموز الميثولوجية القديمة «الحيوانية والنباتية» أو التعاويذ والأثلام والكتابات التي تحيل إلى الآرامية أو السريانية، أو العربية القديمة، وهو في كل هذا وذاك تعامل مع مادته الأساسية: (الطين)، هذه المادة الحنونة، المطواعة.. التي ترتبط بأجّسادنا وأرواحنا بحب عميق، وبشيفرة ملغزة غامضة، تجعلها نابضة بالحيوية والحياة، إضافةً إلى ذلك - لكأنه تقصد عن عمدٍ - في معالجاته اللونية لسطوحها ألاّ يخرج عن مشتقات اللون الترابي وتدرجاته كي لا يشوش على اللون - الأساس الذي منه المبتدأ، وإليه المنتهى.

حياة ميلان كونديرا في مكان آخر

الحياة هي في مكان آخر، عنوان رواية الكاتب التشيكي ميلان كونديرا التي ترجمها للعربية: معن عاقل، وصدرت عن دار الأوائل بدمشق. يقول كونديرا: في البداية فكّرت بعنوان أخر لهذه الرواية وهو (العمر الغنائي)، وبرأيه العمرالغنائي هو الصبّا، وهذه الرواية هي - قبل كل شيء - ملحمة المراهقة: ملحمة تهكميّة تقوّض برفق بعض المفاهيم النمطية السائدة حول: الطفولة والأمومة والثورة، وحتى الشعر.

وجاروميل (بطل الرواية) شاعرٌ. وأمه هي التي جعلته شاعراً، ورافقته (روحياً) إلى أسرةَ غرامياته، و(جسدياً) إلى فراش الموت. إنه شخصية مضحكة ومحزنة، مرعبة وفي غاية البراءة (البراءة مع ابتسامته الدامية!) وجاروميل شاعر حقيقي في الوقت ذاته. فهو ليس قذراً، إنه رامبو، رامبو الذي وقع في فخ الثورة الشيوعية، رامبو الذي وقع في فخ تهريج كئيب.

مع دونكيشوت ومدام بوفاري، الحياة هي في مكان آخر، ربما هي العمل الأشدُّ قسوةً الذي كُتب عن الشعر، الشعر بوصفه المعقل الأخير للخلاص.

(الجحيم) في أعمال خالد الخاني التشكيلية

هل تكتوي شخوص التشكيلي السوري خالد الخاني (صالة شورى بدمشق) بجحيم الحياة، وتحترق بنيرانها، فيما هي تتزاحم بالمناكب، وتتصارع بالأجساد من أجل الانغماس أكثر فأكثر في ملذاتها، وإشباع غرائزها؟! وماذا ستكون النتيجة فيما إذا استمرت في المزاحمة من أجل الصعود وتجاوز الحواجز التي تحول دون الوصول إلى الحد الأقصى من الفهم الذي لا نهاية له؟! هل ستكون النتيجة الغربة في أسفل المستنقع؟! أم الاحتراق على بوابات الجحيم؟.

هذه الأسئلة يثيرها الخاني في أعماله التشكيلية التي تنهض تكويناتها على حركة المجاميع التي تنوس بين الظل والنور وتنغمس في حركة الألوان السرمدية الحازة، لتلوذ بذاتها هرباً من الاكتواء، او تحاشياً للفخ النار في سياق صراح الإنسان الوجودي القَلِق بحثاً عن الذات في عالم تلّفه الوحشة ويكتنفه الغموضَ.

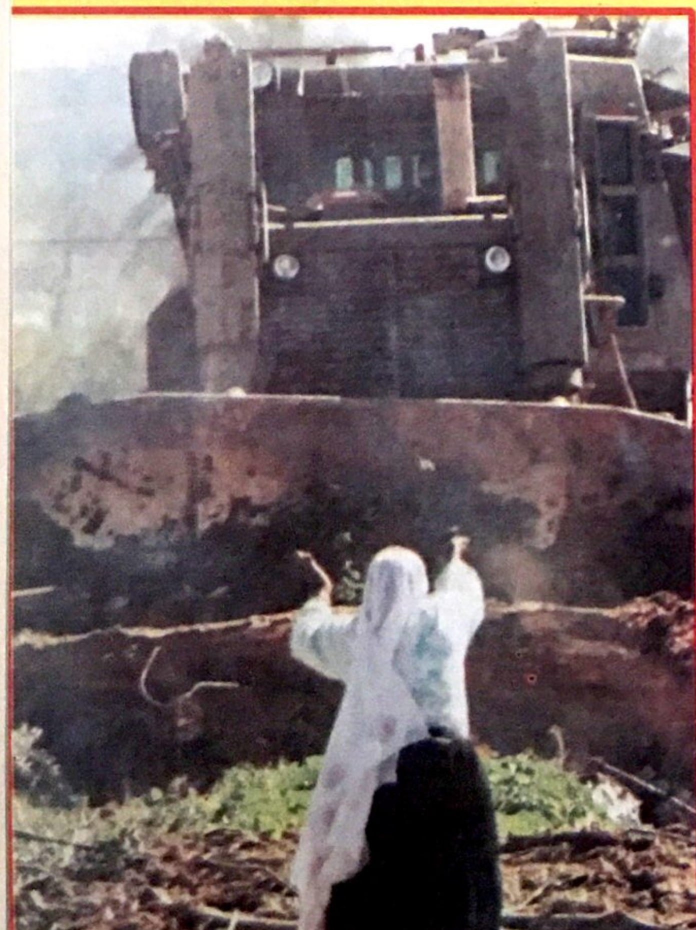
الفنان خالد الخاني من مواليد١٩٧٥، خريج دبلوم دراسات عليا قسم التصوير الزيتي بجامعة دمشق، لوحاته مقتناة في سوريا، ألمانيا، هولندا، امريكا، لبنان، الكويت، الإمارات العربية، المملكة العربية السعودية.

الليلة الثانية للفنان عرقسوسي

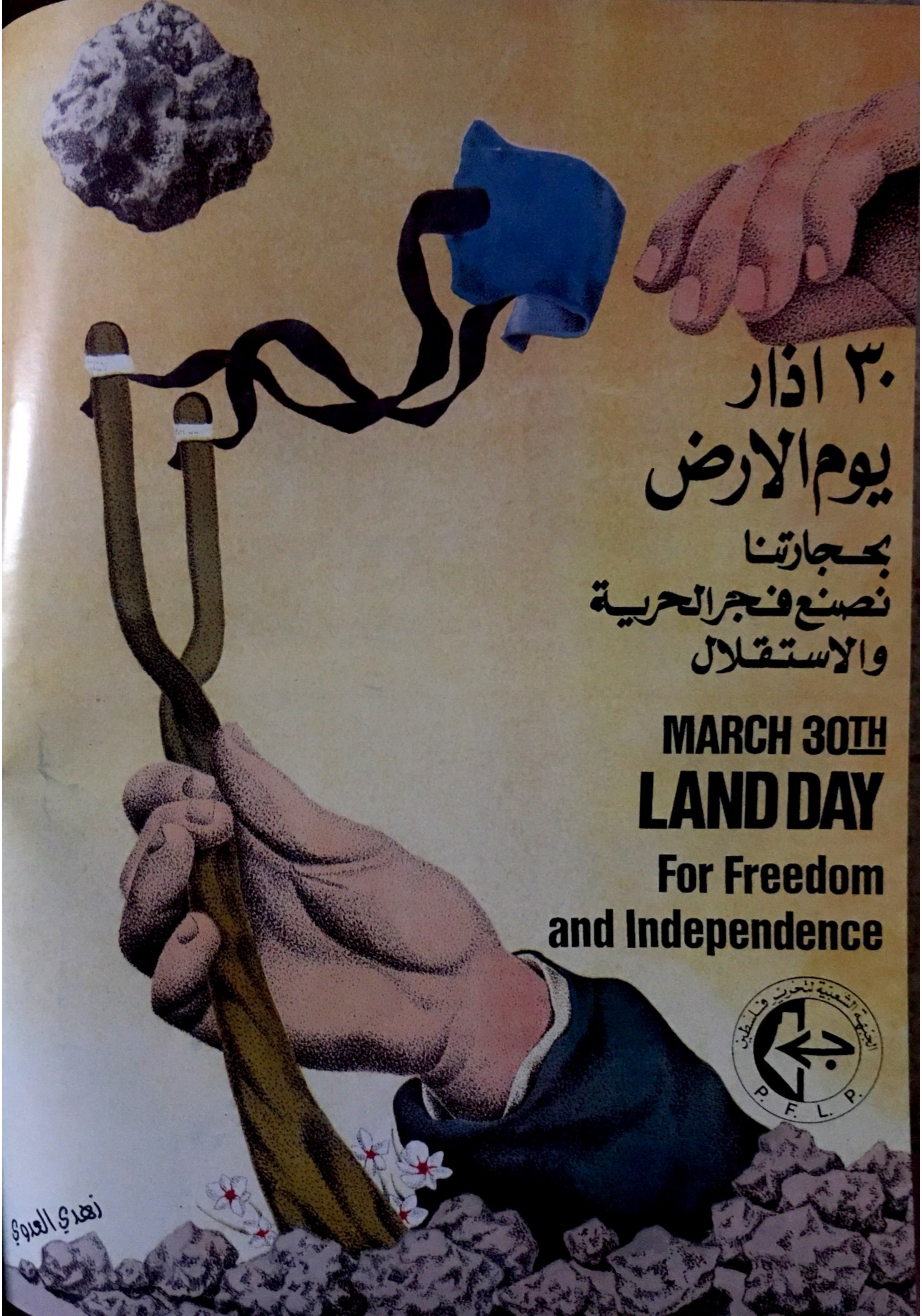
في عودة لافتة إلى المسرح من قبل الممثلين السوريين الذين انغمسوا طويلاً في مجال العمل التلفزيوني، يضع الفنان فائق عرقسوسي لمساته الأخيرة على أول عرض مسرحي من إخراجه وهو بعنوان: «الليلة الثانية في الألفية الثانية» عن نص جمال ابو حمدان، والجدير ذكره أن هذه المسرحية ماخوذة من حكايا شهرزاد (ألف ليلة وليلة)، ومن المنتظر عرضها في مطلع نيسان / ابريل على خشبة مسرح العمّال بدمشق.










٣٠ اذار
يوم الارض
بحجارتنا
نصنع فجر الحرية
والاستقلال
MARCH 30TH
LAND DAY
For Freedom
and Independence
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
P.F.L.P.
زهدي العدوي